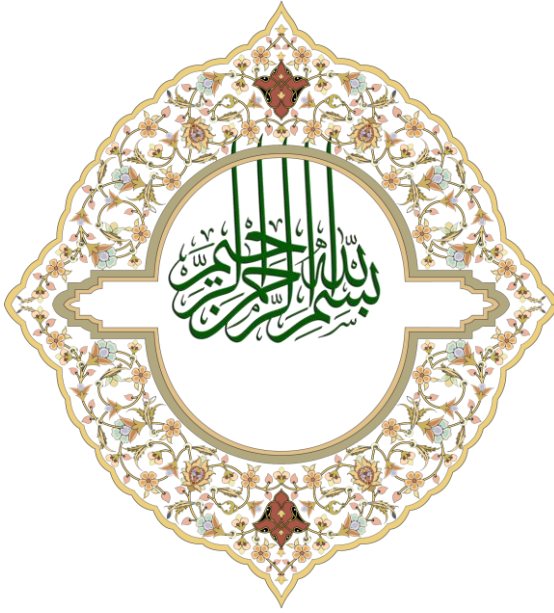


صفحة عنوان الغلاف

صفحة ردمك  
وحقوق الطبع محفوظة



صفحة زوجية رقم 4 فارغة

# إهداء

صفحة زوجية فارغة

## محور آسيا

سنكيانغ: آسيا الداخلية المتاخمة لروسيا والصين

اوين لاتي مور

بمساعدة كل من:

الينور لا تيمور

تشانغ تشيه يي

كارل هـ. مينغز

تشن هان سنغ

دانييل ثورنر

جوان دي فرانسيس

توماس دينز

ترجمه من الإنجليزية: رحمة الله عناية الله أحمد تركستاني

## تقديم الكتاب:

فإن تركستان التي تقع مجزأة بين الصين وروسيا، هي بلاد إسلامية ساهمت بقسط وافر في بناء الحضارة الإسلامية والعربية في عصر الحضارة الذهبي، ولا تزال مؤلفات أبنائها متداولة في الجامعات والمعاهد العلمية وساحات الفكر والثقافة حتى اليوم، بيد أن الأمر الذي يؤسف له أن الأمة الإسلامية- التي لا تزال تستمد ثقافتها وحضارتها من مؤلفات الإمام البخاري والترمذي والسرخسي والفارابي والبيروني والكاشغري وغيرهم من منات العلماء والأدباء الذين أنجبهم تركستان- لا تعرف اليوم شيئاً عمّا آلت إليه أحوال أحفاد أولئك العلماء، وما أصاب بلادهم وأوطانهم- وخاصة الجزء

الشرقي من تركستان- من الظلم والاستبداد.

ولا توجد محاولات جادة من أبناء هذه الأمة الإسلامية لمعرفة ما حدث ويحدث لهم، و{كان في آذانهم وقرًا}، أو كأن الأمر لا يعينهم أبدًا، بينما كثير من المستشرقين الأوروبيين على اختلاف أوطانهم ولغاتهم يجدون في تركستان المسلمة ما يدفعهم إلى دراسة شعوبها وحضارتها وتاريخها وآدابها وأحوالها.

ورغبةً في إثراء المكتبة العربية، التي لا تجد فيها كتابًا عن تركستان إلا نادرًا، ولاسيما تركستان الشرقية، التي أسمتها الصين الشيوعية (سنكيانغ= شينجانغ)، أحببت أن أقدم الترجمة العربية لكتاب أحد أشهر المتخصصين بشؤون آسيا الوسطى الصينية، وهو (اوين لا تيمور)، ولعل هذا الباحث وكتابه يجذبان انتباه الباحثين إلى هذه البلاد الإسلامية، التي يتطلع أهلها إلى الدعم والاهتمام ونصرة الحق قبل أن يقضى على شعبها المسلم بالإبادة والتهجير، كما يتضح من الممارسات الجائرة التي تمارسها الصين؛ لطمس هويتها و فصم عراها عن العالم الإسلامي في الوقت الحاضر.

وإن هذا الكتاب- الذي ترجمته- قد يكون من أفضل الكتب التي وُضعت عن تركستان الشرقية قبيل الغزو الشيوعي، بقلم باحث أمريكي عرّف عنه سعة العلم والاطلاع بها، ولكن يؤخذ عليه اعتمادُه الكبير على المصادر الصينية، والاستعانة بالمتخصصين الصينيين، وإهماله المصادر التركستانية المحلية، مما أدى إلى سرد السياسة الصينية التي انتهجتها حكومة ما قبل الدولة الشيوعية بدون تركيز على الحركات الوطنية والقومية لشعب تركستان، وكأن الكتاب يعالج مناهج الحكم الصيني بدون تحليل واضح على آثارها في الشعب التركستاني المستهدف، ويترجم تاريخه الوطني .

## تقديم المؤلف:

لقد عرّف اوين لاتييمور في مقدمة الكتاب بالباحثين الذين كان لهم فضل المشاركة والمساهمة في وضع الكتاب، موضّحًا شخصياتهم العلمية وعلاقاتهم بموضوعات الكتاب، حتى يضيء على ذلك الجدية والعلمية في إعداد الموضوعات.

ولكن اوين لاتييمور الذي يرجع إليه الجهد الأكبر في إدارة أعمال الندوة في إخراج هذا الكتاب عن تركستان الشرقية، لم يشأ التعريف بشخصه، ولعله شاء الاكتفاء بشهرته الواسعة في مجال دراسات آسيا الداخلية.

وقد يكون من المفيد التعريف به من خلال السطور التالية:

ولد اوين لاتييمور في واشنطن في 29 يولييه 1900م، وذهب طفلاً رضيعاً مع والده، الذي كان يعمل مدرساً في بعض الجامعات الصينية في الصين في



عام 1901م-1921م، وقضى طفولته في الصين، وتلقى تعليمه من والديه، حيث تعلم الفرنسية والألمانية واللاتينية على يد والده، ودرس الرياضيات على والدته، ثم بعثه والده إلى سويسرا لإتقان اللغتين الفرنسية والألمانية، وإلى إنجلترا لدراسة الأدب اللاتيني واليوناني والفرنسي والإنجليزي فيما بين 1912م-1919م، ومع هذا الاهتمام المبكر بالتعليم، إلا أن الظروف المالية للأسرة حالت دون التحاقه بالجامعة فعاد إلى الصين، ولكنه عمل في بعض المؤسسات الصحفية والتجارية مما أكسبه معرفة جيدة بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتعلم اللغة الصينية في أوقات فراغه، وفي عام 1926م تزوج (الينور هولغيت Eleanor Holgit) التي كان والدها أستاذاً جامعياً في أمريكا، ثم قرر الزوجان القيام برحلة من الصين إلى الهند عبر آسيا الداخلية.

وفي عام 1926م بدأ رحلته الأولى إلى تركستان الشرقية، عبر منغوليا الداخلية إلى إسبن كول وصحراء غوبي إلى كوجنج تز ثم أرومجي عاصمة تركستان الشرقية، ومن هناك بعث برقية إلى زوجته في بكين يطلب منها أن توافيه إلى تركستان الشرقية، ورحلت الزوجة بالقطار عبر الأراضي السوفياتية إلى أن وصلت مع قافلة روسية إلى مدينة جوكوجاك حيث التقت بزوجها المنتظر، ثم تجول الزوجان في مدن: أرومجي، تورفان، غولجه، أقسو، كاشغر، ياركند، ثم عبر الاثنان ممر قره فورام إلى لاداخ وكشمير إلى بومباي و منها إلى إيطاليا في شتاء عام 1927م.

وفيه- أي: شتاء عام 1927م- وضع اوين لاتيمور كتابه الأول عن تركستان الشرقية باسم: ((الطريق الصحراوي إلى تركستان The Desert Road to Turkistan)) وذلك في وصف رحلاته السابقة، وبعد أن عمل فترة في مكتبة الجمعية الجغرافية الملكية الإيطالية ذهب إلى لندن، حيث منحته الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية جائزة؛ لرحلاته في تركستان الشرقية، ثم عاد إلى أمريكا فدرس الأنثروبولوجيا في جامعة هارفارد لمدة سنة واحدة، وكتب كتابه الثاني: ((تتاريا العليا High Tartary)) المنشور عام 1930م، و نشرت زوجته الينور كتابها: ((عودة وحدة تركستان Reunion of Turkistan)) في عام 1934م.

وفي خريف عام 1929م ذهب اوين لاتيمور مع زوجته إلى منشوريا للاستطلاع والدراسة، وكانت ثمرة رحلتهما كتابيهما المنشورين من الجمعية الأمريكية الأنثروبولوجية: ((منشوريا مهد الأزمة: Manchuria: Cradle of C Conflict.)) في عام 1932م، و((مغول منشوريا The Mongols of

Manchuria))، في عام 1934م.

وفيما بين 1930م-1933م قام اوين لاتي مور بعدة رحلات استطلاعية إلى منغوليا الداخلية، حيث تعرّف إلى بعض زعمائها الوطنيين المناهضين للحكم الصيني، كما تعلم اللغة المغولية، ثم عاد إلى أمريكا في صيف 1933م، وترأس تحرير مجلة ( شؤون الباسفيك) التي ينشرها معهد علاقات الباسفيك، ومنحته جمعية فيلادلفيا الجغرافية ميدالية ذهبية؛ اعترافًا برحلاته وكتابه الجغرافية، ثم في عام 1941م رشّحه الرئيس روزفلت مستشارًا للجنرال تشانغ كاي شيك، وقد كان مديرًا للمعهد والترهينس العالي للعلاقات الدولية في جامعة جون هوبكنز، وخلال الحرب العالمية الثانية عاد إلى أمريكا ليتولى رئاسة القسم الآسيوي في مكتب الإعلام الحربي، كما رافق الرئيس الأمريكي وليس في زيارته إلى الصين وسيبيريا ومنغوليا في عام 1944م، وكذلك ترأس بعثة الأمم المتحدة إلى أفغانستان؛ لدراسة المساعدات العلمية في تطوير الاقتصاد في عام 1950م، وقد نشر كتابيه (( الحل في آسيا)) عام 1945م، و (( الوضع في آسيا)) في عام 1949م، كما وضع- بمساعدة عدد من الزعماء المغوليين الذين جلبهم معه إلى أمريكا وألحقهم بمعهد العلاقات الدولية خلال عام 1948م- كتاب ( ( الوطنية والثورة في منغوليا)) المطبوع عام 1955م، وترجم كتاب ( ( حياة سوخ باتار)) لمؤلفه: ش. ناتساغدورج، كما وضع كتاب ( ( محور آسيا)) بمساعدة عدد من الباحثين عن تركستان الشرقية، المنشور عام 1950م، وظهر له في نفس العام كتابه( ( إفتراء ومحنة))، كما وضع مع زوجته الينور كتاب ( ( الصين: موجز تاريخي)) في عام 1947م، ثم اشترك معها في تأليف كتاب ( ( الحرائر والبهارات والإمبراطورية)) الذي يتضمن موضوعات متنوعة عن النشاط الأوروبي في آسيا في عام 1948م، ثم نشر كتاب ( ( القبائل والنواب: زيارة منغوليا الثانية)) بعد زيارة جمهورية منغوليا الشعبية مع زوجته في عام 1961م، وأخيرًا نشر بحوثه ومقالاته المختلفة في كتاب ( ( دراسات في تاريخ الحدود )) في عام 1964م.

علاوة على هذه الكتب عن المناطق غير الصينية مثل تركستان الشرقية ومنغوليا ومنشوريا، والكتب التي نشرها عن رحلاته الكثيرة إلى مناطق الصين المتاخمة لروسيا، فقد نشر مئات البحوث والدراسات في مجلات علمية مختلفة، وألقى الكثير من المحاضرات في مختلف الجامعات في أمريكا وأوروبا، وترأس عددًا من الجمعيات العلمية التي تهتم بشعوب المناطق غير الصينية في أمريكا وأوروبا.

## مقدمة الكتاب للمؤلف

إن سنكيانغ التي تقطنها شعوب غير صينية في معظمها أيلة صينية، تقع في الباب الخلفي لإمبراطورية الهند القديمة، التي تتصارع فيها حالياً القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية في دولتي الهند وباكستان، كما تقف على أحد الأبواب الرئيسية للاتحاد السوفياتي، وهو الباب المنيع لأشكال قوى التأثير التي تديرها السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، وأخيراً تقع هذه الأيالة أيضاً على زاوية حدود الصين الخلفية التي كانت خلال عدة قرون باب الصين الخلفي، وكانت مخرج الصين الأمامي إلى قلب آسيا، واستعادت حالياً أهميتها منفذاً إستراتيجياً صينياً إلى آسيا الوسطى.

وفي القرن التاسع عشر عندما كان التوسع الروسي يزحف على آسيا الوسطى، كان الاهتمام الأمريكي قوياً بمنطقة آسيا الوسطى، لقد كان الأمريكان عندئذ يتعاطفون مع الروس في المنافسة التي اشتعلت بين إمبراطوريتي روسيا وبريطانيا في السيطرة على المنطقة، وذلك انطلاقاً من الاتجاه التقليدي المعادي لبريطانيا الذي كان يغمر الأمريكان في تلك الفترة، وكان الروس في نظرهم أكثر كفاءة في بناء الإمبراطورية، ولما كتب ايوجين شويلير عضو الهيئة الدبلوماسية الأمريكية كتاباً كلاسيكياً عن الانتصارات الروسية، كان سخرُ اسم تركستان سبباً في انتشار وذبوع الكتاب<sup>1</sup>.

وأما بعد الحرب الروسية - اليابانية في عامي 1904-1905م فقد تضاعل الاهتمام الأمريكي بالمنطقة، ذلك لأن أمريكا وبريطانيا جمعت بينهما أهدافاً ضمنية لمساعدة اليابان في مواجهة المطامع الروسية على موانئ المياه الدافئة في الباسفيك، ولم تؤد الثورة الروسية أو الدور الذي لعبته أمريكا بالتدخل في سيبيريا في هذه الفترة إلى إنعاش الاهتمام الأمريكي بهذا الجزء الشاسع من البلاد الواقعة بين روسيا والصين، أو التي تسكنها شعوب كثيرة أو تسيطر عليها أقليات صينية وروسية.

1- Eugene Schuyler: Turkestan, New York ,2 vols, First edition 1876 and Second 1877

بيد أن الاهتمام الأمريكي ما لبث أن تحرك بعد هزيمة اليابان وألمانيا في الحرب العالمية الثانية، وخاصة منذ عام 1945م، حيث صار من أحد أهداف السياسة الأمريكية الرئيسية هو حصر ومقاومة التوسع الروسي، أو تزايد نفوذه في أية بقعة من العالم، وقد تجلى هذا الاهتمام في المناطق المتاخمة لروسيا الآسيوية، مثل إيران وأفغانستان، وذلك بتزايد النفوذ الأمريكي لمقاومة التغلغل السوفياتي.

وفي عام 1926م خلال فترة انصراف الاهتمام الأمريكي عن منطقة آسيا الداخلية المتاخمة لروسيا والصين، قمتُ مع زوجتي برحلات في هذه المنطقة التي جذبتني إليها، دارساً وباحثاً وكاتباً عن أحوال شعوبها اللاتينية والروسية أكثر من عشرين عامًا لاحقاً.

وفي عام 1947م رصدتُ مؤسسة كارنيجيه Carnegie Corporation مبلغ (12) ألف دولار لمعهد العلاقات الدولية في جامعة هوكينز؛ لعقد ندوة عن آسيا الداخلية، وفي هذه الندوة تكوّنت مجموعة لدراسة مقاطعة سنكيانغ، وقد بدأت عملها بجمع المواد الضرورية لدراسة شاملة عن المنطقة المركزية، التي تتلاقى فيها حدود الصين والتبت والهند وأفغانستان والاتحاد السوفياتي، ومن دراسة المواد التي جمعت تم تحليل مختلف القوى التي تتصارع في هذه المنطقة المحورية.

ومع أن حدود كلّ هذه الدول المختلفة تلامس الأخرى مباشرة، ومنها من تلامس أكثر من حدود واحدة في سنكيانغ محور هذه المنطقة الواسعة التي تعرف بآسيا الداخلية، وتتصل بالشرق الأوسط، وبالشرق الأقصى بجمهورية منغوليا الشعبية.

إن استعمال مصطلح آسيا الداخلية على هذه المنطقة يكون أكثر شمولاً من آسيا الوسطى، الذي أُطلق في القرن التاسع عشر، بمدلوله المحدود على الأراضي التي عُرفت بالتركستان الصينية والروسية؛ لأن اسم آسيا الداخلية يمكن إطلاقه على مجموعة من البلدان والأراضي والمقاطعات التي لا تطل على البحر مثل سنكيانغ والتبت وكشمير وبعض الدول الصغيرة على حدود الهند وأفغانستان وجمهوريات الاتحاد السوفياتي الآسيوية وجمهورية منغوليا الشعبية، وأراضي منغوليا الداخلية في الصين، وكذلك بعض الأقطار والمناطق مثل إيران ومقاطعات منشوريا في الصين التي تشرف على البحار، ولكنها ذات روابط قوية مع منطقة آسيا الداخلية، ومن أجل ذلك تم استحسان استعمال مصطلح آسيا الداخلية في هذا الكتاب.

لقد ظهر هذا الكتاب بتضافر الجهود الشخصية والجماعية، وكانت نقطة الانطلاق هي المنحة التي قدمتها مؤسسة كارنيجيه، حيث تكوّنت بمساعدتها

ندوة آسيا الداخلية التي يمكن تسميتها لجنة دراسة الأراضي الداخلية، ومن خلال التركيز الجغرافي يتم البحث والدراسة منحصراً على منطقة الاتصال والاشتباك التي تقع بين الصين وروسيا وإيران والهند.

وقد ساعدت جامعة كولومبيا ومعهداها الخاص بالدراسات الروسية بمشاركة كل من الدكتور كارل هـ. منغر Karl H. Menges، والسيد توماس وينر Thomas Wiener في الندوة، كما قدم معهد هوفر ومكتبة الحرب والسلام في استانفورد صحفاً ومنشورات قيمة عن سنكيانغ، معظمها بالأويغورية، إلى جانب مواد صينية وروسية ومغولية وقازاقية وقيرغيزية ومانشورية، ولكن الاستفادة الأكثر كانت من مكتبة الكونغرس التي خصصت غرفة لأعضاء الندوة في سبيل تسهيل الاطلاع، وكذلك الدكتور أ.أ. هورفاث A.A. Horvath من بريستون في ولاية نيوجرسي، وكان العضو الزائر الذي كان كريماً بالمساعدة بتقديم بعض المراجع والكتب من مكتبته الشخصية، وملاحظاته القيمة عن المراجع.

وأما الاعضاء الذين لهم المساهمة المباشرة في إخراج هذا الكتاب، فهم:

السيد تشانغ تشيه يي Chang Chih-yi: زميل في المعهد العالي ومساعد باحث في أكاديمية سينيكا Sinica، وقد تلقى تعليمه في منشوريا، مما يعكس اهتمامه القديم بالمنطقة، وفي عام 1944م قام بدراسة ظاهرة ألواح الجنوب في سنكيانغ تحت إشراف أكاديمية سينيكا، وأما جهده في هذا الكتاب فهو يشترك في تحرير فصل: (الجغرافيا والتطور الاقتصادي).

الدكتور تشن هان سنغ Chen Han-seng عضو المعهد العالي فيما بين 1946-1948م، وباعتباره عضواً بارزاً في أكاديمية سينيكا Sinica قام خلال السنوات العشرين الماضية بدور ريادي في وضع قواعد ونظريات علمية حديثة في دراسة الاستيطان في منشوريا، وأثناء الحرب قام بعمل ميداني مستقل على الحدود الصينية - التبتية، والحدود الصينية - البرماوية، وهو مرجع ثقة في مجال الدراسات الاقتصادية والاجتماعية لمختلف المناطق الصينية، كما أنه أحد العلماء الصينيين البارزين في تاريخ الاقتصاد الزراعي، و صاحب الرأي المتميز في تطور مجتمعات الحدود غير الصينية التي تأثرت بالثقافة والسيطرة الصينية، و يتجلى مساهمته في هذا الكتاب في الفصول التي تعالج السياسة الصينية والبنية الاجتماعية وآسيا الداخلية على مفترق الطرق.

الدكتور جون ده فرانسيس John De Francis من هيئة المعهد العالي الذي كان مساعدي الكفاءة في إدارة أعمال

الندوة وتنسيق عمل الأعضاء، كما قام بنفسه بأهم أجزاء الكتاب في تحليل مختلف المذاهب الوطنية في سنكيانغ وعلاقتها المتميزة والمتشابهة مع القوميات، ويتميز الدكتور ده فرانسيس من بين علماء الاجتماع الأمريكيين بأنه صاحب دراسات رائدة في ميدان دراسة الوطنية في الشرق الأقصى، ولا سيما فيما يعبر عنه ( بقومية اللغة) وبعض الإشكال الأخرى للثقافة القومية، ويعد كتابه: (الوطنية والإصلاح اللغوي في الصين)<sup>1</sup> دراسة قيمة لمعالجة الموضوع في الصين المعاصرة، وفي سبيل تحقيق هذا العمل والموضوعات المشابهة له، قام الدكتور ده فرانسيس برحلات خاصة إلى منغوليا الداخلية وشمال غرب الصين، ثم اهتم ببحث تاريخ الصين القديم، وكذلك درس لفترة طويلة متوأصلة الأدب النظريّ والبرامج السياسية لكل من الكومنتانغ والأحزاب الصينية السياسية الأخرى والحركات الفكرية، ومساهمته في هذا الكتاب تتركز في الفصل الخاص بشعوب سنكيانغ.

السيدة الينور هولغيت لاتي مور Eleanor Holgate Lattimore عضوة متطوعة في الندوة، قامت بتسجيل كافة المناقشات التي جرت في الندوة، كما راجعت الكتابات التمهيديّة والتحليلية، وكذلك التسجيل النهائي لها، وبدونها ما كان لهذا البحث الجماعي أن يحقق التكامل المنشود.

الدكتور كارل هـ. منغز من جامعة كولومبيا شارك في أعمال الندوة ومناقشاتها بآرائه ومعلوماته عن لغات آسيا الوسطى وتاريخها، وعلاقات اللغة بالجوانب الثقافية الأخرى، وهو خبير في لغات ترك - مغول أو الألتائية، مثلما هو ضليع

<sup>1</sup> Nationalism and Language Reform in China, Princeton University Press 1950

باللغة السلافية، وقد قام الدكتور منغز برحلتين إلى جمهوريات آسيا الداخلية السوفياتية في فترة ما بين الحربين العالميتين؛ لجمع المواد المتنوعة، كما نشر نصوصاً أدبية من سنكيانغ<sup>1</sup>، ودرس وساهم في أعمال الندوة بترجمة المواد من مكتبة هوفر.

الدكتور دانيال ثورنر Daniel Thorner عضو هيئة التدريس في المعهد العالي فيما بين 1947-1948م، والأستاذ المساعد حالياً في برنامج دراسات مناطق جنوب آسيا في جامعة بنسلفانيا، وقد عمل فترة في إدارة الاقتصاد الخارجي للولايات المتحدة في الهند في أثناء الحرب، وكانت له بحوث عن التطور الاقتصادي والسياسي الحديث في الهند في العقد الماضي، ودراسة الصراع الأنجلو-الروسي في آسيا الداخلية، وفي هذا الكتاب ساهم في كتابة فصلي: (الصراع الأنجلو-الروسي، وآسيا الداخلية في مفترق الطرق) بالإضافة إلى أن زوجته السيدة أليس ثورنر ساهمت في تحرير تأثير الأدب العالمي على الفن والأدب في سنكيانغ.

السيد توماس وينر Thomas Wiener من جامعة كولومبيا الذي قام بدراسة القومية في آسيا الوسطى السوفياتية، وخاصة القومية القازاقية في القرن التاسع عشر قبل الانضمام إلى الندوة، فقد اشترك في كتابة فصل القوميات وملحق الأدب والمهارة اللفظية في هذا الكتاب.

<sup>1</sup> -Volkskudliche Texte aus Ost-Turkistan, aus dem Nachlass von N. The.Katanov herausgegeben, Berlin, I,1933, II,1943, (Dr Menges` s name was suppressed when these volumes were published in Germany)

ومع أن جميع دراسات وبحوث هذا الكتاب تعود إلى الأعضاء، ومساهماتهم العلمية في معظم أجزاء هذا الكتاب، إلا أن جميع الفصول وُضعت بعد مداولاتها ومناقشاتها من طرف جميع الأعضاء، وأما القرارات النهائية وماهية البحث وكيفيته، فتعود إلى شخصي - وعلى الرغم من أن جميع الحقائق المذكورة في هذا الكتاب عولجت بعناية وصيغت بدقة، ولكن يحتمل أن يظهر بعض الأخطاء فيما بعد، كما أنه بالإمكان دائماً معارضة الآراء، وعلى أي حال فأنا المسؤول الوحيد عن أي أخطاء إن وجد.

اوين لا تيمور

## فهرس الكتاب

المقدمة

أولاً - مركز جديد للجاذبية في العالم

سنكيانغ محور آسيا

المدخل التاريخي

القوى المسيطرة على مركز الجاذبية

ثانياً- الصراع الأنجلو - الروسي في سنكيانغ فيما بين 1800-1917

توسع امبراطوريتي بريطانيا وروسيا

يعقوب بك: مغامر آسيا الداخلية



عصر الإمبراطوريات المستقرة قبل الثورة الروسية  
 ثالثاً- السياسة الصينية في سنكيانغ  
 قمع ثورة المسلمين  
 الحكومة البيروقراطية والإقطاعية  
 شنغ شيه تساي Sheng Shih-ts`ai: حرباء الحرب  
 انهيار سياسة الحدود الصينية  
 رابعاً- شعوب سنكيانغ  
 السكان  
 القوميات وصفاتها  
 الأويغور... الأكثرية السكانية في سنكيانغ  
 بقية القوميات وأماكنها  
 القوميات المهاجرة  
 خامساً- الجغرافيا والتطور الاقتصادي  
 الجبال- الصحراء- السهوب - الشعوب  
 البدو الرعاة  
 زراعة ألواح  
 التجارة والاقتصاد  
 سادساً- البنية الاجتماعية  
 بقايا الإقطاعية  
 عصور المركزية واللامركزية  
 مخلفات التاريخ

سابعًا- آسيا الداخلية على مفترق الطرق  
 الثورة الروسية وتأثيراتها  
 سنكيانغ في ظل اليابان  
 وصول الثورة الصينية إلى سنكيانغ  
 الكومنتانغ - الصينيون الشيوعيون - روسيا المتاخمة  
 الملاحق:  
 الفن القديم وعلم الآثار الحديث  
 الأدب والمهارة اللفظية للأويغور والقازاق والقيرغيز  
 الحدود العالمية في بامير  
 سنكيانغ والقرض الأجنبي الأول للصين  
 مقاطعات سنكيانغ  
 تربة سنكيانغ  
 أسماء بعض الأماكن في سنكيانغ ومرادفاتها

## الفصل الأول: مركز جاذبية جديدة في العالم

### سنكيانغ: محور آسيا

يتكون مركز جاذبية جديدة في العالم، وإن كان موقعه في الصين، إلا أن القوى السياسية التي تغزوه من روسيا، بالإضافة إلى الأفكار والتيارات التي تصله من أمريكا، مع ما في المركز من تيارات دينية- وما ينتقل إليه من الشرق الأوسط- وثقافية وفكرية وسياسية تدخل إليه من الصين وروسيا والهند.

وتحتل سنكيانغ أكبر جزء من محور هذا المركز الجاذبي الجديد في آسيا الداخلية الصينية، ومثل الهند الصينية فإن 90% من سكانها من غير الصينيين، بل يشعرون أنهم مستعمرون، وغير مواطنين في الجمهورية الصينية، وينقسمون مثل شعوب الهند إلى مجموعات مختلفة دينياً ولغوياً، ولكن الشعور القومي المتنامي يعمل على توحيدهم أو تفريقهم بطريقة وأخرى.

والإسلام في هذه البلاد كما هو في الهند ليس ديناً فحسب، بل هو قوة سياسية، وأخيراً فإن معظم شعب سنكيانغ يتصل بروابط لغوية وتاريخية وقومية مع مختلف الشعوب في الاتحاد السوفياتي وجمهورية منغوليا الشعبية، وبدرجة أقل مع أفغانستان.

والدائرة ذات البعد الجغرافي القطري البالغ ألف ميل تتمركز في أرومجي عاصمة سنكيانغ، وتضم أنواعًا متباينة من التخوم أكثر تنوعًا مما قد لا يوجد في أي بقعة أخرى في العالم بتلك المساحة.

وفي هذا المركز تتاحم شعوب الترك والمغول والصين والتبت والهند وأفغانستان التي تتكلم بلغات تلك الشعوب السائدة في آسيا الداخلية، كما أن هناك تداخلًا بين المسلمين وبين معتقي الأديان البدائية والبوذية والمسيحية الأرثوذكسية والإلحاد السوفيياتي، وفيه أيضًا حدود سياسية تفصل بين الدول المستقلة والحكومات الاستعمارية، والشعوب المستعمرة والتابعة، والممالك التي استقلت حديثًا من ريع الاستعمار وبين مملكة أفغانستان وأمارة كشمير ودولة التبت الكهنوتية أيضًا، وكذلك يجتمع في هذا المركز حدود الاتحاد السوفيياتي ذي الاقتصاد الصناعي الحديث، وجمهورية منغوليا الشعبية ذات الاقتصاد البدائي السريع التغيير، وجرّف قبائل القازاق والمغول الرعوية التقليدية في سنكيانغ، والنشاط الزراعي القديم في الصين، وقد اخترقت هذه المنطقة— إلى حد ما— بعض وسائل التغيير الحديث مثل سكة الحديد، ولكن كل منطقة فيها تتميز بنشاط اقتصادي معين، مثل واحات آسيا الداخلية، والقيرعيز سكان جبال تنغري تاغ، وسكان الهضاب العالية مثل شعب سريغ كول في جبال بامير.

على أي حال في هذا المركز الذي يزدحم بالحدود والتباينات المختلفة، لا توجد فيه دولة واحدة تصلح أن تكون مركزًا لنشاط رأسمالي حرّ تنظمه سياسيًا مؤسسات ديمقراطية مثلما هو في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، وفي سنكيانغ أو في حولها في الهند وباكستان وأفغانستان ومنغوليا والصين لا توجد حركة سياسية واحدة تهتم بالدفاع عن ديمقراطية قديمة متأصلة؛ لأن هذه المناطق لا توجد فيها حركة ديمقراطية، بل لا يوجد في أي بقعة في آسيا اتجاه ديمقراطي يهتم بالشكل والمضمون مثلما هو معروف في أمريكا (1).

1 - المترجم: الباحثون يتضح أنهم من غير المهتمين بالحضارة الإسلامية والدارسين لها،

وسنكيانغ تحتل موقعًا محوريًا في خضم هذه المشاكل من التغيير والتبدل، وإذا أردنا فهم هذه المشاكل لأبد من دراستها بتمعن على ضوء نتائج تطورها التاريخي.

### المدخل التاريخي:

إن سنكيانغ تقع في نطاق النفوذ السياسي الصيني لأكثر من ألف عام، ولكن النفوذ والتحكم والسيطرة الصينية عليها كانت متقطعة، فعندما تهتم الصين بحروبها و تجارتها الخارجية مع جيرانها المتاخمين تصبح سنكيانغ مركزًا لاهتماماتها، وفي القرن التاسع عشر الميلادي عندما تعرضت الصين لنفوذ أجنبي؛ نتيجة لمعاهدة الموانئ الساحلية خبَّت أهمية سنكيانغ، ثم ما لبث أن تجدد الاهتمام بها في عهد الثورات الإسلامية، ثم عاد إليها الاهتمام حديثًا؛ لأن منطقة الحدود الصينية - السوفياتية كَلَّها غَدَتْ من المناطق التي تقرر ميزان القوى السياسية في العالم.

وإن المواد التاريخية لآسيا الداخلية وفيرة، فبالإضافة إلى سجلات التواريخ الصينية القديمة توجد مصادر مكتوبة بكافة اللغات المحلية في آسيا الداخلية نفسها، وقد اكتُشف بعضها فقط حديثًا وبشكل خيالي، والاكتشافات الحديثة لحضارة آسيا الداخلية القديمة بدأت في عام 1879م على أثر عودة عالم نبات روسي من تركستان، يحمل أخبارًا عن آثار مدينة قديمة قرب تورفان، اعتقدت أنها آثار مستوطنة رومانية، وبعد ذلك توالى الرحالة الأوروبيون العائدون منها، يتحدثون عن مدن قديمة مدفونة تحت رمال صحراء تكلامكان، كما حصل الرحالة على تماثيل صغيرة وصور خزفية وأوان فخارية ونقود معدنية وغيرها من الآثار الصغيرة، حصلوا عليها من باحثي

==

وعلى هذا فما ذكره عن الشعوب الإسلامية لا يتصف بالحقيقة؛ لأن التخلف الذي تعيشه

بعض الشعوب الإسلامية هي نتائج سياسة الاستعمار الأوروبي والأجنبي لها.

الكنوز المحليين، الذين اكتشفوها في الأماكن القديمة.

وعمومًا كانت هذه الأشياء على درجة عالية من الاتقان، وتمائل الأشكال اليونانية القديمة، وكان بينها أيضًا نصوصٌ بوذية قديمة، كتبت على لحاء الأشجار باللغة الهندية البدائية.

ولا توجد علاقات واضحة تربط بين فلاحي المسلمين البسطاء المعاصرين ورعاتهم وتجارهم وفنانهم، من سكان آسيا الداخلية في القرن التاسع عشر الميلادي، وبين تلك المكتشفات الفنية والأدبية القديمة، بيد أن التواريخ الصينية وخاصة تاريخ عائلي هان وتانغ، تذكر معلومات كثيرة عن عظمة عدد من ممالك ألواح في البلدان الغربية، تبدأ من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن التاسع، وفي مؤلفات الراحلين البوذيين الصينيين المشهورين: فا هسين Fa Hsien وهسوان تسانغ Hsuan Tsang اللذين عبرا المنطقة في القرنين الخامس والسابع الميلاديين، توجد أوصاف رائعة عن معابد وديرٍ عظيمة، كانت مراكز عبادة ودراسة في سنكيانغ حينذاك.

وفي عام 1890م بدأت البعثات العلمية حفرياتها لاستكشاف حضارة آسيا الوسطى البوذية المفقودة، ويعد فترة وجيزة من العمل أصبح واضحًا أن الآثار العلمية والأدبية المتوفرة كانت أعظم مما كان متوقعًا، وفي العقد الأول من هذا القرن انهمكت بعثات أثرية من إنجلترا وروسيا وفرنسا وألمانيا واليابان في منافسة حية لاستكشاف مواقع جديدة لأخذ المخطوطات واللوحات والتمائيل.

ومن آسيا الداخلية جلبت البعثات العلمية أقدم الآثار التاريخية لأقدم مجتمع إنساني، ويمكن الآن تتبع تاريخ آسيا الداخلية لما قبل التاريخ إلى عهد هجرات وتجارة العصر الحجري، التي نشطت في كل الأراضي التي تقع بين أوروبا والصين.

وفي فجر التاريخ كان التوزيع البشري على وجه الأرض ضئيلاً في مجموعات بشرية صغيرة جداً، لذا يخطئ من يعتقد وجود مناطق جغرافية تتحكم على أخرى في تلك العهود الغابرة، ولعل منطقتي البحر الأسود في أوروبا وحوض النهر الأصفر في الصين هما أكثر سكاناً من منطقة آسيا الداخلية الأخرى.

وقد عبر آسيا الداخلية أقدم طريق تاريخي للتجارة والسياحة والحضارات المتنوعة بين البحر الأسود وحوض النهر الأصفر، ولكن هذه الطريق التي ظهرت مع هجرات الإنسان العصري الحجري الأول تتضح شواهدا الأثرية في العصر الحجري الحديث (1)، وفي هذه الطريق ظهرت ثلاثة مجتمعات قديمة، ذات صلة و علاقة فيما بينها في الطريق الجنوبي التي سكنتها الشعوب الزراعية في ألواح التي تتوفر فيها المياه، وفي الطريق الشمالي حيث الغابات الشاسعة التي تمتد من روسيا عبر سيبيريا إلى منشوريا حيث عاشت فيها قبائل الغاب، وفي الوسط بينهما استوطن البدو الرعاة .

وكانت جماعات البدو الرعاة هي ثالث مجتمع يتكون أخيراً بعد المجتمعين الأولين، بل هو في الواقع انبثق منهما، ذلك لأن بعض الصيادين تمكن من تأنيس الحيوانات، ثم انتقل يرهاها في المراعي، وبالمثل فإن جماعات من سكان ألواح في الجنوب تمكنت من تأنيس الحيوانات وتركت حرفة الزراعة، وتحركت إلى السهوب تمارس الرعي، وهكذا تشكّل بدو السهوب، وكانت لهم صلات بكل من قبائل الغاب والشعوب الزراعية، وأصبحت منطقة الطريق التي استوطنها هؤلاء البدو مجتمعاً ينبض بحركة التجارة والهجرة والغزو.

وعبر هذا الصمام بدأت الصين تمارس ضغطاً على آسيا الداخلية في عهد عائلة هان (206 ق.م. - 220م.) وكانت الصين قد أصبحت إمبراطورية متحضرة، يقوم اقتصادها على الزراعة داخل حدودها الذاتية، ومثل الإمبراطورية الرومانية المعاصرة لها واجهت في الشمال مشاكل البربرية التي ترفض الحضارة الصينية، وتقاوم سيطرة الدولة الصينية.

وقد ظهرت السياسة الخارجية الصينية الأولى في أسلوب

<sup>1</sup> -J.G.Andersson: Der Weg Uber Die Steppen in Bulletin of the Ostasiatiska Samlingarna ,No.1, Stockholm 1929

معالجتها لمشكلة برابرة الشمال، وبدأت بالتفكير في عزل البرابرة طبيعياً عن الأراضي التي يسكنها الصينيون الزراعيون والمتمدنون، فَبُنِت السور العظيم، مثلما عملت الإمبراطورية الرومانية مع البرابرة التيتونيين والسلافيين.

ومهما يكن فقد اكتشف الصينيون بأن البرابرة الذين صدّوهم عن حضارتهم بالسور العظيم، وتركوهم في الظلام، لم تكن جماعات متوحشة، بل يملكون قدرات اجتماعية وسياسية وعسكرية، تمكنهم من التغلب على السور العظيم وسياسة الصين الحدودية، إذ أدرك البرابرة بأن قبائلهم الصغيرة المتنازعة لن تصمد طويلاً في مقاومة الإمبراطورية الصينية القوية، فأشعلت الحروب القبلية بينها، بسرعة أدت إلى إخضاع رؤساء القبائل الصغيرة لحاكم أعلى يخضع له جميع البدو، وهكذا ظهرت إمبراطورية الهون المتحدة.

وتقع سنكيانغ بعد نهاية السور العظيم في الشمال الغربي في آسيا الداخلية، وفي الطرف الجنوبي الغربي لإمبراطورية الهون (هسوينغ- نون Hsuing-nu)، وأصبحت بهذا الموقع منطقة إستراتيجية هامة، و لكن واحات آسيا الداخلية الخصبة المتناثرة في الصحاري والسهول والجبال، استطاعت أن تكوّن مدناً مزدهرة، إلا أن ذلك لم يساعدها على تأسيس دولة قوية، كما أن بعدها عن الصين، وصعوبة المواصلات بينهما، حال دون إلحاقها بدولة الصين اقتصادياً، وبقيت هذه الواحات تتاجر مع الهون، وتدفع لهم الجزية، ومع ذلك كان مصدر خطر لهم، ثم رأت الصين ضرورة احتلال أكبر عدد من الواحات، لتستخدمها نقاطاً عسكرية، تقوم فيها بدور الدولة الحامية، وتمنع سقوط بقية الواحات في يد الهون، وأن تكون التجارة معها وليس مع الهون، وهكذا كانت دوافع التوسع الصيني في آسيا الداخلية سياسية وتجارية على المدى الطويل، وكان هدف سياستها الاستعمارية هو ربط الواحات بالصين، ولم يكن باعث ذلك النمو الاقتصادي في البحث عن أسواق تروج فيها لمنتجاتها الفائضة.

وفي أثناء تغلغل الصين في سنكيانغ لأول مرة لم يجد الصينيون حياة بربرية فحسب، بل حضارة مدنية زراعية رفيعة المستوى مثل



حضارتهم، وهناك قصة من القرن الأول تفيد بأن شعب آسيا الداخلية على الرغم من تقديره لقوة الصين، لم يُقبل على حضارتها، فقد أقام ملك كوجار في البلاط الصيني عامًا، ثم عاد إلى بلاده مع زوجة صينية، وبنى قصرًا على الطراز الصيني، واقتبس من الصين طراز المعابد والعادات والموسيقى والنظم الإدارية، بيد أن شعب كوجار سخر منه مستهزئًا من هذا التقليد، واصفًا إياه بالبغل ( الذي يكون من الحصان والحمار).

إن حضارة واحات آسيا الداخلية العالية ازدهرت من احتكاكها بالمناطق الحضارية المجاورة، وفي الجنوب أسس جاندراغوبتا Chandragupta - معاصر الإسكندر الأكبر، الذي يسميه اليونانيون ساندروكوتس Sandrocottus - إمبراطورية في شمال غرب الهند، وهي أهم دولة متحضرة آنذاك، وحفيده اشوكا Ashoka الذي اعتلى الحكم تمامًا قبيل بدء حكم عائلة هان في الصين، وجعل البوذية دين الدولة، وفي الحال بدأت البعثات البوذية تنتقل بين واحات آسيا الداخلية بهدف نشر البوذية، ومنها دخلت البوذية إلى الصين، ومنها أقبل الصينيون إليها يأخذون تعاليم البوذية ويعودون إلى بلادهم بأفكار وعادات وثقافة عالية، قوبلت بالاستحسان.

وفي هذا التاريخ حدثت اتصالات الصينيين بالمراكز الحضارية في إيران غرب آسيا الداخلية، وهي وإن كانت أقل أثرًا مما جاء من الهند، لكنها ذات أهمية، إذ إن من منطقة إيران انتقلت إلى آسيا الداخلية هندسة الري المتطورة، التي ساعدت أهالي الواحات الصغيرة ذات الكثافة العالية من السكان، والحضارة الرفيعة، في تأمين غذائها، ومن واحات سنكيانغ اقتبسها الصينيون، وفي عهد عائلة هان في الصين كانت كل إمبراطورية عظيمة في العالم آنذاك قد توسعت عن مراكزها، وأحاطت حدودها بسور يعزل البرابرة عنها، وفي المنطقة التي تقع بين إيران والأراضي السوفياتية المعروفة اليوم كان التباين الجغرافي ليس واضحًا بين منطقة تلائم الزراعة

وأخرى تناسب الرعاة، كما هو على طول السور الصيني العظيم، ولكن شيدت في هذه المنطقة أسوار للحدود، بهدف منع اعتداءات البدو (1) كما حدث في القديم (2).

ويتضح من بناء الإمبراطورية الرومانية لأسوار على حدودها، بأن هذه ظاهرة مشتركة للحضارات في تلك الفترة، حيث إنها جميعاً عانت من الممالك البربرية في الشمال، وواجهت تهديدات مؤقتة، ولكن لم ترغب في غزوها والسيطرة عليها؛ لأن إقامة أسوار الحدود تشير إلى خط إقامته الدولة بهدف الدفاع عن نفسها، ولا ترغب في التوسع إلى خلفه.

وتشابه هذه الإمبراطوريات القديمة في كيانها و مشاكلها التي واجهتها على طول حدودها بصفة رئيسة، وذلك لأن قبيل تلك الفترة مرت عليها بضعة قرون من التطور السريع الملحوظ، فقد أصبح الحديد أكثر شيوعاً، ولم يحتل مكان البرونز فحسب، بل أصبح استعمال الحديد ممكناً في تصنيع الأسلحة وفي أدوات الزراعة التي كان يتم صنعها من الحجر في العصر البرونزي، وتكاثرت الجماعات الزراعية بسرعة أدت إلى انتشارها واستصلاح أراضٍ لم يسبق زراعتها، ثم أصبح العالم الزراعي الذي يمتد من بريطانيا إلى المحيط الهادي أكثر تماسكاً ورغبة في عزل برابرة الغابات والسهول، ثم تنوعت المهن، وظهرت حرف تخصصية في الممالك المتحضرة، كما توثقت العلاقات المدنية، وصارت الطبقات الزراعية والاجتماعية متميزة بعضها عن بعض، وأخيراً برزت دول سياسية متطورة ذات اتساع جغرافي وكيان معقد، وتلا هذا الازدهار السريع فترة انحطاط فيما بين (200-600م).

وأصاب الدول العظيمة الإجهاد من الاستنزاف الاقتصادي، بسبب حروبها على الحدود، وكذلك برزت الأزمات الداخلية بسبب تزايد

<sup>1</sup>- W.Barthold , Histoire des Turcs d`Asie Centrale , 1945, p.32

<sup>2</sup> -K.Grinevich , “ Deferense of the Cimmerian Bosphotous” Journal of Ancient History , Moscow , Leningrad , 1946, No.2 , pp.160-164

الأثرياء غنى والفقراء فقراً، وتشكلت ممالك جديدة في هذه الفترة، ومنها دول الحدود التي نزعت إلى سيادتها، وفضّلت سيادة البرابرة الغزاة.

وفي الصين كان اتجاه الحكام في اعتناق البوذية التي تمثل معلماً حضارياً هاماً في استمرار الاتصال بآسيا الداخلية، وفي هذا الوقت- أي في القرن الخامس الميلادي- عبر الرحالة الصيني فا هسين Fa Hsien واحة خوتن<sup>(1)</sup> في طريقه إلى الهند، ووصف أربعة معابد عظيمة وعدداً من الأديرة الصغيرة، وأقام مع رفقائه الصينيين في أحد المعابد التي تتسع لثلاثة آلاف راهب في وقت واحد، يتناولون طعامهم بانتظام وهدوء، كما وصف معبداً جديداً قرب المدينة، ويقول: إن بناءه استغرق ثمانين عاماً، واستمر ثلاثة عهود، وهذا المعبد رائع الزخرفة بديع النقوش المغطاة بالذهب والفضة والمنمقة بالأحجار الكريمة، وأما قاعة البوذا فهي آية في الجمال والفخامة، عوارضها وأنصابها وأبوابها ونوافذها مواشاة بالذهب، وبجانبيها حجرات الرهبان الرائعة التي يعجز البيان عن وصفها<sup>(2)</sup>.

ولاشك أن فخامة هذه المباني وزخرفتها الفنية الغنية تعكس بالطبع ثراء دول الواحات وتجارتها الرانجة، كما يعني أيضاً وفرة الغذاء الناتج من أراضي المعابد الزراعية، وإنجاز مثل هذه المشاريع العمرانية الضخمة يكون قد تم جزئياً بتشغيل العبيد في فصل الشتاء، وكذلك استخدام أسرى الحروب التي نشبت بين الممالك البربرية، ثم استعبدتهم سكان الأراضي المتحضرة بالشراء، وهناك طريق يأتي منه

1 - لمعظم المدن الكبيرة في سنكيانغ ثلاثة أسماء على الأقل: اويغورية - قازاقية مغولية، وفي عهد الحكم المانشوري والجمهوري استعملت الاسماء الصينية، وبعضها أيضاً تحمل أسماء أخرى، وفي هذا الكتاب جرى استعمال الاسماء التي يطلقون عليها باللغة المحلية تجنباً للالتباس

2 - الفصل الثالث , Fa Hsien`s Travels , tr.and ed. By James Legge ,Oxford 1886

العبيد التي تمتد بالأخص نحو الغرب، وتقريباً في عام 600 م بدأت الإمبراطوريات تظهر مرة أخرى على مسرح التاريخ، حيث برزت في الصين عائلة تانغ Tang التي حكمت فيما بين 618-907م، كما ظهرت في هذه الفترة أيضاً الفتوحات العربية، وبلغت الإمبراطورية البيزنطية أوج قوتها ونفوذها، وتربع شارلمان على عرش الفرنج وإمبراطورية الرومان في عام 800 م.

وفي عهد عائلة تانغ كانت مراكز الجاذبية قريبة من المحيط الحضاري، وتمثلت القوة الاستعمارية في استخدام القوى العسكرية التي تكوّنت أصلاً من البرابرة، واستحصال الجزية من المنتوجات الزراعية والمدنية وعوائد التجارة، واعتمدت أمثال هذه الإمبراطورية على قدرتها في المناورات الحربية ضد البرابرة، وذلك بدلا من الاعتماد الكلي على أسوار الحدود، وعملا بالقاعدة التي تشير بأن تشكيل الحكومات بين البدو يتبع نمط الحكومات المتحضرة التي تكونت في الجوار، فقد ظهر في هذه الفترة عددٌ من الشعوب القبليّة في السهول، مثل أتراك الأورخون في منغوليا، والأويغور، وأمم تركية أخرى في آسيا الداخلية ودول الخزر والبلغار والبنجانك في السهل، ما بين بحري قزوين والأسود.

وفي هذه الفترة احتفظت سنكيانغ بموقعها المحوري بين الصين والهند وإيران، ثم بالسهل الروسي الجنوبي فيما بعد، واشترك في بناء حضارتها تيارات ثقافية قوية من الهند وإيران والشرق الأدنى مما كان من الصين، وسافر تجارها إلى الآفاق.

وفي القرن التاسع الميلادي وجدت جماعاتٌ من تجار سنكيانغ في شيآن (جانغان Changan) عاصمة تانغ الصينية و لويانغ Loyang في وسط وادي النهر الأصفر، ويانغ جو Yang Chou على نهر يانغتسي Yangtze وفي كانتون على شاطئ

الصين الجنوبي (1)، وقد حمل أولئك التجار معهم إلى تلك الأصقاع ممارستهم الدينية للأديان التي اعتنقوها مثل: الزرادشتية والمانوية والنسطورية المسيحية والبوذية ثم الإسلام (2)، إن رحلة الحج التقليدية من الصين عبر آسيا الداخلية إلى مراكز التعليم البوذي أدى استمرارها إلى تزايد النفوذ الصيني عمومًا، فعندما أتجه هسوان تسانغ Hsuan Tsang من قمول إلى الغرب في القرن السابع شاهد ثلاثة رهبان صينيين فقط، وبعد مائة عام تقريبًا وجدت جماعات من الرهبان الصينيين في كوجار وكاشغر وخوتن، وكان من أعمالهم إعطاء قروض ربوية للمواطنين.

ويكتب هسوانغ تسانغ نفسه عن مدينة آقسو فيقول: تقاليد الناس وطبقاتهم وطبائعهم وكتاباتهم تتماثل بما هو موجود في كوجار، وتختلف نوعًا ما لهجاتهم، وتجد عدة معابد وأكثر من ألف راهب في آقسو، ويتصف سكانها عمومًا بالخداع والطمع، وكثيرًا ما يمتهن القرض بين الأب وابنه، والناس لا يهتمون بالأخلاق، وكلهم يعبدون الثراء ويكاد الغني يعيش في بؤس، فهو رث الثياب ومقل في الطعام، ويظهر أن نصف السكان يشتغلون في التجارة، والنصف الآخر في الزراعة (3).

وفي هذا الوقت غزا التبتيون سنكيانغ وشمال غرب الصين، ولم يستمر بقاؤهم فيها كثيرًا، ولكن استمر سيطرتهم على المملكة الحدودية هسي هسيا Hsi Hsia أو تانغوت في شمال غرب الصين،

<sup>1</sup> - Hsiang Ta, " Tge Chang-an of the Tang Dynasty and the Civilization of the Western Regions " Yenching Journal of Chinese Studies , Monograph series No.2, Peiping 1933 ( in Chinese)

<sup>2</sup> -Wang Jih-wei " The Iranians in Sinkiang " in Yu-Kung Semimonthly, Peiping, Aug.1, 1935, Vol.3, No.11,p.1-9 ( in Chinese)

<sup>3</sup> -Hsuan Tsang ,"Ta T`ang His Yu Chi , Shanghai, 1922, Vol.I.( in Chinese)

وكانت عاصمة تلك المملكة في نينغشيا Ningshia على النهر الأصفر، وسكانها خليطٌ من المزارعين الذين يتكلمون اللغتين الصينية والتركية، ومن البدو والرعاة ولغاتهم التبتية والتركية والمغولية، ونتج عن هذا الغزو أن دخلت المؤثرات الزرادشتية والمانوية والنسطورية المسيحية إلى التبت من آسيا الداخلية، وساهمت في تحويل البوذية الشمالية إلى دين مرن جديد عرف بالبوذية اللامية.

والأهم من هذا كله هو حركة الغزاة الأتراك الأويغور والقرلوق والقيرغيز وغيرهم، فوجًا من بعد فوج، من أطراف السهول الشمالية في آسيا الداخلية وحواف غابات سيبيريا الجنوبية إلى مواضع وضعت في أيديهم طرق التجارة وسلطات ألواح، وبالتدريج اعتنق هؤلاء الأتراك الإسلام، وحلّت لغاتهم محلّ اللغات الهندو-أوروبية، والهندو-إيرانية التي كانت سائدة حتى ذلك الوقت في ألواح، وفي نهاية هذه العملية المزدوجة التي لم تكتمل حتى بعد زوال حكم عائلة تانغ الصينية سادت اللغة التركية بلهجاتها المختلفة كلّ الأراضي التي تمتد من حدود إيران إلى حدود الصين، وسيطر الإسلام على كل الطريق من شمال غرب الصين إلى البحر الأسود.

وإن أشكال الهجرات التي ساهمت في هذه التغيرات ذات أهمية بالغة، لأنها لم تترك أماكنها التي نشأت فيها أصلاً خالية تماماً، كما أنها لم تطرد سكان الأراضي التي استوطنتها، و لم تكن أشكال الحركات النموذجية التي يستخدم تفسيرها باصطلاح الهجرة والغزو لحركة عصابات المحاربين كاف لحركة شعب كامل انبثق من هذه الهجرات، ذلك لأن المحاربين من هذه الهجرات كانوا يشنون غارات على المدن بهدف النهب أولاً، ثم يستوطنها، إذ ليس من مصلحتهم إبادة السكان الذين يدفعون لهم الإتاوة، وكثيراً ما نجح الحكام المغلوبون في قيادة عصابات من أتباعهم على الهجرة والغزو إلى منطقة أخرى، وهكذا كان انتقال الاسماء القبلية أوسع من هجرة كل القبائل، وإن أحفاد الشعوب الهندو-أوروبية، والهندو-إيرانية الأصلاء في آسيا الداخلية بالرغم من تترك لغاتهم واعتناقهم الإسلام استمروا يشكلون جزءاً كبيراً من السكان، وخاصة في ألواح، وفي

القرن العاشر حدثت تطورات جديدة وبلغت هذه التطورات ذروتها في الغزوات المغولية التي بدأت في أوائل القرن الثالث عشر، واستمرت إلى أن تمزقت الإمبراطورية المغولية في القرن الرابع عشر، وفي هذه الفترة انتقل بدو السهوب الغزاة من ممالك نشأت على حدود المناطق الحضارية إلى إمبراطوريات تقع عواصمها وسط المناطق الحضارية القديمة، ومن هذه الزاوية لابد من ملاحظة التطورات التي حدثت في الصين والهند وإيران وجنوب روسيا، لقد أقام الخيتائيون- وهم من قبائل منشوريا الغربية ومنغوليا الشرقية- إمبراطورية لياو Liao وذلك فيما بين السور العظيم وسهول النهر الأصفر في شمال الصين، ثم أنشأ بعدهم الجورشيدي إمبراطورية كين Kin أو جين Chin وتقع بلادهم الأصلية في منشوريا على مسافة أبعد من السور الصيني العظيم من سهول الخيتائيين، ولكن انطلق محاربوهم عبر النهر الأصفر إلى مشارف نهر يانغتسي Yangtze (1).

ثم في بداية القرن الثالث عشر أدت فتوحات جنكيزخان إلى قيام إمبراطورية تمتد من شمال الصين إلى جنوب روسيا، ولكن تمزقت بسرعة إلى ممالك ودويلات يحكمها أبناؤه وأحفاده، وتمت عملية التقسيم بسرعة وفوضى، وظهرت دولة القبيلة الذهبية في جنوب روسيا، ودولة عائلة يوان Yuan في الصين، وهما أكثر الدول المغولية تماسكاً، أما في آسيا الداخلية فقد وقعت بينهما وتوجهت إلى

1 - عندما قضى الجورشيدي على دولة خيتاي هاجرت جماعة من الخيتاي عبر منغوليا إلى الشمال الغربي، وأسست دولة قره خيتاي في المنطقة التي تتجمع فيها حالياً حدود سنكيانغ ومنغوليا وسيبيريا، وخلال حكم دولتي خيتاي وجورشيدي خضع شمال غرب الصين لسيطرة دولة التانغوت أو هسي His Hsia التي كانت تحت نفوذ التبت، وبهذا لم تكن ألواحاح أو شعوب سهوب آسيا الداخلية تحت حكم الصين في هذه الفترة، كما أن الفتوحات الإسلامية قطعت علاقات آسيا الداخلية بالهند والصين والحضارة الإيرانية.

الاستقلال عنهما.

وقد انتهى حكم المغول في الصين ببزوغ دولة عائلة مينغ Ming في عام 1368م، وبعد قرن واحد من زوالهم في الصين ضعفت دولتهم في روسيا، وذهبت شوكة المغول عمومًا، وبعد الإطاحة بحكمهم انطلقت غزوات الصينيين إلى منغوليا، ولكن النفوذ الصيني كان محدودًا جدًا في آسيا الداخلية في أغلب فترة حكم عائلة مينغ 1368-1644م، ونادرًا ما امتد نفوذهم المباشر إلى ما وراء قمول وتورفان، وهما أقرب واحتين لهم في سنكيانغ (1)، والوضع حول آسيا الداخلية كان مماثلاً، فالحضارة التي عانت من وحشية المغول استعادت نشاطها، وقد ظهرت دول جديدة، وإن لم تكن قوية بالقدر التي يمكنها من غزو آسيا الداخلية، بالإضافة إلى ظهور البحّارين العرب والهنود والصينيين، واهتمامهم بالتجارة البحرية قلّ نسبيًا من أهمية المنطقة، ولولا ذلك لكانت آسيا الداخلية تؤدي دورًا بارزًا على تشجيع التجارة على الطرق البرية الطويلة، وتسبب هذا الأمر في إهمال شأن آسيا الداخلية بضعة قرون، وفي هذه الفترة ظهر عددٌ من الدول الصغيرة، ومع نهاية القرن السادس عشر الميلادي اختفت البقية الباقية من مظاهر البوذية والمسيحية في الواحات، واستقر الإسلام بدون منازع دينًا لسكان هذه المنطقة، ما عدا تمسك المغول بالبوذية التبتية (اللامية).

وفيما بين القرنين 14-17 حكم المغول من أحفاد المحاربين الذين أصبحت التركيبة لغتهم والإسلام دينهم هذه الواحات، وانفصل ملوكهم

<sup>1</sup> -D.Pokotilov, History of the Eastern Mongols in the Period of the Ming Dynasty 1368-1634 – Based upon Chinese Sources, St.Petersburg, 1893 (in Russian)

وقد نشرت ترجمة إنجليزية له أعدّها الدكتور رودولف لوينثال:

Rudolf Lowenthal at Chegtu m 1947 as No.I of Series A, Studia Serica m the Chinese Cultural Studies Research Institute m West China Uinon University



الذين يدعون انتسابهم إلى جغتاي ولد جنكيز خان- وهو ادعاء مشكوك فيه- من دولة جغتاي في تركستان الغربية في القرن الرابع عشر، وفي القرن الخامس عشر ظهر نوع جديد من الحكام، غير مألوف من الممالك الإسلامية، منهم الأمراء الدينيون، حيث نصب الخجوات أنفسهم حكامًا منافسين للملوك التقليديين (1)، ثم في القرن السابع عشر تولى الخجوات حكم واحات سنكيانغ مباشرة بعد تغلبهم على ملوك المغول المتحاربين.

وفي السهوب توزعت القوى إلى ثلاث مجموعات بدوية، فقد سيطر القازاق- وهم البدو الناطقون بالتركية- في آسيا الداخلية الروسية، وفي الشرق تولت قبائل خالخاس حكم المغول بعد حروب قبلية عدة في منغوليا الخارجية، أما في الوسط أي في شمال سنكيانغ ومنغوليا الغربية سادت قبائل أويرات التي يسميها الروس قالموق (2)، وهم من المغول الغربيين.

وفي عام 1400م، عندما اتخذ المغول في غرب وجنوب آسيا الداخلية الإسلام دينًا والتركية لغة، استمر مغول أويرات متمسكين بالمغولية لغة وبعدهم للإسلام، ثم شكلت قبائل أويرات تحالفًا حربيًا مكّنه من غزو غرب آسيا الداخلية والواحات الجنوبية والتبت، وفي أوائل القرن الثامن عشر الميلادي نصّب أفراد هذا التحالف أنفسهم

1- هذه الأسرة الجديدة من الأمراء الدينيين التي تنتسب إلى خوجه مخدوم أعظم، الذي ادعى أنه من أحفاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد جاء إلى كاشغر من بخارى، وتمكّن أفراد الأسرة من امتلاك الأراضي والحصول على الجزية والضرائب، مما جعلتهم نبلاء إقطاعيين علاوة على أنهم رؤساء دينيون.

2- كانت قبائل أويرات أصلاً من منطقة بحيرة بيكال ومن بويرات منغوليا الحالية، وقديماً تكونت قبائل هذه المنطقة من صيادي الغابات وبدو المراعي، وانتقال قبائل أويرات إلى آسيا الداخلية حدث في أثناء حروب جنكيزخان التي أدت إلى التغيير في تكون ونشوء قبائل المغول.

ملوكًا علي موطن المغول القديم كله، ومن أجل تحطيم هذه الدولة الفتية شنّ المانشوريون بعد استيلائهم على الصين حربًا ضروسًا ضدها، واستولت القوات المانشورية والصينية على سنكيانغ، وقضت على اتحاد المغول الغربي، وفي هذه الفترة بدء الروس في زحفهم إلى سيبيريا وآسيا الداخلية، وكذلك التوسع البريطاني في الهند إلى أفغانستان وبامير والتبت، وهذه العمليات الثلاث ساهمت في صنع تاريخ العالم الحديث.

بيد أنه في القرن التاسع عشر اندلعت ثورات المسلمين الدامية ضد المانشور في الصين وسنكيانغ، وبعد قمع هذه الثورات وضعت سنكيانغ تحت نظام حكم إداري مشابه لما هو سائد في المقاطعات الصينية الأخرى، حيث تحولت من مستعمرة إلى مقاطعة صينية في عام 1884م، وبعد عام 1911م، كانت سنكيانغ مقاطعة صينية بالاسم فقط، وذلك لأن ممارسة الحكام الصينيين لسلطاتهم الفعلية كانت عملاً شخصياً، مما أدى إلى الاستقلال في علاقاتهم الخارجية أحياناً، وعقد صلات مستقلة مع روسيا والهند، بل مع حكومة الصين الوطنية المركزية نفسها أيضاً، ويتمثل الوجود الصيني في سنكيانغ في صيغة علاقات حاكم المقاطعة الصينية بالحكومة الوطنية المركزية، مع استقلاله في علاقاته بالهند وبالأخص مع روسيا، وكذلك جهوده في إدارة سنكيانغ وسلطات الحكومة المركزية لمواجهة المطالب الوطنية لسكان سنكيانغ غير الصينيين.

والشعور الوطني في سنكيانغ قد انبثق حديثاً من الثورات القبلية والإسلامية التقليدية ضد الحكم الصيني، واتخذ أشكالاً جديدة في ثلاثينات هذا القرن عندما تولى حكم سنكيانغ مغامرٌ عسكري صيني يسمى: شتغ شيه تساي Sheng Shih-ts`ai الذي طلب تعزيزات عسكرية من الصين؛ خشية إبعاده من الحكم، وانتهج سياسة جديدة بالاعتماد على مساعدة قومية ضد أخرى، ومنع ائتلاف القوميات وتوحيدها، وكذلك كان قد شجّع على التجارة مع روسيا، وحصل على قروض روسية، وبعث بالطلاب الأويغور وغيرهم إلى الاتحاد السوفياتي بهدف التعليم والتدريب الفني، ثم فجأة في عام 1943م

قطع صلته بروسيا، وعاد لسيادة حكومة الصين الوطنية، ثم أعاد سياسة العنف ضد القوميات في وقت كانت الوطنية قد تأصلت في نفوس سكان سنكيانغ.

واليوم في سنكيانغ توجد حركتان وطنيتان، أحدهما تقول بأن تركستان الشرقية للأويغور، وتعمل على نيل الحكم الذاتي من الصين، وفي نفس الوقت تحاول بسط سيطرة الأويغور على القوميات الأخرى، وأما الحركة الثانية فتقول بالوحدة الوطنية، ويتمركز دعائها في غولجيه، وتسعى هذه الحركة إلى توحيد القوميات الأخرى في ائتلاف وطني واحد، ولكنها مثل حركة أذربيجان الوطنية في إيران تميل إلى الاتحاد السوفياتي، فقد ولد وتعلم بعض زعمائها في الأراضي السوفياتية.

### القوى المسيطرة على مركز الجاذبية:-

إن مشاكل الصين الاستعمارية في آسيا الداخلية قد صاغتها القوى السياسية الكبرى المحيطة بها، والمصالح السياسية لأمريكا وبريطانيا شديدة الحساسية لمتغيرات المنطقة التي تلتقي فيها حدود الصين وروسيا والهند، وقبل عصر كولمبوس كانت حركة الإنسان ومشاريعه على اليابسة أكثر نشاطا وأهمية مما هي في البحار المالحة، والرحلات البحرية والاستكشافات الأولية التي عبرت محيطات الهند والأطلسي وحتى الهادي، وبلغت جزر المحيط الهادي انطلقت من آسيا، وهي جزء من اليابسة موطن نشاط الإنسان بين تلك المحيطات، علاوة على أن اتصال الثقافات والحضارات الإنسانية العظيمة تم في منطقة أوراسيا وشمال أفريقيا.

ومع رحلات الملاحين البحرية والإتجار الواسع بدء عهد جديد من التاريخ في نهاية القرن الخامس عشر، حيث تم استيطان أمريكا الشمالية واستعمار أمريكا الوسطى والجنوبية، وغزو الهند و جنوب شرق آسيا، وقد نتج عن نشاط الإنسان الأوروبي في البحار على إثر هذا النشاط الجديد الانصراف عن آسيا الداخلية التي كانت حلقة اتصال عالمي، مما أدى إلى فقد أهميتها التجارية والاستراتيجية، ثم

تلى تلك الفترة وقت يقدر بخمسين عاما من 1580-1630م، اتجه مختلف أنحاء العالم في اتجاه واحد مما شكّل التاريخَ الحقيقيَّ لعالم جديد، ذلك لأنه في عام 1590م دفع الروسُ باليرماك إلى سيبيريا للاهتمام بتجارة الفراء، وفي عام 1595م بعد أن أسس بوريس غودنوف Boris Godunov مصنعا لصناعة البنادق في تولا، توجه طمُع الروس نحو الشرق أكثر، حيث شعوب سيبيريا وآسيا الداخلية التي كانت أسلحتهم القوس والسهام، وفي عام 1600م أو بعده بقليل أسس البريطانيون والألمان والفرنسيون شركات الهند الشرقية، وتوفي أكبر في عام 1605م، وكان المؤسسَ الحقيقيَّ لإمبراطورية المغول في الهند، وكان معاصرا للملكة اليزابيث ونورهاجيه Nuhacih مؤسس عائلة المانشور الحاكمة في الصين، الذي أصبح إمبراطورا في عام 1616م، مع أن إمبراطوريته لم تثبت إلا في عام 1644م، أي: بعد وفاته في عام 1637م، ووصل الروس إلى لينا في عام 1620م، وفي الوقت الذي كان المانشور يقيمون حكومتهم في الصين كان الروس قد وصلوا إلى نهر أمور والمحيط الهادي، وهكذا بدء التاريخَ الحديث.

وبعد أن هزم البريطانيون الإسبانَ في موقعة أرمادا في عام 1588م، وقدم اليرماك سيبيريا هدية إلى إيفان الرابع IVAN IV أوجد البريطانيون والروس أكبر إمبراطوريتين في العالم، وفي نهاية القرن التاسع عشر، وعندما بلغ الاثنان أقصى توسعاتهم تقابلت حدودهما وهما يتسلقان بامير سقف العالم، ويمسكون بالخناجر في أفواههم، وينظرون إلى بعضهم البعض بشكٍ وحذرٍ من خلال ممرات جبال هندكوش.

وأكدت الظروف الجغرافية على التباين الجوهري بين إمبراطوريتي بريطانيا وروسيا، حيث كانت الإمبراطورية البريطانية ذات فعالية أكثر اقتصادياً، فالمستعمرات البريطانية الواسعة تفصلها طبيعياً محيطاتُ العالم عن بريطانيا الأم نفسها، وفي مستعمراتها مثل كندا وأستراليا ونيوزيلندا وجدت مستوطنات بريطانية فعلا تشرف عليها مؤسسات بريطانية في حكم مستعمراتها المكتظة بالسكان مثل

الهند، وجلبت إليها قوات حربية وأعدادًا من الإداريين ورجال الشرطة إلى جانب شخصيات اقتصادية وإدارية، وفي المقابل أخذت بريطانيا منها السلع والمواد الخام، ثم بعد ذلك صدرت إلى الهند رؤوس الأموال وأجهزة التصنيع للإنتاج والنقل، وحصلت منها ليس على كميات متزايدة من المواد الخام فحسب، بل على سلع مجهزة ومواد شبيهة مصنعة، وبعض هذه المنتجات ذهبت مباشرة إلى التجارة العالمية بدون المرور إلى بريطانيا، وقد كانت على درجة عالية تنافس المنتجات التي صنعتها بريطانيا نفسها.

وقد نجحت هذه العمليات كلها بالاعتماد على الاستغلال الجيد للمواصلات المائية الرخيصة، حتى إن القوة البحرية البريطانية انحصرت بصفة رئيسية في أسطولها الذي كان ذات قدرة فائقة في التمركز في أي منطقة على أي ساحل في العالم، واستطاعت أن تقطع خطوط التموين لأي منافس آخر، ومع أن عدد الرجال الذين سحبتهم من مراكز الإنتاج وجندتهم في البحرية الملكية وجيش البعثات الحربية الصغيرة كان أقل بكثير من عدد الجنود الفعليين الذين قدّرت الجهات المحايدة وجودهم في الجيوش الروسية أو الألمانية الضاربة حينذاك.

وعندما يتباين التطور الاقتصادي في أجزاء مختلفة من العالم كثيرًا، أصبح رخص المواصلات المائية عاملاً حيويًا في نقل الخبرة والأجهزة إلى مناطق مختلفة، وكذلك في جلب المواد الخام إلى مراكز الصناعة المتطورة، فالإمكانيات الصناعية وامتلاك السفن ساعد بريطانيا في السيطرة على صناعة النسيج الحديثة في الهند لوقت طويل، فالهند تزرع القطن وبريطانيا تصنعه وتبيع نسيجه إلى الهند، بالإضافة إلى أنها تربح من نقله في كلا الاتجاهين، وأما مساهمة هذا العمل في تطوير الصناعة في المناطق التي تنتج المواد الخام، فقد اتجهت عملية التبادل من التحول إلى الكماليات بعد أن كان للضروريات، وظهر هذا التغيير سياسيًا في أهمية الطاقات الدولية التي بزغت من تحول عملية فرض المعاهدات إلى عقد اتفاقيات

متبادلة بالتفاوض على أساس المساواة، وهكذا استقلت صناعة النسيج الهندية بعد طول معاناة، ولكن بريطانيا التي لا تزال تشتري القطن والمواد الخام الأخرى من الهند، ولا تزال تساوم في علاقاتها التجارية مع الهند.

وعلى نقيض الإمبراطورية البريطانية التي انتشرت مستعمراتها في كل أنحاء العالم، وفصلت بينها محيطات وبحار، فإن مستعمرات روسيا القيصرية تجمعت على يابس شاسع متصل، ومع أن أحد المؤرخين البارزين وصف التوسع الروسي بأنه الاندفاع نحو البحر<sup>(1)</sup>، ومع ذلك لم يعمل الروس في بناء إمبراطورية بحرية بعد وصولهم إلى المحيط الهادي، وقد حصلت روسيا على الأسكا، ولكن باعها طواعية واختصرت ممتلكاتها في كتلة اليابسة الشاسعة التي تمتد بين أوروبا وآسيا، وأوجدت روسيا أمة ثم جعلت من تلك الأمة سادة للإمبراطورية، وقررت التداخل مع الشعوب البدوية في حدود السهوب، وأصبحت الحروب الطبقية والسياسية بينها حروباً وطنية لكل من الروس وغير الروس، وعندما كانت خانات البدو هم السادة كان نبلاء الروس أتباعاً لهم وحكاماً على شعوبهم، و بالعكس لما غزا الروس السهوب دخل أمراء السهوب في خدمة الروس مع احتفاظهم ببعض امتيازاتهم<sup>(2)</sup>.

وهكذا فإن تماثل مصالح الطبقات الحاكمة بين الروس وغير الروس كان عاملاً هاماً في بناء الإمبراطورية، فقد كان معظم نبلاء غير الروس أعداءً للروس لأقصى درجة، ذلك لأن امتيازاتهم انتقلت إلى الأمراء الروس، ولكن عندما ضمنت لهم الدولة الروسية تلك الامتيازات في استمرار سيادتهم الاسمية لم يعد أولئك الأمراء المحليين زعماء ثورة وطنية ضد الروس، وبالتالي عندما اندلعت

<sup>1</sup> Robert J. Kerner , The Urge to the Sea , Berkley 1942

<sup>2</sup> -Owen Lattimore ,”Inner Asian Frontiers “ in the Journal of Economic History , Vol.7,pp.24-52 , May 1947, and The Situation in Asia, Boston 1949, p.16

الثورة الروسية ظهر الجناح اليساري من أفراد الشعوب غير الروسية، الذي يؤيد الثورة الروسية ضد طبقة النبلاء الذين هم منهم، تمامًا كما كانت الثورة ذاتها ضد الحكومة الروسية، وهذا التداخلُ أوجدَ مصلحةً مشتركةً وعلاقةً وثيقةً بين اليساريين والبلاشفة، ليس بهدف القضاء على دولة القيصرية فحسب، بل في تدمير المجتمع الذي انبثقت منه الدولة، ثم طبعت هذه المصالح المشتركة الإطارَ الدستوري للسياسة القومية الشيوعية الذي صاغه ستالين نفسه، وهذه السياسة التي هي وطنية في الشكل واشتراكية في المضمون، أتاحت إقامة دولة اتحادية قامت على ائتلاف دائم بين الشيوعيين الروس وغير الروس، وقد وحدت هذه السياسة بين دعاة الانفصال الوطنيين الذين يرون المحافظة على صفاتهم القومية والثقافية الذاتية، بعد أن تحققت آمالهم في جمهوريات ومناطق حكم ذاتي دستوريًا، ثم كوّنت تلك الوحدات الجغرافية السياسية دولة اتحادية بموجب قوانين سياسية واقتصادية.

والإمبراطورية القيصرية الروسية التي تجمّعت على اتساعها في قطعة يابسة واحدة، اختلفت اقتصاديًا عن الإمبراطورية البريطانية المتناثرة؛ لأن قدرة روسيا في الاغتناء من الأراضي التي استولت عليها وضممتها أقل كفاءة من بريطانيا، وذلك بسبب الاختلاف بين غلاء الموصلات البحرية ورخصها، حتى عندما أصبح جزءً من تلك الطريق البري يتم عبر نظام الموصلات النهرية في غرب الأورال في الأراضي الروسية، كانت الموصلات مكلفةً أكثر كما يتضح من تكلفة المنسوجات القطنية ذات الاهتمام الكبير في روسيا، فقد ازداد المشتغلون في هذه الصناعة، وزراعة القطن في آسيا الوسطى الروسية، واحتكار صناعتها في البلاد الروسية نفسها، بيد أن زراعة القطن حول تاشكند وسمرقند، ثم نقله بالقطار إلى موسكو وغيرها من مراكز صناعة النسيج، ثم بعد ذلك تصدير الأقمشة القطنية للمستهلكين في الإمبراطورية عبر الأراضي الشاسعة، جعل الربح أقل والتراكم الرأسمالي أدنى مما كان ينتج من نظم الشحن البريطاني، الذي يتم بالبحر بين أمريكا ومصر والهند ومانشستر، والثورة

الاقتصادية التي نظمها الشيوعيون كانت متطرفةً مثل ثورتهم السياسية، التي عالجت هذا الاختلاف، فقد اتجه التصنيع المباشر للمواد في أماكن مصادره في آسيا الداخلية وشرق سيبيريا، ثم أوجد التصنيع السوفياتي حالياً أعظم محطات الطاقة والإنتاج العلمي المتنوع والقوى البشرية المدربة، مما قد يوجد في أي بقعة في آسيا، وتقع مراكز التصنيع السوفياتية بالقرب من الهند والصين وإيران، وهي أقرب من أي دولة غربية باستثناء اليابان القريبة من الصين، وقد تمكّن الروس من الوصول إلى هذا النجاح الصناعي بتطوير مستوى التعليم العام، وتزايد خريجي المؤسسات التعليمية المتقدمة مما عليه في أي بلد آخر في آسيا بما في ذلك اليابان.

وفي هذا العصر تتقدم أمريكا إلى المسرح السياسي الذي شغره بخروج البريطانيين، وبعد تركيز القوة الأمريكية في الفلبين في عام 1898م، وإعلان سياسة الباب المفتوح، والحرب الروسية اليابانية 1904-1905م، أصبح هدف السياسة الأمريكية الخارجية هو تطويق النفوذ الروسي في المحيط الهادي والصين، بالإضافة إلى أن أحد مبادئها السياسية هو شغل الفراغ الناتج عن الضعف البريطاني، الذي يثير أطماع روسيا، وحيثما وجد الانسحاب البريطاني كان التقدم الأمريكي، وهذا ما حصل في آسيا الداخلية، حيث فتحت أمريكا قنصلية عامة في سنكيانغ خلال الحرب لأول مرة في التاريخ، ونشطت سياستها في أفغانستان، ثم تم إنشاء علاقات دبلوماسية مع نيبال، واستقبال بعثة تجارية في واشنطن، واعتراض أمريكا على انضمام جمهورية منغوليا الشعبية إلى الأمم المتحدة؛ لأنها صنّعة روسيا.

هذه المراجعة التاريخية السريعة تساعد على معرفة المشاكل التي أحاطت بسنكيانغ، وتكونت من تداخل الماضي مع الحاضر، وفي الماضي انسابت إلى آسيا الداخلية مؤثرات من الصين والهند وإيران، وذلك قبل عهود طويلة مما جاء إليها في عهد الصقالية، والأنجلوساكسون والأمريكان، وفي تلك العهود الغابرة عاشت فيها شعوبٌ تمسكت بحياة الاستقرار في الواحات، وشعوبٌ عاشت حياة



## الترحل في السهوب.

وأما اليوم أصبحت آسيا الداخلية مرة أخرى بؤرة تتجه إليها التيارات التي تهب إليها من روسيا والصين والهند ومن الشرق الأوسط المسلم أيضاً، ويصل إليها النفوذ الأمريكي الغربي عبر الصين والهند، على أي حال فإن آسيا الداخلية اليوم كما هي في الماضي لها مكانتها الثابتة، وشعبها ليس قطعاً جامدة على لوحة الشطرنج للقوى السياسية، بل هي قادرة على الاختيار السياسي الذاتي، وكما كانت في عهد عائلة هان الصينية وبدو الهون (هسيونغ-نو Hsiung-nu) قبل ألفي عام لها أهمية خاصة اليوم من نوع غريب، ذلك لأن هذه الشعوب بالرغم من أنها لا تستطيع بخدعة سياسية تعزيز قوتها لمصلحة ذاتها، ولكنها تستطيع أن تزيد قوة الطرف الذي تنحاز إليه، و تقلل من قوة الطرف الاخر الذي تعاديه أكثر مما هو متصور رياضياً.

## الفصل الثاني

### الصراع الأنجلو الروسي في سنكيانغ 1800-1917

#### البداية البريطانية وبناء الإمبراطورية الروسية:

فقد بدأت العلاقات الدولية الحديثة لسنكيانغ في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك عندما بدأت بريطانيا تتحرك نحو الغرب والشمال من الهند، وأصبح هذا التحرك حساسا بالنسبة لروسيا التي توسعت من سيبيريا إلى الجنوب، مما زاد من اهتمام بريطانيا وروسيا بسنكيانغ خلال أعوام 1850-1860م، وبلغت ذروتها في أعوام 1870م، وذلك في عهد يعقوب بك الذي نجح في تأسيس مملكة جديدة في الفضاء الذي كان بين القوى العظمى، والمتسللون إليها من بريطانيا وروسيا هم من المهتمين الجغرافيين والمستكشفين وشخصيات أخرى، وبعض هؤلاء في الواقع من الباحثين عن المعلومات العلمية، وآخرون هم موظفون حكوميون بمهنة تجار أو رجال الاستخبارات.

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي أفاض الفرنسيون في حديثهم عن المعلومات الغزيرة عن سنكيانغ وعن التهديد الروسي على الهند، ونابليون في زحفه إلى موسكو في عام 1812م حمل معه المعاجم وخرائط الهند، وربما كان يظن أنه يستطيع أن يقتع القيصر الروسي على التعاون معه في غزو الهند، مستذكرا غزو إسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد، وفي الواقع كانت هناك أحاديث في فرنسا وروسيا تدور حول غزو الهند منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وفي كلتا الدولتين روسيا وفرنسا راجت المقترحات التي تسهل تحقيق هذا الغزو، لولا أن بعض المسؤولين العقلاء الذين شرحوا العقبات التي تحول دون تحقيق ذلك، ولكن هذه الخطط كانت مسار مخاوف لدى بريطانيا على مستويات مختلفة استمرت قرنا ونصف منذ

## أيام نابليون (1).

وفي وقت ما في عام 1801م في روسيا أعد القيصر باول الاستعدادات لغزو الهند، ولكن القيصر الإسكندر عندما تولى العرش في مارس 1801م ألغى تلك الاستعدادات في أول يوم لحكمه، وقد بقي ذكرى هذه المحاولة في الفكر الإنجليزي، وكتب العالم البريطاني جشاير Cheshire يقول: بقي تاريخ هذا اليوم راسخا في شكوك بريطانيا العظمى حول حركات روسيا نحو آسيا الوسطى<sup>(2)</sup>، وقامت بريطانيا باستكشاف الطرق المختلفة التي يمكن أن تسلكها روسيا من آسيا الوسطى عبر الممرات الجبلية إلى الهند، وفي عام 1812-1813م سافر مير عزة الله أحد عملاء البريطانيين من كشمير إلى ياركند وحول كابل وبخارى، ويخبرنا ه.و.دافيس H.W.C.Daqvis بإيجاز عن "الطرق الرئيسية التي يسلكها التجار الروس إلى الصين وأفغانستان والبنجاب"، وفي العقد التالي لرحلة مير عزة الله رغب المستكشف ولیم موركروفت William Moorcroft أن يذهب من كشمير إلى بخارى عبر

<sup>1</sup> - إن اهتمام الفرنسي بغزو الهند خلال الثورة الفرنسية وصعود نابليون كان موضوع كثير من الكتب، ينظر:

A.L.P. Dennis, Eastern Problems at the Close of the Eighteenth Century, Cambridge, Massachuettis 1901, especially Chapter III, "Napoleon Bonaparte and the Orient: The Egyptian Expedition "

ونماذج لمواد كثيرة تتصل بروسيا ووتطلعاتها في آسيا الوسطى والهند:

A. Rouire, La Rivalite Anglo-Russe au XIXe siècle en Asie, Paris 1908,

Prince A. Lobanov-Rostovsky, Russia and Asia, New York 1933

وبحث للمؤرخ الألماني هرمان اونسكن حول خطط وتطورات اهتمام بريطانيا بأمن الهند في سلسلة محاضرات بعنوان:

Hermann Oncken, Die Sicherheit Indiens: Ein Jahrhundert englischer Weltpolitik, Berlin 1937

<sup>2</sup> - Harold T. Cheshire, "The Expansion of Imperial Russia to the Indian Border" The Slavonic and East European Review, Vol.XIII, 1934-1935, p.90

ياركند "كان موركروفت يرغب أن يجد للمصنوعات البريطانية نصيباً في سوق آسيا الوسطى ومقاطعات غرب الصين"، وفي ثلاثينات القرن التاسع عشر قام مسّاح بريطاني جريء يسمى جون وود John Wood ليس بتسلق هضبة بامير فحسب.. بل باستكشاف طريق التجارة التي تربط حوض أوكسوس بتركستان الشرقية، والطرق التي قد يتسلل الجيش الروسي من وسط حوض أوكسوس إلى أفغانستان (1).

وفي أعمال هؤلاء وغيرهم من المستكشفين البريطانيين يتضح العلاقة بين الأهداف الاستراتيجية والتجارية، ويصح القول نفسه على أعمال الروس، وفي أربعينات القرن التاسع عشر أخبر الوزير البريطاني إلى البلاط القيصري: إن أثرياء الروس من ملاك الأراضي وذوي النفوذ في هذه الأيام ممن وضع ثروته كلها في المصانع قد عانى من سيطرة جودة البضائع البريطانية في أسواق آسيا الوسطى،

<sup>1</sup> - H.W.C. Davis, "The great Game in Asia (1800-1844) Proceedings of the British Academy, Vol.XII, 1 926

دافيس في مقاله المثير والمعنون بعاليه وصف الدور الذي قام به عملاء حكومة الهند في التنافس الأنجلو- الروسي في آسيا الوسطى، وتناول فترة النصف الأول من القرن التاسع عشر فقط، وأما النشاط الروسي خلال هذا القرن فقد تناوله حيثشاير Cheshire من المصادر الروسية للمستكشفين الروس والجغرافيين، وكان ف.ف. بارتولد قد كتب بالتفصيل النشاط الروسي في كتابه:

V.V. Bartold (W. Barthold) Die Geographische und historische Erforschung des Orients, mit besonderer Berücksichtigung der russischen Arbeiten, Leipzig 1913 وتوجد نسخة فرنسية مترجمة لكتاب بارتولد  
ويمكن أيضاً مطالعة كتاب:

B.H. Summer, Russia and the Balkans 1870-1880, London 1937  
ويمكن مطالعة الموجز للاستكشاف البريطاني لمنطقة بامير والمناطق المجاورة لها في الفصل الثالث بعنوان (آسيا الوسطى) في كتاب اللورد كرزون:

Lord Curzon, The Pamirs and the Source of the Oxus, London, 1896  
وهو إعادة لمقالته الثلاثة التي نشرت في مجلة الجغرافيا في نفس العام

كما حدث ذلك أيضا في الصين، وقد أدى ذلك إلى روح التنافس مع إنكلترا<sup>(1)</sup>، وفي أواسط القرن التاسع عشر اعتبر البريطانيون والروس أن التجارة مع آسيا الوسطى رائجة ومربحة، ولم يكن أي من الطرفين يرغب أن يفقد هذا الريح الوفير، فقد كان البريطانيون يعرفون جيدا أن امتداد الأراضي إلى آسيا الوسطى مما ساعد روسيا في سيطرة قوى القيصر عليها بدون منازع، ومع ذلك تجرء بعض البريطانيين بالمحاولة على بسط النفوذ البريطاني إلى بحر قزوين وبحيرة آرال في آسيا الوسطى، وذلك بالعمل مع خانات المسلمين في المنطقة لفرض حمايتها على مصالح القوى الإسلامية<sup>(2)</sup>، وعلى ضوء نتائج ما ظهر من الحرب البريطانية الأولى في أفغانستان 1839-1842م، وبصرف النظر عن مآسي ومجازر هذه الحرب لا يزال أحد المدارس البريطانية تتأسف على فشل السياسة البريطانية الكبرى هناك<sup>(3)</sup>، ومن إحدى علامات هذه السياسة محاولة بريطانيا في عقد اتفاق بين خوقند (التي تقع غرب كاشغر) وإيران لغزو إمارة بخارى وقطعها عن روسيا، وقد أدى هذا الأمر إلى قتل الممثل البريطاني الرئيس آرثر كونولي Arthur Conolly في 1842م، بأمر من أمير بخارى.

وكان القواد الروس يعتبرون أن آسيا الوسطى هدية محتومة لروسيا، وقد نشط عملاء القيصر في المنطقة منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر، وفي الأربعينات منه بدأت القوات الحربية في التقدم

<sup>1</sup> - Vernon J. Puryear, England, Russia and the Straits Question 1844-1858, Berkeley California 1929 p.436

والكاتب يربط بين بعض أحوال آسيا الوسطى بأحداث في الشرق الأدنى.

<sup>2</sup> - Davis, op.cit, p.255

<sup>3</sup> - Cf.Lt. Gen.George Macmunn, in his review of Maud Diver`s book The Hero of Herat and the Judgement of the Sword, in Journal of the Royal Central Asian Society, London, Vol.XVII (July 1930), pp.368-369

والاستيلاء على البلاد ما بين امودرايا وسيرداريا، و كان التقدم الروسي سريعا خاصة بعد حرب القرم في عام 1854-1856م، وأعلن قواد القيصر بإصرار تقدمهم إلى الحدود الحساسة البريطانية يعني حدود الهند، وذكر ترينتييف Terent`yev وهو أحد أشهر الكتاب القياصرة عن آسيا الوسطى عن وضع يامير وكشمير في سبعينات القرن التاسع عشر: "الطبيعة فتحت الباب واسعا إلى الهند، وهذه المناطق التي بجب أن يستكشفها الروس، حيث يجب أن تتوجه إليها اهتمام الحكومة الروسية.. بالنظر إلى الفوائد الكبيرة التي نحصل عليها من النقاط الإنجليزية المهددة<sup>(1)</sup>، وهكذا ستتمكن القوات الروسية في الظروف المضطربة مستقبلا من تهديد القوات البريطانية في الهند، وتجبرها على سحب قواتها من البحر الأسود ذات الأهمية القصوى لروسيا.

وفي مثل الظروف كانت سنكيانغ في مقدمة الاهتمام، وفي عام 1857م بعد حرب القرم بسنة قام مستكشfan روسيان ولي خانوف وسيمنوف بدراسة الأحوال السياسية وتضاريس كاشغر ومنطقة تيان شان، وفي العام نفسه أعلن الحاكم العام القيصري لغرب سيبيريا: تحويل كاشغر إلى دولة مستقلة عن الصين تحت الحماية الروسية، مما سيفيد شعبها كثيرا، الذي عانى مظالم الصين والمانشور... ونجعل من أنفسنا أسيادا على آسيا الوسطى، ونستطيع أن نتحكم على كل الخانات، مما يسهل انطلاقنا إلى الأمام (2)، وفي العقود التالية احتلت روسيا على خانات تاشكند وبخارى وسمرقند وخيوه وحقوقند، واستفاد التجار الروس من هذه الغزوات على ترويج منتوجاتهم وتأمين مصدر جديد لهم من القطن، إذ لم يرغب الروس الاعتماد في صناعة النسيج على قطن أمريكا الجنوبية، وخلال الحرب الأمريكية

<sup>1</sup> -M.A. Terent`yev, Russia and England in Central Asia, 2 vols, Calcutta 1876, Vo. II, p.114

<sup>2</sup> -N. Vakar, The Annexation of Chinese Turkestan “, Slavonic Review, London, Vol.XIV, 1935-1936, p.119

الأهلية ورغبة في إيجاد مصادر أخرى، قام الروس بإتمام احتلال تركستان في أعوام 1860م.

وأراد الروس استغلال السخط العام الصيني لبريطانيا التي تطور في البلاط الإمبراطوري في بكين، بسبب الحروب الأنجلو- الصينية فيما بين 1839-1860م، واقترح القنصل الروسي في ايلي في عام 1860م أن يقوم الحاكم العسكري للمقاطعة أن تنتقم الصين لنفسها بالهجوم على الهند عبر التبت ويوننان، وأرسل الحاكم العسكري المقترح إلى بكين، ولكنه تلقى رفضاً تاماً، وأشار البلاط الإمبراطوري أن روسيا ليس بشريك معتمد، وفي هذا العام طلبت روسيا حق امتياز فتح قنصلية في كاشغر، تماثل حق امتياز القنصلية التي فتحت بموجبها في غولجيه عام 1851م، ومن ناحية أخرى نجحت روسيا في سيطرة على كامل المقاطعة البحرية شمال نهر أمور حتى فلاديفوستوك Vladivostok وأخذت السياسة الروسية تتحول من آسيا الداخلية على طول الحدود الصينية إلى الطرف البحري.

والاهتمام البريطاني بسنكيانغ تزايد في الوقت نفسه خاصة بعد هزيمة البنجاب في عام 1849م في نهاية حروب السيخ وكشمير التي كانت جزءاً من إمبراطورية السيخ، تم تشكيلها إقطاعية السيخ المرتدة لخدمة البريطانيين مقابل 500 000 جنيه، واعتقد البريطانيون أن موقعهم الجديد في شمال الهند تجعل في أيديهم مفاتيح كامل التجارة مع آسيا الوسطى(1)، ويراقبون بقلق انتشار قوى القيصر في الخانات التي في شمال الجبال.

وفي أوائل 1864م نُشرت سلسلة من التقارير القيمة عن التجارة مع آسيا الوسطى، وفي هذا العام وافق مهراجا كشمير على تخفيض ابتزازاته عن التجارة التي تعبر أراضيه، ثم في عام 1867م تعين موظف بريطاني في ليه Leh في لاداخ، ولمساعدة تطوير التجارة مع الشمال، قام مسّاح بريطاني شجاع بزيارة خوتن وآخر اسمه

<sup>1</sup> - The Economist, London, Vol. VII, pt.1, June 2, 1849

هايورد Robert Hayward بزيارة ياركند وثالث روبرت ب.شاو B.Shaw المؤلف بآسيا الداخلية، وكان ممثلاً حكومياً ومزارع شاي وتاجرا ورحّالا جريئاً عندما وصل إلى كاشغر في عام 1869م، وهو العم للشخص المشهور سير فرانسيس يونغهويزباند Sir Francis Younghusband.

وقد كانت حركة البريطانيين بطينة في رأي مجموعة رجال الجيش والحكومة، وفي الستينات من القرن التاسع عشر طالبوا بعمل سريع يظهر قوة بريطانيا بالتعاون الودي مع الإمارات الإسلامية في آسيا الوسطى، وذلك لمنع التقدم الروسي شمال الجبال، والثورة الناجحة ليعقوب بك في سنكيانغ، دفعت على توصية حكومة البنجاب أن يقوم الحاكم العام في الهند بعمل إيجابي نحوه، وسكرتيرحكومة البنجاب سي يو ايتجيسون C.U. Aitchison في 4 يناير 1868م كتب الآتي:

الفقرة 10- إن خروج الصين من تركستان الشرقية أزال العقبات التي كانت تعيق التجارة مع ياركند وخوتن وكاشغر، بينما تقدم روسيا دفع مسلمي الشمال على التطلع إلى مساعدة إنكلترا، وسفراونا في خوفقد وبخارى وخوتن يبدون رغبتهم القوية لفتح العلاقات الودية مع الحكومة البريطانية، وخاصة على تطوير التجارة بين هذه البلدان والهند البريطانية، وقد تلقينا اتصالات مشابهة بواسطة مهراجا كشمير من يعقوب قوش بكى الحاكم الجديد لياركند وكاشغر وخوتن، وفي الواقع لم يبق الآن إلا الاستجابة لهم والتحرك في الاتجاه المطلوب.

الفقرة 13: الليفنتات حاكم البنجاب يعتبر هذا الأمر مؤكدا لآسيا الوسطى (لأن البلاد التي يحكمها يعقوب قوش بيكي) جزء من هذه المناطق التي تزخر بالتجارة؛ لأنها غنية وكثيرة السكان وتتطلع إلى الحركة والسلام أكثر من المناطق المعروفة بأراضي التتار، ومما ينشر من وقت لآخر في الإعلام العام ومن المصادر الروسية يتضح أن الروس هم أيضا يحملون نفس الأفكار.

الفقرة 16: لابد من بذل كل جهد معقول من الليفنتات الحاكم



لإقامة علاقة ودية مباشرة مع حاكم ياركند... ويرى الليفتانت الحاكم بقوة من السياسة الحكيمة أن يتم تفويض ضابط وطني ذكي وحكيم يعتمد عليه إلى بلاط يعقوب قوش بيكي، لمساعدة تجارنا ومتابعة مصالحنا واتساع التجارة، ويؤكد لحاكم ياركند صداقة حكومتنا (1).

ولكن تجاوب الحاكم العام للهند لهذه المقترحات كان الرفض التام، وكانت جريدة ايكونوميست قبل عام من هذا كتبت أن بريطانيا تقبض بيدها على الصين والهند، "بينما لم نستطع أن نحافظ على حياة الفلاحين في أوريسا Orissa (إشارة إلى المجاعة التي تسببت في موت أكثر من مليون نفس في شرق الهند في عام 1866) وبالتأكيد لا نستطيع أن نكون مسؤولين عن الرعاة في كاشغر" (2)، وحتى نهاية الستينات من القرن التاسع عشر كانت السياسة هي الترقب المنتظر.

وأما في لندن فقد كان النقاش يدور حول موضوع أكبر، وهو كامل السياسة التي يجب اتخاذها تجاه إمبراطورية المانشور التي

<sup>1</sup> - C.L. Showers, The Central Asian Question, London ,1873, pp.5-6

<sup>2</sup> - The Economist, London, Vol.XXI, Jan. 19, 1867

بالمجازر التي حدثت في حرب الأفغان الأولى (1839-1842) كان راسخا في فكر اللورد لاورنس Lord Lawrence الحاكم العام ونائب الملك في الهند في الفترة من 1864-1869 أن يرفض بقوة أي مغامرة في آسيا الوسطى، والسيد جون ويلى John Wyllie سكرتير الإدارة الخارجية في المجلس التنفيذي للورد لاورنس كاتب: ( Masterly Inactivity and Mischievous Activity) في مقال له بعنوان غرب الصين نشر في Edinburgh Review في أبريل 1868 ص 225 " اتهم كل إنكليزي يرغب الحديث في ذلك الوقت عن سفارة إنكليزية إلى ياركند أو خوتن بأنه عدو لوطنه " وأشار السير تي. دوغلاس فورسيت Sir T. Douglas Forsyth في سيرته Autobiography p.84 بأنه المقصود بكلامه.

بذلت الجهود لإضعافها، وكان المانشور يقاومون ثورة التايبنغ Taiping في جنوب ووسط الصين، وثورة المسلمين في جنوب غرب الصين، بالإضافة إلى الثورة في شمال غرب الصين وسنكيانغ، إذا نجحت هذه الثورات رأت بريطانيا أن ذلك سيؤدي إلى تدهور القوى الأجنبية، وأن التجارة تتضرر، وعليه تحولت السياسة البريطانية إلى دعم المانشور، حيث بدأت البنوك البريطانية تقديم القروض والمميزات المالية إلى حكومة المانشور بعد عام 1867م، مما مكّن تمويل القوات المانشورية في التغلب على الثوار في مقاطعات شمال غرب الصين، وكانت هذه القروض الأجنبية الأولى التي تحصل عليها الصين في تاريخها، والتي صرفت لدعم الجيش وليس لأهداف تنموية.

### يعقوب بك مغامر آسيا الداخلية:

بالنسبة لبريطانيا في الهند كانت على أي حال روسيا وتجارة آسيا الوسطى ومستقبل سنكيانغ أمور في غاية الأهمية، لا يمكن تركها بالاعتماد على تقدم الجيش المانشوري، ومع نهاية الستينات في القرن التاسع عشر كان يعقوب بك الحاكم القوي في سنكيانغ لأكثر من نصف العقد، وكانت سلسلة التقارير المتفائلة التي يرسلها العملاء والتجار والرحالة البريطانيون من أمثال شاو Shaw ذات أثر كبير على كبار المسؤولين البريطانيين، الذين شعروا أن يعقوب بك يمكن أن يعزز سلطانه، وأن دولته القوية يمكن أن تشكل سداً منيعاً، ليس بين الصين وروسيا فحسب، بل بين الهند البريطانية والتوسع الروسي، وكانت سلسلة من النقاط في آسيا الوسطى، وكل منطقة تشغّر فيها من النفوذ البريطاني تملؤها القوى الروسية.

وهذا التطور السياسي أثار انتباه السلطات العليا، وكتب بعض البريطانيين من ذوي المعرفة عن المخاطر التي تحدق بسبب علاقة يعقوب بك بروسيا، وقد حدث هذا بسبب فشل بريطانيا في التجاوب مع تطلعات حاكم كاشغر، الذي لم يكن أمامه إلا أن يخضع لقانون الجذب السياسي لمملكته الصغيرة، كما هو معروف

في ظروف الدول الصغيرة التي تقع بين دولتين **عظيمتين** **عليها** **وتعتمد** على أحداها، وفي النهاية رأّت بريطانيا أن تتوجه لدعم السلطات المانشورية؛ لاستعادة سلطانها في الصين.

وهكذا أنهت الهند البريطانية سياسة المراقبة، وقدمت الدعم إلى يعقوب بك في السبعينات القرن التاسع عشر.

وقد ظهرت شخصية عريضة عرفت لأول مرة في سنكيانغ في ستينات القرن التاسع عشر، وكان يرغب في إعادة سيادة الخوجه، وعائلة الخوجه من الأسر المسلمة الحاكمة بين القرنين (15-17) في سنكيانغ، وقد أخرجها المغول ثم المانشور منها، ووجدت الملجأ في خوقند ( فرغانة الحالية) ومنها كانت تقوم بغارات إلى كاشغر وغيرها من مدن حوض تاريم، وعندما فقد المانشور سيطرتهم على سنكيانغ خلال الثورات الإسلامية، عادت عائلة الخوجه، وتمكّن أحد أفراد عائلة خوجه- هو الحاكم السابق لكاشغر- من تكوين فرقة من الرجال من خوقند للاستيلاء على كاشغر وياركند في سنكيانغ في عام 1865م، وكان القائد الرئيسي لقواته يعقوب بك شاباً مغموراً من خوقند، كان يقضي أوقاته في الرقص، وعندما بلغ مرحلة الرجولة أصبح جندياً، وعمل في مقاومة التوسع القيصري إلى خانية خوقند وما جاورها من الخانات.

وبعد الموجة الأولى من النجاحات في غرب حوض تاريم، انصرف الأمير خوجه إلى الملذات، مما مكّن يعقوب بك أن يخلعه وتولى الثورة الإسلامية؛ لاستعادة تركستان الشرقية بالاستيلاء على أقسو وخوتن واورومجي.

وبعد أن تمكن يعقوب بك من إحكام سلطانه على البلاد أعلن استقلال مملكته عن المانشور، معتمدا على اعتراف كل من الجارتين روسيا والهند البريطانية، وبعد فترة من التردد كان تجاوب بريطانيا له مشجعاً، وبالنسبة لروسيا التي كانت تشكل هاجسا لبريطانيا في الهند، فقد كانت بريطانيا تمارس بعض

الضغوط على نقاط ضعفها في منطقة البحر الأسود، وكانت بريطانيا و خاصة حكومة الهند البريطانية ترغب في إنشاء واجهة مشتركة تجمع بريطانيا العظمى والمسلمين ضد روسيا<sup>(1)</sup> ، وفي سبيل تحقيق هذا الرأي طلب من سلطان تركيا بأن يوجه العالم الإسلامي ضد روسيا.

وعندما أرسل يعقوب بك الذي حمل لقب اتليق غازي سفيره إلى الهند في نهاية 1869م، استقبل بحرارة لم يحظ أحدًا قبله من السفراء القادمين من كاشغر بها، ذلك لأن سي يو هيتجيسون C.U.Aitchison الذي كان سكرتير حكومة البنجاب أصبح سكرتير الإدارة الخارجية في حكومة الحاكم العام الهندي، وكان موقف حكومة الهند قد صبغت بفكرة تكوين الجبهة الإسلامية ضد روسيا، وإن سنكيانغ قد يكون لها دور مهم في تحقيق هذه الفكرة، على الرغم أن حكومة الهند كانت لها مواقف سيئة ضد المسلمين بعد الثورة التي قام بها المسلمون ضد حاكم الهند لمواقفه العدائية منهم في عام 1857-1858م.

وقد استقبل حاكم البنجاب مبعوث يعقوب بك بتكريم في لاهور، ثم منح فرصة لقاء نائب الملك في كلكتا، وقدم له طلب يعقوب بك بإرسال مسؤول بريطاني يقوم بزيارة ودية إلى بلاط يعقوب بك في ياركند، ووافق نائب الملك على أن يبعث تي دوغلاس فورسيث T.Douglas Forsyth للإعراب عن صداقته، مشترطاً أن يؤدي ذلك إلى تنشيط التجارة بين البلدين<sup>(2)</sup>، وسمح لمبعوث يعقوب بك أن يشتري 400 بندقية من كلكتا،

<sup>1</sup> - Arnold J. Toynbee, Survey of International Affairs 1925, Vol.i, The Islamic World Since The Peace Settlement, London 1927, pp.40-41, and I.E. Frechtling, "Anglo-Russian Rivalry in Eastern Turkistan, 1863-1881," Journal of the Royal Central Asian Society, Vol.XXVI, London, 1939, p.479

<sup>2</sup> -Sir T. Douglas Forsyth`s Report of his visit to Yarkand, in Parliamentary

و يحملها معه عبر الجبال إلى ياركند، وغادر فورسيث على رأس فريق صغير، وعندما وصل إلى ياركند لم يجد يعقوب بك الذي غادرها لمعركة حول اورومجي، فاضطر على العودة بسرعة قبل أن تغلق الثلوج الطريق إلى الهند في عام 1870م.

وعندما وصل السيد يعقوب خان توره ابن أخ يعقوب بك ومبعوثه إلى الهند في عام 1873م، استقبل بحرارة، وتم مساعدته في رحلته إلى استانبول، وهناك منح السلطان العثماني لقب أمير المؤمنين إلى يعقوب بك، ونصحه أن يكون صديقا لبريطانيا، وأن يجتنب التعامل مع روسيا وأرسل السلطان معه 200 بندقية وثلاثة مدافع وثلاثة ضباط مدربين، وعندما عاد المبعوث عن طريق الهند صحبه فورسيث على رأس بعثة بريطانية جيدة، وفي عام 1874م وقّع فورسيث اتفاقية تفتح سنكيانغ للتجارة مع الهند، وحظي يعقوب بك برفع التمثيل الدبلوماسي إلى مستوى سفارة كاملة بين البلدين، وكانت تقارير بعثة فورسيث تفيد أن حكم يعقوب بك يتركز في سنكيانغ، مما شجّع حكومة الهند البريطانية أن تسعى على بسط حمايتها عليه، وفتحت سبل تصدير الأسلحة تحت شركة تجارية برعايتها في عام 1873م، وفي عام 1876م صادقت رسميا على الاتفاقية التي تم توقيعها معه في عام 1874م، وبعد ذلك بعام مات يعقوب بك، وتفرقت قوته و سيطرت قوات المانشور على مملكته.

وعلى عكس بريطانيا كانت روسيا عاملت يعقوب بك دوما ببرودة، وكانت قد حصلت على عدد من التنازلات من المانشور، ولم يكن ترغب إثارة غضب بكين بالاعتراف بمطالب يعقوب بك، الذي كان عدوهم السابق، وقد قاتلهم قبل أن يغادر تركستان الروسية، فقد كانت تخشى أن تكون دولة يعقوب بك نقطة ارتكاز

لمسلمي آسيا الداخلية، بما فيهم تركستان الروسية لمقاومة الغزو القيصري.

والمسؤولون الروس يرون أن قيام دولة إسلامية قوية في كاشغريا قد تجذب إليها تعاطف الشعوب المسلمة، ليست فقط في الدول الإسلامية الضعيفة التي تحاول حفظ استقلالها، بل الشعوب المسلمة في المناطق التي تحتلها، وهذه الرؤيا زادت من أهمية كاشغريا في أعين البريطانيين؛ لجذبها وبذل المزيد من المحاولات للتعاون معها:

أولا- لإيجاد منطقة عازلة بين روسيا والهند

وثانيا: لجعلها سوقا رائجا لبيع مصنوعاتها<sup>(1)</sup>.

وخلال فترة حكم يعقوب بك كان المسؤولون الروس يعملون على تحقيق سياستين: أحدهما التوجه الاستراتيجي، والثاني المصالح التجارية في سنكيانغ، واهتمامهم الاستراتيجي يتركز على وادي نهر إيلي الذي يعتبر منطقة تجارية قديمة وممر عسكري بين روسيا والصين، واعتبره المؤرخون الروس أنه مهم لروسيا كأهمية ممر خيبر لبريطانيا في الهند<sup>(2)</sup>، وفي أثناء زيارة فورسيث الأولى إلى ياركند في عام 1870م كان يعقوب بك في معارك حول اورومجي، ثم تحول منها إلى الغرب في حركة مفاجئة نحو إيلي، وروسيا التي لاحظت هذه الحركة قامت بحماية هذه الطريق التجاري وحركت جيوشها إلى غولجه، واحتلت إيلي في عام 1871م<sup>(3)</sup>، وأكدت روسيا لبلاط المانشور في بكين أن المسؤولين القياصرة سيعيدون المنطقة حالما يتمكن الجيش

<sup>1</sup> -A.N. Kuropatkin, Kashgaria, Calcutta, 1882. pp.4-5

<sup>2</sup> -A. Lobanov-Rostovsky, " Russian Imperialism in Asia: Its Origin, Evolution and Character," Slavonic Review, London, Vol.VIII, 1929-1930, p.44.

<sup>3</sup>- H.B. Morse , International Relations of the Chinese Empire, 3 Vols, London, 1918,Vol.II,p.331

المانشوري من بسط سيطرته الكاملة على البلاد.

وفي عام 1872م قام يعقوب بك بخوف أو بضغط من حركة الجيش الروسي بالموافقة على طلب القيصر؛ لفتح حركة التجارة لروسيا في تركستان الشرقية، مع أنه حتى ذلك التاريخ كان يمنع دخول التجار من روسيا؛ خوفاً أن تكون لهم أهداف في التدخل السياسي، ولا شك أن توقيع الاتفاقية التجارية مع فورسيث في عام 1874م كان يهدف منها إيجاد التوازن بين بريطانيا وروسيا، ولكن الأمر الذي أساء لروسيا ضد يعقوب بك حصوله على أسلحة من السلطان العثماني، وتلقبه بلقب أمير المؤمنين، مما اعتبر أن سنكيانغ أصبحت دولة تابعة لسلطان تركيا، وهي التي كانت من ألد أعداء روسيا، وتعتبرها تحت النفوذ البريطاني القوي، واعتبر المسؤولون القيصرية ذلك تلويحا ضدهم بالعلم الأحمر<sup>(1)</sup>، وكان الحاكم العام القيصري لتركستان قد ركز قواته في مواقع يمكنه من الهجوم على كاشغر فيما بين 1874-1875م، ولكن اندلاع ثورة خطيرة في خوقند اضطره على سحب القوات الروسية في عام 1875م، ثم قامت بعثة روسية برئاسة كوروباتكين بزيارة يعقوب بك في عام 1876م، وتمكنت من أخذ موافقته بالتمركز بعد التردد على النقاط الاستراتيجية في غرب كاشغر.

مع عام 1876م كان وضع يعقوب بك يزداد سوءاً، وفي الغرب والشمال كانت القوات الروسية تهدده، بينما من الشرق تسو تسونغ تانغ Tso Tsung-t`ang قائد القوات المانشورية

<sup>1</sup> - ويقال إن كاوفمان Kaufmann الحاكم القيصري العام لتركستان أنه قال عن كاشغر: إنها صنيفة السيد فورسيث، وإن بريطانيا تعمل على خلق دولة إسلامية قوية من دولة غير مهمة.

تتقدم نحوه بعد أن احتل باركول وهامي ووصل كوجينغ تز التي تقع على بعد 100 ميل شرق اورومجي في عام 1876م، وكان تسو قد تفاوض مع الروسي الكونيل سوسنوفسكي Sosnovskii في الحصول على إمدادات كبيرة من القمح لجنوده في عام 1875م، وقد تم شراء ذلك بالقرض الذي حصل عليه المانشور من البنوك البريطانية، ومع ذلك فالبريطانيون على أمل أن تبقى دولة يعقوب بك التي يرون أن المانشور لا يتمكنون من احتلالها، وفي عام 1876م أيضا كان سير توما واد Sir Thomas Wade يرى أن المانشور لا يتمكنون من احتلالها، وقد عرض هذا الوزير البريطاني في بكين على المانشور استسلام يعقوب بك لهم، على أن يحتفظ بدولته تحت حمايتهم، ثم لما عرض المقترح على تسو أجاب أن موضوع يعقوب بك مسألة داخلية، وإذا كانت بريطانيا ترغب في إيجاد دولة عازلة في آسيا الوسطى عليها أن تقدم لها أراضي من قبلها<sup>(1)</sup>، ويبدو أن يعقوب بك شعر بالمأزق الذي أحاط به، فقد بعث ابن أخيه ومستشاره الرئيس السيد يعقوب خان توره إلى لندن.. كما أن السير واد Wade غادر بكين إلى لندن لمساعدته في التوصل مع الوزير المانشوري، ولكن قوات تسو كانت تتقدم تدريجيا في سنكيانغ، وقبل المعركة الفاصلة أصاب جنود يعقوب بك الفوضى والهلع، ذلك لأن يعقوب بك نفسه تناول السم، أو أعطي له السم ومات<sup>(2)</sup>، وفي هذا الحدث المضطرب تمكنت قوات المانشور

<sup>1</sup> - A>w>Hummel (ed), Eminent Chinese of the Ch`ing Period, 2 Vols, Washington, D.C. 1944, Vol.II, p.766, article on Tso by Tu Lieh-che

<sup>2</sup> - وهناك تكهنات عديدة حول موت يعقوب بك، وعلى أي محمد يوسف أفندي أحد الضباط الاثراك الثلاثة ان يعقوب بك أصيب بنزيف دم من انفه انكفاء على وجه ولم يعرف سبب النزيف ولكن يوسف أفندي أعتقد انه جرى تسميم يعقوب بك، وذلك كما جرى في حديثه المنشور:

Parliament Papers, House of Commons, 1880, Vol.78, (c.2470) pp.21-23



سريعا من السيطرة على كامل المقاطعة ما عدا إيلي التي كانت بيد روسيا.

### عصر استقرار الإمبراطوريات قبيل الثورة الروسية:

لم تكن روسيا في عجلة من أمرها لإعادة منطقة إيلي، فقد كانت تتوقع انتصار المانشور، وقد كانت لكميات القمح التي قدمتها للمانشور دور مهم في هذا الانتصار، ولم ترد أن يكون إعادة بدون تعويض، وفي أوائل مارس 1876م عقد مجموعة من كبار مسؤولي القياصرة المهتمين بسيبيريا وتركستان اجتماعا في سانت بطرسبورغ، وذلك لدراسة السياسة المطلوب اتخاذها نحو تركستان الشرقية، "وتقرر أن تحتفظ روسيا بغولجه، حتى يتم الاتفاق على بقاء وادي نهر تكس Tekes ضمن الإمبراطورية القيصرية، وتمنح الامتيازات التجارية لتجار روسيا، ويتم دفع تعويضات لروسيا على ما لحقها من الأضرار خلال الثورة في الصين، ويمكن معرفة نتائج الاتفاقيات التي تمت مع الصين من تحقيق هذا المشروع (1).

وجرت المفاوضات لانسحاب القوات القيصرية من غولجه في

---

Acoording to Bales "The Chinese seem to have had no doubt about Yakub beg, taking his own life" (w.L. Bales, Tso Tsung-t`ang, Shanghai 1937, p.365, citing Nien P`u, VIII, p.22\_)

1 - فقد وجد فرشتلينغ Frechtling في أرشيفات مكتب الخارجية البريطانية وثائق توضح ما هية الاجتماع الذي تم في سانت بطرسبورغ في مارس 1876 "F.O.65/957, Loftus to Derby, September 26,1876, No.444, secret; and enclosure, Hon.F.A. Wellesley (Military Attache) to Loftus, September 18,1876, No.20, secret.

كانت إحدى أهم الوثائق العالية السرية التي حصل عليها ولسلي Wellesley عن طريق الرشوة.

عام 1879م، وحسب الاتفاقية المقترحة كان على روسيا أن تعيد الجزء الغربي من منطقة إيلي، يعني وادي نهر تكس وبعض الممرات الإستراتيجية، على أن تعطى لروسيا حرية التجارة في الصين، وأن يتم تعويضها على ما تحمته من نفقات خلال احتلالها منطقة إيلي، وقد تم رفض بنود هذه الاتفاقية بشدة في بكين، وجرى المطالبة بإعدام المبعوثين الموافقين عليها، وظهر في البداية أن المانشور سيحاربون بدلا من قبول هذه الاتفاقية، ولكن كان من نصيحة بريطانيا لهم أن الحرب مع روسيا قد يؤدي إلى زوال حكمهم، وبعد التردد قام مبعوث جديد من المانشور بزيارة سانت بطرسبورغ في عام 1881م، وتم توقيع اتفاقية مشابهة لاتفاقية عام 1879م، تضمنت إعادة وادي نهر تكس وممر موزارت إلى الصين، ولم يتم تنفيذ حكم الإعدام على المبعوثين السابقين<sup>(1)</sup>، وفي عام 1876م كان نائب الملك قد اقترح على مهراجا كشمير أن يضم إليه عددا من الممرات الجبلية الرئيسية التي تصل إلى كشمير، وأن يقيم مركزا بريطانيا للمراقبة في جلجيت.

1 - وقد انتقد فرنتشتلينغ Frechtling بشدة الكتاب السابقين الذين كتبوا عن علاقات الصين الدولية المنتقدين للاتفاقية 1881 الذين وصفوها " بنجاح دبلوماسي جريء" (cf. Morse, II, p.338) وعلى رأي فرنتشتلينغ إن روسيا بإعادة الجزء الغربي من إيلي أنهت ما كان يرغب المسؤولون القياصرة الحصول عليه في اجتماعهم الذي كان في مارس 1876م، وقد يكون من المناسب أن يطلق علي اتفاقية 1881 النجاح الفارغ.

وفي الدراسة التي تمت على اتفاقية 1881م أعلن مورس كوردير Morse Cordier والباحثون الذين تابعوه في دراسة الافتراضات التي كانت تفيد أن روسيا تصر الاحتفاظ بمنطقة إيلي التي تحتلها، وقد اتضح من التقارير البريطانية التي سجلت عن الوضع في إيلي في الفترة ما بين 1879-1881: أن الإدارة الروسية في غولجه لم تكن تعلم كم تبقى في المنطقة كما أنها لم تنفذ فيها أي مشروع تنموي، مما يفيد أنها لم تكن تفكر بالاحتفاظ بها منذ البداية.

وفيما بعد ومن خلال إجراء استكشافات عديدة في ثمانينات القرن التاسع عشر، تبين أنه لا يمكن لأي قوة حربية من آسيا الوسطى أن تعبر كشمير لغزو الهند، وتبددت المخاوف من غزو يأتي إليها من سنكيانغ، ومع ذلك لم يتلاش قلقها من هذا الجهة أبداً<sup>(1)</sup>، و بعد أن احتلت قوات القيصر مرو في عام 1884م انتبه المسؤولون البريطانيون إلى دعوة دوق ارغيل Argyll أن المناورات الروسية مسؤولة عن الاضطرابات في سنكيانغ، وأبدى السير هالداي ماكارتي Halliday Macartney خوفه بأن روسيا تستعد لحركة عظيمة نحوها (كاشغر) في عام 1886م<sup>(2)</sup>، ورغبة في مراقبة الأنشطة الروسية طلبت إنكلترا تسهيلات خاصة للتجارة فيها، وطلبت من رجال استخباراتها مساعدة الإمبراطورية المانشورية في تعزيز قدرتها للحفاظ على سنكيانغ، ومنع قوات القيصر في سيبيريا وآسيا الوسطى من التقدم نحو الجنوب.

وفي هذا الصدد قام الكونيل مارك بيل Colonel Mark Bell مدير الاستخبارات الحربية في الجيش الهندي برحلة من بكين إلى كشمير عبر حدود إمبراطورية المانشور، وفي نفس الوقت قام ف.إ. يونغهورزبان F.E.Younghusband البالغ من العمر 23 عاما برحلة جريئة عبر طريق صعب، من صحراء غوبي إلى سنكيانغ كما

1 - لا شك أن حركة القوات القيصرية الاستطلاعية في عام 1878م، أشعلت القلق البريطاني من هذه الجهة، وخاصة بعد أن توقف التقدم الروسي في منطقة البحر الأسود فأمر القيصر بتوجيه بعض الحركات ضد بريطاني في آسيا الوسطى.. وعلى هذا تم توجيه الجنرال كاوفمان Kaumann بالحركة من سمرقند إلى بلخ وباميان وكابول، بينما تلي الجنرال ابراموف Abramov بالتوجه من سمرقند إلى جنرال وكشمير، ولم يحدث أي شيء سوى بعض المناوشات في بامير، وقد جاء في حديث أحد القواد: لم نعرف ماذا كان المراد من عبور الأرض أو الالتقاء بالسكان " (Cheshire ,p.96)

2 - Cited in Kiernan, op.cit.,p.207

عبر الجبال المنيعة إلى الهند، وتقارير هؤلاء الرحالة وغيرهم زادت من مخاوف البريطانية على مستقبل الإمبرطورية المانشورية، كما عززت من رغبة بريطانيا من أن يكون لها موقع رسمي في كاشغر، وخاصة أن روسيا بموجب اتفاقية 1881م، تحتفظ بقتل عام لها هناك، وفي النهاية حصلت بريطانيا على تعيين مساعد خاص للشؤون الصينية للمقيم في كاشمير مع بداية عام 1892م، وأول من تولى هذا المركز كان جورج ماكارتييني George Macartney ابن السير هالداي ماكلرتيني Sir Halliday Macartney.

وبصرف النظر عن مخاوف بريطانيا عن الأنشطة الممكنة لروسيا في سنكيانغ، أو من تهديدها العبور إلى شمال الهند عبر ممرات الجبال، كانت هناك مخاوف لروسيا من تعامل بريطانيا مع الأمراء المحليين في جنوب تركستان الروسية، وإيجاد موقع عازل بين القوتين العظيمنتين كان مهما، وسنكيانغ فقدت أهميتها مع أنها كانت من المناطق المهمة لهما، فقد كان كل منهما في مناطق خطيرة تتنافس عليها في أوروبا والشرق الأدنى والشرق الأقصى.

وفي تسعينات القرن التاسع عشر عملا على تحقيق اتفاق ضمني تجعل سنكيانغ منطقة متخلفة وعازلة بين القوتين، والخطوة الأولى في تحقيق هذا الأمر هو أن تتخلى روسيا وبريطانيا عن مناطق النفوذ في بامير، وتشكلت بعثة حدود بامير في عام 1895م، وكان من عملها الفصل بين حدود روسيا وبريطانيا، بإيجاد الشريط الأفغاني في وادي واخان في أفغانستان، الممتد عبر الجبال العالية إلى الطرف الغربي من سنكيانغ في الصين.

ومع نهاية القرن التاسع عشر لم يكن هناك أي خلاف حاد بينهما على سنكيانغ، ثم تلاشت مخاوف البريطانيين بعد الاتفاق الإنجلو-الياباني في عام 1902م، والحرب الروسية-اليابانية فيما بين 1904-1905م<sup>(1)</sup>، ولم تعد سنكيانغ موضوع الاهتمام البريطاني بعد

1 - هذا الاتفاق الذي جعل اليابان ترلقب سياسة البريطانية ضد روسيا وعندما

الاختلافات التي حدثت بينهما في عام 1907م، وجورج ماكارتييني القنصل البريطاني في كاشغر في عام 1909م أثنى في لندن على التزام روسيا بمواقفها، وأن سياستها تتصف بالتحديث الرائع، و العلاقات الروسية - الإنجليزية الجيدة أثارت مخاوف ألمانيا، وقد أشار كاتب بريطاني أن كلتا القوتين تتحركان بقلق بين شعوب آسيا، ونقل عن الجنرال كوروباتكين Kuropatkin في تقرير له وهو وزير الحرب المرفوع إلى القيصر نقولاس الثاني Nicholas II " في القرن العشرين ستكون الهند حملا ثقيلًا على روسيا، ولكن في آسيا تزداد المقاومة في المناطق غير المسيحية ضد المسيحيين، وفي هذه الظروف سنكون إلى جانب إنكلترا<sup>(1)</sup>.

والثورة الصينية في عام 1911م أثارت مخاوف جديدة حول مستقبل سنكيانغ، ولكنها لم تزعج التعاون الإنجلو- الروسي، حيث قاومت الأحداث التي نتجت عن الحرب في عام 1914م، واستمرت حتى الثورة السوفياتية عام 1917م.

ويمكن تخليص هذا الفصل في موضوعين، الأول: من الموقف العدائي من الجنرال القيصري سكوبليف Skobelev الذي كتب في عام 1881م في مقاله المشهور: "بدون أن يكون تقدم جدي من جهة قندهار نحو الهند، يستحيل التفكير في الحرب في شبه جزيرة البلقان"، ولكن سكوبليف على أي حال غير من تفكيره الذي لم يردده بعد ذلك، بل قال: ممكن أن نترك آسيا الوسطى كلها لتحالف جدي ومفيد مع إنكلترا<sup>(2)</sup>.

والنص الأخير يأتي من كتاب حديث لمسؤول بريطاني عمل

---

تحدد الاتفاق بعد الحرب الروسية- اليابانية في عام 1905 أضيف إليه حق الطرفين مصالح خاصة ليس في الشرق الأقصى بل في الهند.

<sup>1</sup> - Cheshire, op.cit., p.17

<sup>2</sup> Cheshire, op.cit., p.96

مستشارا في مكتب الخارجية لشؤون الشرق الأقصى لمدة ثلاثين عاما:

طوال القرن التاسع عشر كان التوسع الروسي في آسيا الموضوع المثير في تقارير البريطانية في كل مدارس الفكر حينذاك، وأحيانا كانت الأصوات ترتفع أن إمبراطورية غير مقتدرة مثل روسيا لا يكون من قدرتها أن تتحمل متطلبات الغزو واحتلال الهند، ومع ذلك كان هذا الصوت دائما مرعبا، وقد أصررنا في مبالغة على قدرات روسيا كما لو كنا نقتل فيما بعد من مخاطر اليابان، ولكن من الصعب أن نفهم متى وكيف تتفاقم مخاوفنا من التهديد على الهند، وكان علينا من البداية أن نلقي بأنفسنا في طريق روسيا في الشرق الأقصى، وفي أنحاء أخرى من العالم تنازلنا عن دور فرسان إيرانت " Knight Errant" في العمل الدولي لمعالجة المآسي ومساعدة الضعفاء، ولم نتدخل إلا عندما يكون ذلك مهددا لمصالح بريطانيا، ولكن من الصعب أن نجد ما يهدد مصالح بريطانيا في التوسع الروسي في شمال شرق آسيا في أواسط القرن التاسع عشر، وانتهاج سياسة واقعية كما ينفذها الذين ينافسوننا في أوروبا قد يكون مشجعا ومفيدا في اتخاذ ما يخفف من المخاطر المهددة للهند (1).

## الفصل الثالث

### السياسة الصينية في سنكيانغ

#### قمع ثورة المسلمين:

سنكيانغ هذه الأراضي الحدودية الغربية التي أصبحت مقاطعة صينية باسم سنكيانغ Sinkiang في عام 1884م، قد كانت معروفة

<sup>1</sup> - Sir John Pratt, War and Politics in China, London 1943, p.94

عند الصينيين باسم شي - يو Hsi-yu أي: المنطقة الغربية، وتاريخ العلاقات الصينية بهذه الأراضي قديم يعود إلى عام 115 ق.م. عندما بدأ الأمبراطور وو- تي Wu-ti من عائلة هان في إيفاد الرسل مع الهدايا إلى ملوك شي- يو حتى إذا كان عام 36 ق.م كانت جميع ممالك شي - يو تعترف بالسيادة الصينية، وفي أواخر عائلة هان الصينية أجبر الصينيون خمسين مملكة على إرسال رهائنها إلى الصين، وعاد بعض أولئك الرهائن بزوجات صينية، أو بجنود صينيين، مما كان لهم النفوذ على السيادة المحلية، وعمل الصينيون على بث العداء بين تلك الممالك طبقاً لسياسة (فرق تسد)، كما غزتها الجيوش الصينية عدة مرات، وكان أكبرها بقيادة الجنرال لي كوانغ لي Li Kuang-li الذي زحف إليها بقوة تقدر بمائة ألف جندي، ثم توالى إليها عدد من القواد الصينيين معهم الجنود والمستوطنين الصينيين؛ بغية في التحكم على واحات حوض تاريم حتى سقوط أسرة هان الصينية من الحكم في بداية القرن الثالث الميلادي.

وبعد بضعة قرون من الاضطراب وعلى إثر هزيمة الترك الغربيين في جونغاريا في عهد أسرة تانغ Tang عاد الغزو الصيني لمنطقة شي - يو، وأقام الأمبراطور الصيني حاميتين عسكريتين، أولهما في شمال تنغري تاغ Tien Shan وثانيها في جنوبها، واعترفت ممالك ألواحات بالسيادة الصينية خلال الأعوام 657-751 م.

وفي عهد أسرة تانغ تميزت السياسة الصينية بالعداء والاستبداد أكثر مما كانت في عهد أسرة هان، ولم تعمل السفارات الصينية التي ترددت إليها على رشوة الأمراء بقبول السيادة الصينية فحسب، بل عملت على جمع معلومات إستراتيجية عن المنطقة، وبدلاً من أخذ الأمراء رهائن، أخذت الصين مستوطنين إيرانيين كثيرين من منطقة شي - يو إلى مقاطعتي كانسو Gansu وشنسي Shensi، ولم يعمل الإيرانيون جنوداً في وحدات الجيش الصيني فحسب، بل تولى القواد الإيرانيون والأويغور مناصب إدارية في الصين، وتوسعت الإدارات العسكرية والمدنية، وتقدمت على جانبي تنغري تاغ، حتى إذا حل عام

742م، كانت القوة الصينية تقدر بحوالي 490000 رجل، مع أكثر من 80000 حصان، تحت إمرة عشرة قواد يشرفون على القواعد العسكرية الحدودية، وأخيرا تمكن أمير تاشكند بمساعدة العرب من إلحاق هزيمة منكرة بالصينيين في معركة قرب نهر تالاس عام 751 م. مما أدى إلى استقلال ممالك آسيا الداخلية عن الصين<sup>(1)</sup>.

وأما الغزو الصيني الثاني لمنطقة شي - يو فقد كان في عهد المانشور في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، ثم أصبحت مقاطعة صينية باسم سنكيانغ بعد ثورة يعقوب بك في أواخر القرن التاسع عشر، واتصفت الإدارة المانشورية في المنطقة بالضعف العسكري، مما كانت عليها في عهد أسرة هان، وبالضعف السياسي عما كانت في عهد أسرة تانغ، ويلاحظ قسوة ووحشية الإدارة المانشورية في المذابح التي حدثت في جونغاريا، و ضد ثورات الأويغور في حوض تاريم، التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وقد بلغت ذروتها في قمع ثورة يعقوب بك.

وقد حصل الصينيون على أول قرض أجنبي في تاريخهم لقمع ثورة يعقوب بك، وفي عام 1876م تعين تسوتسونغ تانغ Tso Tsung-tang ( قائد صيني من مقاطعة هونان كان قد نجح في إخماد ثورة التايبين Taiping وأظهر إخلاصه لبلاط الأباطور المانشوري) قائدا عاما على القوة المتجهة إلى سنكيانغ، كما تعين ليو جينغ-تانغ Liu Ching-tang نائبا له، ثم صار الحاكم الأول لسنكيانغ؛ لما أظهره من كفاءة، وعندما كان القائد تسو تسونغ-تانغ في مدينة سوجو Suchow بمقاطعة كانسو جمع كميات كبيرة من القمح، قدرت أنها تكفي لاحتياج جنوده لمدة سنتين، وبعد ذلك توجه بجنده إلى سنكيانغ، ولما وصل إلى قمول وباركول وكوجنغ تز قسم جنده إلى مجموعتين، واحتفظ بالجنود المهرة في الجيش النظامي، واستبقى بالأقل كفاءة في المدن الثلاثة؛ للاستيطان والزراعة على

<sup>1</sup> Fan Wen-lan and others, A short General History of China, Shanghai ,1947, p.279. (in Chinese)



توفير المواد الغذائية لبقية أفراد الجيش.

ثم تقدم ليو جينغ تانغ نحو الغرب محتلا مدينتي اورومجي ومناس، ثم استدار إلى جنوب تنغري تاغ، حيث احتل مدن قراشهر وتوقسون وتورفان في عام 1877م، وعلى إثر سماع هذه الهزائم انتحر يعقوب بك في كورلا، واحتل تسوتسونغ تانغ مدن كوجار وباي واقسو واوج تورفان في خريف عام 1877م، ثم سقطت المدن الغربية كاشغر وياركند و ينكي حصار و خوتن في أوائل عام(1) 1878م، وكان الشعب الذي أنهكه يعقوب بك بالضرائب يرحب بالقوات الصينية.

وقبل هذا الغزو الصيني كان قد ثار جدل كبير في الصين عن أهمية غزو سنكيانغ، وكان لي هونغ جانغ Li Hung Chang في مقاطعة جي هيلي Chihli ( ويعرف حاليا باسم هوبي Hopei ) وباو يوان شينغ Pao Yuan Shing حاكم ولاية شانسي، يريان التخلي عن غزو سنكيانغ وتركيز الدفاع على الساحل، ولكن تسوتسونغ تانغ على العكس من ذلك يصرّ بعناد على إتمام احتلال الشمال الغربي، ويشير إلى المخاطر التي قد تنتج عن عدم الاحتلال.

وبالنسبة لرأي لي وباو كانت سنكيانغ طرفا من الأطراف النائية، بينما الساحل يشكل قلب الصين، فالعاصمة قريبة من البحر وذات صلة وثيقة بالدفاع عن الساحل، وفي حالة ضياع العاصمة، فإن احتلال سنكيانغ لن يجدي شيئا، والغزو العسكري للأراضي الغربية غير ذات أهمية وضرورية مثل الدفاع عن الساحل(2)، علاوة على ذلك فهناك مخاطر عسكرية ومالية تواجهها الحكومة الصينية بدفع

<sup>1</sup> - Yao Hsin-an "Development of Sinkiang policy toward and the end of the Ch'ing Dynasy "in Hsi Pei Yen Chiu, (Northwestern Research) Peiping 1932, No.3, p.32 (in Chinese)

<sup>2</sup> - Yao Hsin-an, op, cit, pp.27-29

الجيش بالزحف العسكري إلى ما بعد سوچو Suchow، فقد كلف إخماد ثورة التابين Taiping الخزينة أموالا كثيرة، وكذلك فإن احتياج القوات الغازية لسنكيانغ ستجر إلى مشاكل مالية خطيرة، بالإضافة إلى أن فرصة نجاح هذه الغزوة ضئيلة (1).

وحسب هذه الفكرة فإن الجمع بين الدفاع عن الساحل ومناطق الحدود الشمال الغربي، والاحتفاظ بسنكيانغ مستحيل وعبء كبير على الصين في أي حال؛ لأن سنكيانغ ليست منطقة ذات عوائد اقتصادية، بل تلزم حكومة الصين تمويلها بشكل كبير، كما أن احتلالها يسيئ إلى علاقات الصين الدولية؛ لأن الصين ليست على قدر كبير من القوة لمواجهة روسيا وبريطانيا وإيران وتركيا التي لها مصالح في سنكيانغ، ومن الأفضل عمليا التخلي عن احتلالها، بدلا من الاستيلاء عليها مؤقتا، وكانت معلومات البلاط المانشوري محدودة عما قد تثيرها تركيا وإيران ضد الصين من مخاطر.

وبناء على ما سلف فقد أشار لي هونغ جانغ Li Hung Chang على البلاط المانشوري أن يسحب القوة العسكرية من الشمال الغربي، وأن يعمل على توطين بعض أفرادها ليس في سنكيانغ بل في كانسو وان هسي Anhsi وتونغ هوانغ Tung Huang حتى يتكون فيها قوة حربية دائمة يمكن الاستعانة بها وقت الضرورة، وإن هذا الأمر سيدفع الحكومات المحلية في أيلي واورومجي وكاشغر وغيرها للاعتراف بالحماية الصينية أو بالتبعية لها، مثلما تم في آنام وكوريا أو مياو Miao وياو Yao وتاي Tai الإمارات القبلية على حدود يوننان Yunnan وكوي جو Kwei chow وسزجوان Szechuan.

وفي الاتجاه المعارض لسياسة التخلي عن سنكيانغ قاد تسوتسونغ تانغ بحماس شديد عملية الإطاحة بثورة يعقوب بك واحتلال سنكيانغ، ويتلخص رأيه: على أن سنكيانغ ذات أهمية

<sup>1</sup> - Ibid

استراتيجية لشمال الصين؛ لأن الدفاع عن بكين يقع على القواعد العسكرية في كالغان **Kalgan** وأوليا سوتاي **Uliassutai** وكوبدو **Kobdo**، كما أن الدفاع والاحتفاظ باورومجي وكذلك باركول عن منغوليا يعتمد على سنكيانغ، بينما الساحل الصيني لا تهدده القوى الأجنبية بالغزو، بل تتنازعه مصالح تجارية لا تهدف إلى توسع عسكري أو مدني، وأن تشديد السيطرة على سنكيانغ يتطلب الاحتفاظ بارومجي وكذلك باركول وقمول في الشرق، وجوكوجاك في الشمال الغربي، وأكد تسو عن اقتناعه بأن جونغاريا أكثر أهمية استراتيجيا من حوض تاريم، وعلى هذا فهو لن يصغي للأصوات المعارضة حتى تسقط سنكيانغ ويتم إدارتها جيدا.

وكان تسو قد اقتنع تماما بأهمية احتلال سنكيانغ، ولما اقترح الوزير البريطاني في بكين على البلاط المانشوري بأن يبقي على حكومة يعقوب بك محمية صينية، اعترض بعنف على هذا الاقتراح، وعندما حمل الوزير الصيني في لندن رغبة البريطانيين بالاعتراف بمملكة منفصلة في كاشغر، ردّ عليه تسو بقوله: "إذا كان البريطانيون صادقين في مشاعرهم نحو كاشغر، عليهم أن يمنحهم بعض الأراضي الهندية، وإذا رغب الوزير البريطاني في بكين أن يبحث هذا الأمر، عليه أن يذهب إلى معسكر تسو في سوجو **Suchow**<sup>(1)</sup>، و بمثل هذا الإصرار الذي اتصفت سياسته قاد تسوتسونغ تانغ جنوده من جونغاريا لاحتلال حوض تاريم.

وفي أواخر القرن التاسع عشر كانت الصين فعليا تحت نفوذ ثلوث يتكون من: تسوتسونغ تانغ ولي هونغ جانغ **Li Hung-chang** وجانغ جيه تونغ **Chang Chih-tung** نائب الإمبراطور المشهور في خوبيه **Hupei** وهونان **Hunan** الذي تعاطف مع سياسة تسو أكثر من تعاطفه مع لي هونغ جانغ، وحبذا إرسال وفد

<sup>1</sup> -Chiang Chun-chang, Hsinchiang Chin-Yin Lun, Nanking, 1936, especially the preface, by Ch`en Hsun-tze

إلى بتروسبورغ؛ لإجراء مفاوضات مع روسيا لاستعادة إيلي<sup>(1)</sup>، وفي النهاية انتهى القرار لصالح تسو بدون رعاية لأجداد الأسلاف الحربية<sup>(2)</sup>.

ومنذ أن احتل الإمبراطور جين لونغ Ch`ien-lung جونغاريا وحوض تاريم وضمهما إلى الصين في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، ظهر كأن إهمال استعادة سنكيانغ وإيلي هو تخلي البلاط الإمبراطوري عن اتباعه<sup>(3)</sup>.

وفي سنكيانغ تميزت إدارة تسوتسونغ تانغ بالحذر واختيار الموظفين المدنيين والعسكريين؛ للتعامل بالقسوة والبطش ضد المسلمين بهدف منع ثورتهم في المستقبل، واستخدم تسو أقاربه و أبناء موطنه هونان في الإدارة، مما أدى إلى سيطرة الموظفين الهونانيين كاملة على إدارة سنكيانغ في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكان الأويغور في نظر تسو شعبا عاصيا، بينما اعتبر المسلمين الصينيين خونة؛ لأن معظمهم من أصول صينية، كما أنهم صينيون لغة، وبهذه الفكرة قتل تسو الكثيرين منهم، كما انتهج سياسة فرق تسد، واستعمل بعض الاعتدال مع الأويغور والقازاق والمغول.

وبالرغم أن تسو أكمل احتلال حوض تاريم، لكن النقاش الحاد بين الموظفين والبلاط الإمبراطوري استمر حول وضع المنطقة، إلى أن تبنى البلاط المانشوري رأي تسو، وصدر مرسوم إمبراطوري بتحويل

<sup>1</sup> -Ibid

<sup>2</sup> -Yao Hsin-an, op.cit., p.30

<sup>3</sup> -قامت خانیه مستقلة برئاسة ايبيل اوغلو Abil-Oghlu في وادي إيلي في عام 1871 وأصبحت محمية روسية حالما دخلتها القوات الروسية، وفي عام 1900 كان عدد سكان منطقة إيلي 170 000 نسمة وفي جوكوجاك 000 130 نسمة، انظر:

سنكيانغ إلى مقاطعة وتسميتها سنكيانغ Hsin Chiang (أي: الأرض الجديدة، أو كما ترجمت حديثاً بالمستعمرة الجديدة) (1)، وجعل أرومجي عاصمة لها وتسميتها: تي-هوا Ti-Hua، وتأسيس أكثر من عشرين إدارة أقليمية فيها وذلك بتاريخ 18 نوفمبر 1884م. ويمكن تصنيف الصينيين الموجودين فيها حينذاك إلى أربع فئات (سيتم بحثهم بالتفصيل في الفصل الرابع) وهي:

أولاً- المجرمون والموظفون المنفيون من الصين خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

ثانياً- عوائل وأسر الموظفين الصينيين من عسكريين ومدنيين، ومعظمهم من مقاطعات الصين: هونان ويوننان وكانسو والمناطق المانشورية في الشمال.

ثالثاً- التجار ويشمل المرابين من شانسي وتين تسين Tientsin وتجار الشاهي من هوبه Hupeh وهونان.

رابعاً- الفلاحون والمهجرون إليها بالمرسوم الإمبراطوري الذي تضمن تقديم إعانات مالية إلى كل من يهاجر ويستوطن سنكيانغ في عام 1776<sup>(2)</sup>.

وقد انتشر تجار تين تسين في وادي إيلي شمالاً إلى ماوراء مدينة غولجه، وقبل عشرين عاماً تقريباً أشار سائح بريطاني إلى أن التجار الناجحين في غولجه هم من القادمين إليها من توليو Tou Liu ويانغ ليو جينغ Yang Liu ching، من مدن غرب تين تسين، وإن تجارة إيلي بقيت في أيدي هذه الأسر عبر الأجيال، وبالنسبة إلى

<sup>1</sup> -Tung-hua hsu-lu ,1a-1b, kUanghsu 66; Ta Ch`ing Te Tsung Ching Huang-ti Shih-lu 190.27a-28a; and Ch`ing Shih Kao, Pen-chi, Vol.23.17a.

<sup>2</sup> - Wang Hsien-chien, Tung-Hua Lu (Collection of State Papers) Imperia Edict of June 1776

علاقات الصينيين الاجتماعية فإنه لا يستغرب أن الصينيين القادمين إليها من تين تسين يشكلون جماعة واحدة، يمكن تمييزهم بين فئات الشعب من أصحاب الأملاك إلى الحلاقين في مدينة غولجه (1).

ومنذ أن أصبحت سنكيانغ مقاطعة في الصين، فالأقلية الصينية فيها تحكمها حكما غير مباشر، وهو الأسلوب الذي وجدته الإدارات الإستعمارية مجديا أكثر، ولم تتدخل حكومة الصين كثيرا في البناء الإقطاعي التقليدي للأويغور والقازاق والقيرغيز والمغول، بل استخدمت الأمراء والحكام المحليين عملاء في الحكم والإدارة، وكانت النتيجة، كما هو الحال في سيكانغ Sikang والأجزاء الجنوبية في يوننان، وأدى هذا الحكم اللامباشر إلى انقسام الإدارة إلى طبقة عليا يسيطر عليها الصينيون، وطبقة سفلى تتكون من الأهالي، ومن مساوي هذا النظام أنه لايشجع على تطوير الإدارة والسياسة، بل يعزز نظام الإقطاع و يعيق التطوير و تحديث المجتمع.

وبينما تفسى الفساد والرشوة والانهلال في طبقة الإدارة السفلى، فإن طبقة الإدارة العليا خضعت لسياسة الحاكم أو رئيس حكومة المقاطعة، وبالنسبة لهذه الطبقة العليا فالسياسة الصينية مرت بثلاث مراحل هي:

1- النظام البيروقراطي القديم، الذي دام نصف قرن من 1884-1933م، ويمثل الحاكم يانغ تسنغ هسين Yang Tseng-hsin، والوالي جين شوجن Chin Shu-jin، وهما نماذج لأواخر البيروقراطية الإمبريالية القديمة، مع أنهما عملا لجمهورية الصين.

2- مرحلة أمير الحرب شنغ شيه - تساي Sheng Shih-tsai الذي بدء بسياسة تحررية، وانتهى بسياسة القمع الوحشي في فترة حكمه ما بين 1933-1944م.

<sup>1</sup> Journal of Central Asian Society, Jan.1931, Vol.18.pt.I.p.140

3- الفترة من 1944م إلى سقوط سنكيانغ بيد الشيوعيين الصينيين القادمين من الشرق، والشيوعيين الروس القادمين إليها من الغرب، وقد تميزت سياسة الكومنتانغ في هذه المنطقة الحدودية بالانتهازية لمواجهة الأحداث المزمنة.

### الإقطاعية البيروقراطية 1884-1933م:

وكان من أهم الإقطاعيين البيروقراطيين هو يانغ تسنغ هسين Yang Tseng-hsin ولد في يوننان من عائلة انتقلت إليها من نانكين، وبعد أن اجتاز بنجاح الخدمات المدنية الامبريالية عين حاكما لمنطقة في كانسو، ثم ترقى إلى رئيس إدارة أقليمية (تاوتاي Taot`ai) في المقاطعة ذاتها، وكانت سجلاته الوظيفية جيدة، مما لفت انتباه وانغ شو-تانغ Wang Shu-t`ang مفوض الشؤون الداخلية في سنكيانغ، الذي اقترح تعيينه حاكما على منطقة أقسو، ثم صار حاكما على اورومجي وباركول.

وفي عام 1912م بعد الاضطرابات التي صاحبت الثورة الصينية، تقاعد حاكم عام سنكيانغ، وتولى يانغ منصب الحاكم العام، وتفاوض يانغ مع الثوار في إيلي، وقمع ثورة إسلامية في قمول، كما أمد ثورة كو لاو هوي Ko lao Hui (الإخوة الكبار) السرية في حوض تاريم ووجد جميع إدارات المقاطعة.

وكان معظم القواد في الجيش والشرطة عند يانغ من موطنه يوننان وهم من الشباب المتحمسين لجمهورية الصين الجديدة، وفي عام 1916م عندما قام الجنرال تساي او Ts`ai Ao بتشكيل ثورة ضد يوان شيه كاي Yuan Shih-k`ai لتأسيس مملكة في يوننان، أراد الشباب الانضمام إلى حركة الجمهوريين، وعندما رفض يانغ الانضمام إليهم قاموا بتدبير خطة لقتله، ولكن اكتشفت الخطة من قبل أحد رجاله من المباحث، ودبر هو خطة مكررة ليتخلص منهم.

أولاً- طلب الموظفين اليونانيين للمثول بين يديه؛ للاستجواب عن المؤامرة، وعندما أنكروا ذلك قام بإعدام رجاله من المباحث؛ لإقناعهم بأن ما نقل إليه من المؤامرة كانت كذبة، ثم نقل عوائلهم إلى داخل الحي الذي يسكنه، ثم انتهاز فرصة إقامة حفلة لمفتش وزير التعليم القادم من بكين، ودعا كل الموظفين اليونانيين المهمين إليها، وفي قاعة الطعام قام حراسه بقتل اثنين منهم، وتم اعتقال الباقيين ومعاقبتهم (1).

ويتصف يانغ بأنه متوسط الارتفاع، مع وجه قاس، ويبدو عليه الوقار ولكنه مريب، وقد تولى حكم المقاطعة بشكل منفرد، بدون اهتمام كبير بتعليمات الحكومة المركزية في بكين، وبالرغم أنها حاولت إزاحته أو إحالته إلى التقاعد، ولكنه تمكن من الاحتفاظ بموقعه بالرشوة والقوة، والموظفون الذين تم إرسالهم لذلك تم احتجازهم في المقر الرئيسي حتى تأكد من عدم قدرتهم على العمل أو مقاومته، وأغراهم بالهدايا والرشاوي وأعادهم بأدب.

وفي أثناء خمسة عشر عاما لحكمه ركز أفراد عائلته في المقاطعة تماما من طرف لآخر، وفي عام 1927م كان حكام كل المناطق في جنوب سنكيانغ من كرية إلى كاشغر ممن يلوذون له بقرابة مباشرة أو بالمصاهرة ما عدا اثنين أو ثلاثة.

وخلال حكمه واجه يانغ مخاوف الثورة، ولكنه عالجها بالحذر في تعامله مع الشعب والأحداث، وكانت الصحف الصينية والأجنبية تحت الرقابة الصارمة، أي: الأخبار التي تثير الاضطرابات كانت تمنع من دخول المقاطعة، لم يسمح بصدور

1 - أخبر بهذه الواقعة هسيه بين Hsieh Pin وكان هو المفتش الذي حضر من بكين وحضر الحفلة وذلك في كتابه باللغة الصينية



جريدة باللغة الأويغورية أو القازاقية<sup>(1)</sup>، ومكتب البرقيات كان في مقر يانغ، ويشرف عليه بنفسه، إذ تولى بنفسه فتح وإغلاق المكتب، ولم يسمح بالموظفين العاملين فيه بالتحدث للآخرين، وتولى بنفسه مطالعة الوثائق المهمة التي لم يتمكن رؤساء الإدارات الاطلاع عليها بدون ترخيص منه.

وقد قام يانغ بتغيير مهم في إدارة المواطنين على مستوى بيكوات أو روساء الأويغور، وقبل عام 1910م، وبعد أن أصبحت سنكيانغ مقاطعة، كانت الحكومة الصينية قد منحت بيكوات ميزات المرتبة الصينية هسيانغ يه Hsiang Yeh رؤساء المناطق؛ لأن الحكام الصينيين يأتون ويذهبون من المقاطعة بينما هؤلاء رؤساء المناطق المحليين غالبا ما يستمرون في مكاتبهم لمدة قد تستغرق عشرين أو ثلاثين عاما، ومحاولة إقالتهم كانت نادرة، وفي عام 1915م وجد يانغ طريقة يستطيع أن يتحكم بها على القوة المحلية، فأمر أن يتم انتخاب ولاية المناطق أولا، ثم يتم ترشيحهم من الحكام الصينيين، ثم يكون تعيينهم من قبله، ويمكن أن يعزل الوالي بعد تعيينه في أي وقت، ولكن يحتفظ بحق إعادة الترشح في الانتخاب<sup>(2)</sup>، ومعنى هذا الترتيب في التعيين من الانتخاب والترشيح والتعيين أنه أيضا سيكون سببا بالتقدم بالشكوى ضد الولاية.

كرجل يمثل البيروقراطية القديمة عرف يانغ بالكرم في إنشاء العلاقات الجيدة، كما عرف بشدة العقوبة ضد المتهمين، وقد شاع عنه بعض القصص بين العامة، ذلك أنه حتى في تطبيق العدالة

<sup>1</sup> -W. Bosshard, "Politics and Trade in Central Asia" in Journal of the Central Asian Society, London 1929, Vol.16. pt.4, p.438 and also Hsieh Pin, op. cit., p.135

<sup>2</sup> - Tseng Wen-wu ,Chung Ku Kin Ying Hsi Yu Shih , Shanghai 1936,p.592 (in Chinese)

كان طاغيا، وفي إحدى هذه القصص كما يروى أنه بينما كان يتجول في شوارع العاصمة مثلما كان هارون الرشيد يعمل، رأى أحد الجنود يسرق 14 حذاء، فأطلق النار عليه في الحال<sup>(1)</sup>. وفي ذات الوقت كان كريما مع اللاجئين الروس في سنكيانغ، حيث سهّل لهم العمل وأعطى بعضهم قروضا، ويقال إنه قدّم المال لابن فان ياو نان Fan Yao-nan مفوض الشؤون الخارجية وهو الرجل الذي اغتاله فيما بعد.

وفي سياسته تجاه القوميات غير الصينية في سنكيانغ استعمل يانغ السياسة التقليدية في استعداد بعضهم على بعض، واستغلال المعارك التي تحدث بين مختلف هذه القوميات، فقد كان مغول تورغوت في حكم المانشور لهم مزايا ضد القازاق، حيث منحت لهم حقوق الرعي في المراعي، بينما كانت قبائل القازاق يعاملون على أنهم مستأجرين لدى المغول، وفي استعمال طرق الهجرة وأراضي الغابات ومناطق الماء كان الأسلوب التقليدي في استغلال العدا بين الرعاة والشعوب المستوطنة وكذلك بين المجموعات المستوطنة نفسها<sup>(2)</sup>.

وعندما وصل يانغ تسنغ هسين إلى الحكم في سنكيانغ كانت هناك ثورة في منغوليا الخارجية كما كانت في الصين، وخوفا من أن المغول في سنكيانغ قد يتعاطفون مع الأحداث في منغوليا الخارجية، حول يانغ اهتمامه من المغول إلى القازاق، ومنع المغول من حمل الأسلحة، بينما سمح للقازاق لأخذ الأسلحة من القوات الصينية في المقاطعة، واستثنى من ذلك المغول تورغوت

<sup>1</sup> - Anonymous " His Excellency Yang Tsen-hsing " in Journal of Central Asian Society, London 1929, Vol.16.pt.I, pp.88-89

<sup>2</sup> - M. Nemchenko," The Colonial Regime and Agrarian in Relations in Sinkiang "in Problems of China, Moscow 1931 ,8-9 (3-4) pp.181-190 (In Russian)

في قرا شهر التي كانت بعيدة من منغوليا الخارجية، وسمح لهم بالاحتفاظ بقوة من الفرسان تم تدريبهم من قبل القوازي الروس.

لم يكن يانغ غافلا عن ظهور مظاهر الوطنية الحديثة، وفي مذكرة كتبها إلى الحكومة الوطنية في بكين في عام 1925م عندما كانت الشعارات الثورية تنتشر في أرجاء الصين ذكر أن القوى والامتيازات عوامل رئيسة في الحركة الإسلامية بين المسلمين في أوروبا وآسيا، ويمكن ملاحظة مرئياته السياسية في سنكيانغ فيما ذكره بالآتي:

من خلال جمهورية فيدرالية فقط يمكن بالتدرج معالجة النزعات الأصولية، ومن المهم جدا تحقيق كل الإصلاحات السياسية والإدارية، ولا يمكن أن تعتبر أراضي المسلمين سمكا أو لحما وجعله هدفا للاستغلال، بل يجب أن يكون مجالا لحكم غير مباشر تكون السيادة الصينية فيه من خلال حكم ذاتي للمسلمين، وإلا من الصعب تفادي الأزمات الداخلية وتنامي العداء<sup>(1)</sup>.

كما أنه كان واعيا تماما بضعف الإدارة الصينية في هذه المقاطعة الحدودية البعيدة، حيث ذكر في المذكرة ذاتها:

من المؤسف أن مقولة عائلة واحدة تتكون من خمس قوميات (الصينية - المانشورية - المغولية - الإسلامية - التبتية) بقيت قولاً ولم تصبح حقيقة، والموظفون الصينيون بدون شعور بالمسؤولية الأخلاقية، بل بنفوس مليئة بالجشع يسيئون الإدارة، وهناك الكثير من الموظفين السيئين والقليل من الجيدين، وهذا مما يفسر لماذا كانت أيام الاضطرابات كثيرة بينما أيام الهدوء قليلة، وهذا هو الواقع في كل المقاطعات، والأسوء منها في الحدود، ومن الصعب أن يحكم الموظفون الصينيون المسلمين

<sup>1</sup> Tseng Wen-wu, op.cit., p.599

بشكل جيد إذا لم تتحسن الإدارة جيدا<sup>(1)</sup>.

وقد قام يانغ في سبيل تحقيق بعض أفكاره التي عبر عنها في مذكرته، حيث نفذ بعض الإصلاحات في الوضع الاقتصادي في سنكيانغ، إذ في عام 1915م أنهى احتكار تجارة بيض دودة القز، فقد اتهم الحكام الصينيين في كل من ياركند وقارغيليق وسوق كوما وخوتن ولوب وكريه من استيراد بيض دودة القز من روسيا والهند، وبيعها على الفلاحين بأكثر من ثلاثة تيه (Taels)، وأحيانا بأكثر من خمس تيله، بينما كانت تكلف واحد تيله بالأكثر<sup>(2)</sup>.

وفي عام 1916م قام بإنهاء العمل بنظام السخرة المعروف عند المانشور بمصطلح وولا Wula، وقد كان يطبق في مقاطعات الحدود مثل سيكانغ Sikang وسزجوان Szechuan وجينغاي Chinghai وسنكيانغ، حيث كان الموظفون والرحالة الصينيون بقوة السلطة الرسمية يحصلون على الطعام والسكن ومواصلات النقل من أفراد الشعب بدون مقابل، ولكنه لم يستطع من إلغاء ذلك، واستمر الوضع.

وفي العام نفسه قام بإصلاح آخر، ويتمثل في تخفيض رسوم فوائد قروض القمح على مخازن القمح العامة التي كانت تتصف إداراتها في كثير من المناطق بالفساد؛ لأن الموظفين المسؤولين يسعون القمح بثمانية تو (Tou)، ولكن عندما يجمعونها يحسبون كل 12 بعشر (تو)، وبهذا الأسلوب كان يعملون على جمع أرباح تصل إلى 50%، وقد قام بمنع هذا التكبس غير القانوني بفرض معايير أساسية تحدد مستوى الربح في 10%.

وكان الموظفون يشتغلون في الربا بدفع المال للمرابين، وفي حوض تاريم كانت متاجر الربا يعمل فيها تجار من قوميات:

<sup>1</sup>- Ibid.p.100

<sup>2</sup>- Ibid. pp.595-596

الصينية والأويغورية والهندية في حماية القنصل العام البريطاني في كاشغر، والتتار الذين كانت لديهم الجوازات الروسية والمسلمين الصينيين، وكانت نسب الربا تتراوح ما بين 7 و8، وأحيانا 10 في المائة في الشهر، كما كانت مكاتب حكومية تقدم القرض بنسبة 1% في الشهر، والموظفون بدلا من مساعدة الفقراء بهذا يقدمون الأموال إلى المرابين بنسبة 2% أو أكثر، وبالتالي هؤلاء المرابون يقدمونها إلى الفقراء بنسب عالية، وهكذا يتم إساءة استغلال هذا النظام في إيذاء الناس، وكان أغنياء التجار هم البكوات ورؤساء الإدارات المحليين الذين يستطيعون استغلال هذا النظام بحماية من الولاة الصينيين، وفي عام 1922م قام يانغ بمحاولة منع هذا الفساد، أولا بمنع الجمع بين القروض الخاصة والإقراض الحكومي، ثم بإلغاء تقديم القروض الحكومية (1).

ومن الأمور التي تعامل معها بسهولة يانغ كان سياسة الميزان التجاري، فقد طلب من التجار ألا يزيد قيمة ما يستوردونها عن قيمة الصادرات، وكان يهدف من ذلك منع خروج ثروات المقاطعة مع الأويغور التجار وتكدسها في بنوك روسيا وذلك قبل الثورة الشيوعية في روسيا، ومنع التجار الصينيين من سحب ثروتهم من سنكيانغ إلى مقاطعاتهم، مع أنه هو نفسه بواسطة التجار الصينيين كان يبيع صادرات سنكيانغ ويودع أمواله في البنوك في الفلبين التي كان يحكمها الأمريكان بدلا من الصين.

وفي عهد يانغ اضطرت سنكيانغ إلى تغيير نظامها المالي؛ لأنها قبل الثورة الصينية كانت المقاطعة تعتمد بشكل كبير على خزينة الإمبراطورية، وتتلقى سنويا ميزانية قدرها 2920000

1 - لمعرفة هذه الإصلاحات أو محاولاته ينظر في:

تايل، ثم تم تخفيضها إلى 2600000 تايل، ولكن في بداية الجمهورية الصينية ونظرا لعجز ميزانية الحكومة المركزية قطعت عنها الميزانية، فاضطر يانغ إلى إصدار عملات نقدية خاصة بالمقاطعة بقيمة عشرة ملايين تايل<sup>(1)</sup>، مما تسبب في التضخم والغلاء في سنكيانغ.

ثم أصدر يانغ أربع عملات ورقية خاصة لكل من ولايات أرومجي وتورفان وإيلي وكاشغر في سنكيانغ، ويتم تداول وتحويل هذه العملات فيما بينها بضرائب مختلفة، وتقيم كل عملة منها بالتايل، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك عملات معدنية من قطع النحاس الصغيرة وقطع فضية يتداولها الناس بحكم تجارتهم مع الهند البريطانية وتركستان الروسية، واحتفظت حكومة سنكيانغ الإقليمية بحق إلغاء العملات من خلال الإشراف على رسوم تحويل العملات بين مختلف ولايات سنكيانغ، والاستفادة من تنوع العملات بممارسة الضغوط على رسوم التحويل.

وبموجب معاهدات ثنائية مع يانغ حصلت روسيا على تصريح لفتح فروع للبنك الآسيوي الروسي في كل من أرومجي - إيلي- جوكوجاك - كاشغر، واستمر عمل هذه الفروع لعدة سنوات بعد الثورة الشيوعية في روسيا، وكان هذا البنك قد حصل على حق إصدار الأوراق النقدية مثلما كانت البنوك الأجنبية في الصين، والثورة الروسية التي بدأت في عام 1916م أدت إلى الإستنزاف المادي، مما دفع البنك المذكور أن يرفع إصدار الأوراق النقدية من مليون إلى خمسة ملايين روبل<sup>(2)</sup>، ومع إنهيار الروبل الروسي انخفضت قيمة العملات المحلية وارتفع التضخم في ستكيانغ، وكان مجموع دخل سنكيانغ يزيد عن 5200000 تايل،

<sup>1</sup> Chiang Chun-chang, Hsinchiang Chin-Yin Lun, Nanking 1936, (trprinted Chungking 1939) p.45 (inChinese)

<sup>2</sup> - Hsi Pei Yen Chiu (Norrtwest Research) Peiping 1932, Vol.6, issue of April 15, pp.55 and 129 (in Chinese)

وبلغ عجز الميزانية 700000 تايل، وكانت رسوم الأراضي الزراعية أهم مصدر من مصادر الدخل الوطني، وقد بلغت مساحة هذه الأراضي 10 500 000 مو (1)Mu<sup>1</sup>، وكان الدخل من مناجم الذهب التي تشرف عليها حكومة سنكيانغ أو تحتكرها يقل عن 5000 تايل في ذلك العام.

وفي هذه الفترة لم تكن حكومة سنكيانغ تمتلك أموالاً لتمويل مشاريع الري واستصلاح أراضي زراعية جديدة، ولم يكن التضخم والعجز يعيقان التقدم الاقتصادي فحسب، بل أدى إلى تفشي الفساد بين الموظفين، وبينما ردد الموظفون الصينيون الثناء والمدح في كفاءة الحاكم يانغ تسنغ هسين فقد كتب السائح السويدي بوس هارد: Bosshard

في تركستان الصينية يتفشى الفساد في جميع الطبقات، وأصبح الخير مثل غيره من سلعات تجارية يباع ويشترى، ولم تعمل الحكومة الإقليمية على محاربة الفساد وتحسين الأحوال، إلا أنها شجعت كبار الموظفين على نهب أموال الشعب والإغتناء غير المشروع في المدن والقرى على السواء (2).

فقد كان موظفاً رجعيًا ينتهج سياسة قديمة في الحكم، ولا يستحسن الحضارة الأجنبية مع أنه كان كريماً في معاملة الأجانب، لكنه لا يكن لهم إلا الكراهية، ولما سأله أحد طلاب البعثة الصينية- السويدية التي كان يرأسها سفن هيدين Sven Hedin عن عدم الاستفادة من المهندسين في إدخال التقنية الحديثة إلى المقاطعة، أجابه بعنف: نعم هذا ما نرغبونه أنتم أيها الطلاب..

<sup>1</sup> - مو Mu وحدة تقليدية لمساحة الأرض تختلف من مكان إلى مكان، ويقاس كل ست مو بفدان في المتوسط.

<sup>2</sup> - Bosshard, op.cit., p.437

فأنتم مستعدون على بيع وطنكم إلى الأجانب (1).

ومع أنه كان واقعياً في معالجة بعض الأمور إلا أنه لم يتمكن من مواجهة الأحداث الدولية، ولما تولى يانغ القيادة العسكرية في سنكيانغ في عام 1912، قال في اجتماع رسمي:

عندما كانت الصين قوية ومستقرة في عهدي هان وتانغ كانت شعوب مناطق الحدود خاضعة لها، ولما أصابت الصين الضعف والعجز ثارت تلك الشعوب عليها، واليوم تغير الوضع تماماً؛ لأن شعوب منغوليا الخارجية ومناطق الحدود باتت تهددها اليوم، وإذا فقدنا سنكيانغ هذه المرة لن نستطيع العودة إليها ثانية (2).

وكان يانغ بعد أن تولى حكم سنكيانغ يعالج بنفسه مشاكل الحدود بين سنكيانغ ومنغوليا الخارجية، ولما التجأ القازاق إلى سنكيانغ على إثر ثورتهم ضد القيصر الروسي الذي أمر بتجنيدهم إجبارياً (3)، لم يمهله القازاق من الدخول والانضمام إلى قازاق سنكيانغ، على الرغم من أعمالهم النهب وقتل رجال الحدود قرب بحيرة اسيق كول.

وبعد ما انفجرت ثورة أكتوبر 1917م في روسيا بدء اللاجئين أيضاً يفدون إليها، وقد دخلت إليها مجموعتان من الروس، يقدر عددهم ما بين 30000-40000 رجلاً في عامي 1920-1921م، وكانت جماعات منهم تريد العبور إلى الصين

<sup>1</sup> - Journal of the Central Asian Society, London 1929, Vol.16, pt.1, p.89

<sup>2</sup> - A Survey of Sinkiang, edited by the Provincial Government, 1938, p.111. (in Chinese)

<sup>3</sup> - The Rising of the Year 1916 in Kazakhstan, Documents and Materials, Ed.by B.S. Suleimanov.Compilers: F.N. Kireev, Sh.Ya. Shafiro. Academy of Science of the Kazakh S.S.R..We have not had access to this volume but there is a review of it by M. Kim in Questions of History, Moscow-Leningrad ,9,1948, pp.111-113 (in Russian)



والهند، وجماعة منهم تريد الانضمام إلى الثورة الروسية في منغوليا الخارجية، ومع أن أفراد جيش يانغ لا يزيد عن عشرة الآف جندي تقريبا، إلا أنه تمكن من إعلان حالة الطوارئ بهدوء وحزم، واحتجز أسلحة بعضهم وأنزلهم قرب مدينة كوجنغ تز، ثم تفاوض مع الحكومة الروسية لاستصدار عفو عام عنهم وتأمين عودتهم إلى روسيا، كما حصل على مساعدتها لنزع أسلحة الروس البيض النازلين في منطقة التاي على حدود منغوليا الخارجية، ثم استغل حالة الطوارئ على إعادة تشكيل منطقة التاي التي كانت تتميز بقوة النفوذ القازاقي والمغولي، بتقسيمها إداريا إلى ثلاث ولايات وثلاث مناطق، وقد كانت تخضع إداريا إلى الوالي السامي المانشوري المقيم في كوبدو في منغوليا الخارجية حتى عام 1912م.

وكان يانغ حذرا في علاقاته مع الحكومة السوفياتية الحديثة؛ لأن حكومة الصين الوطنية في بكين التي يخضع لها، ما زالت مضطربة ولم تقم علاقات دبلوماسية معها، وفي هذه الظروف اضطر يانغ أن يعالج بنفسه المصالح الروسية في سنكيانغ، والمصالح الصينية في الأراضي السوفياتية، وقد أغلق الطريق المؤدي من غرب كاشغر إلى روسيا عام 1920م، وهي حركة فسرت أنها كانت لموقف بريطانيا العدائي من النظام السوفياتي، وخوفا أن يكون لبريطانيا التي لها نفوذ قوي في كاشغر ما يؤثر على الوضع المضطرب في آسيا الوسطى الروسية (1)، وفي هذا العام أيضا أبرمت اتفاقية تجارية بين سنكيانغ والسلطات المحلية في الأراضي السوفياتية، وعلى ضوء هذه الاتفاقية تمكن من إعادة بعض اللاجئين الروس، والسلطات في تاشكند اتخذت موقفا

1 - ولمعرفة تقارير الضباط البريطانيين يمكن مطالعة:

L.V.S. Blacker, On Secret Patrol in High Asia, London 1922, and F.M. Baily, Mission to Tashkent, London 1944

وَدِيًّا فِي حَلِّ مَشَاكِلِ الْمَمْتَلَكَاتِ الصِّينِيَّةِ الْخَاصَّةِ، الَّتِي تَأَثَّرَتْ بِنِظَامِ الْمَصَادِرَةِ السُّوفِيَّاتِيَّةِ<sup>(1)</sup>، وَأَصْبَحَ الطَّرِيقُ عِبْرَ وَادِي إِيْلِي طَرِيقًا تِجَارِيًّا بَدَلًا مِنْ طَرِيقِ كَاشْغَرِ الَّتِي أُغْلِقَتْ، وَبَدَلًا مِنْ سَبْعِ قَنْصَلِيَّاتٍ رُوسِيَّةٍ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي سَنْكِيَانْغِ تَمَّ الْاِقْتِصَارُ عَلَى قَنْصَلِيَّتَيْنِ فِي وَادِي إِيْلِي، فِي مَقَابِلِ قَنْصَلِيَّتَيْنِ صِيْنِيَّتَيْنِ بِتَرْتِيبٍ مِنْ حُكُومَةِ مَقَاطَعَةِ سَنْكِيَانْغِ، وَلَيْسَ مَعَ الْحُكُومَةِ الْوَطْنِيَّةِ الْمَرْكَزِيَّةِ، الْأُولَى: فِي سَمِيْبَالَاتِنْسْكَ Semipalatinsk، وَالثَّانِيَّةُ: فَرخْنَه- يُوْدِينْسْكَ Verkhne-Udinsk عَلَى الْحُدُودِ بَيْنَ سِيْبِيرِيَا وَمَنْغُولِيَا الْخَارِجِيَّةِ، وَلَا يَعْرِفُ سَبَبَ إِجَادِ هَذِهِ الْقَنْصَلِيَّةِ فِي الطَّرِيقِ التِّجَارِيِّ الرَّئِيسِيِّ بَيْنَ رُوسِيَا وَمَنْغُولِيَا الْخَارِجِيَّةِ، مَعَ أَنَّ الْحَرَكَةَ التِّجَارِيَّةَ مِنْهُ إِلَى سَنْكِيَانْغِ قَلِيلَةٌ جَدًّا، وَمَعَ أَنَّ الْأَهْمَ مِنْهَا أُلْغِيَتْ، وَتَعْرُضُ التِّجَارُ وَالْمَسَافِرُونَ لِقِيُودٍ مَحَلِّيَّةٍ صَارِمَةٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَفِي عَامِ 1924مَ عِنْدَمَا أُسِّسَتْ الْعِلَاقَاتُ الدِّبْلُومَاسِيَّةُ بَيْنَ الصِّينِ وَالْاِتِّحَادِ السُّوفِيَّاتِيِّ، وَتَمَّ تَوْقِيعُ الْاِتِّفَاقَةِ بَيْنَهُمَا، أُلْغِيَتْ التَّرْتِيبَاتُ السَّابِقَةُ، وَفِي عَامِ 1925مَ فَتَحَتْ الْقَنْصَلِيَّاتُ السُّوفِيَّاتِيَّةُ فِي كُلِّ مِنْ: جُوكُوجَاك - شَارْسُوم - غُولْجِه Ining وَكَاشْغَرِ، وَوَصَلَ الْقَنْصَلُ الْعَامِ السُّوفِيَّاتِيِّ إِلَى أُوْرُومْجِي فِي أَوَاخِرِ عَامِ 1925مَ، وَفِي الْمَقَابِلِ تَمَّ تَحْوِيلُ قَنْصَلِيَّةِ مَقَاطَعَةِ سَنْكِيَانْغِ إِلَى الْقَنْصَلِيَّةِ الصِّينِيَّةِ الْعَامَّةِ فِي سَمِيْبَالَاتِنْسْكَ Semipalatinsk كَمَا فَتَحَتْ قَنْصَلِيَّاتٍ فِي تَاشْكَندِ وَإِنْدِيْجَانِ وَزَايسَانَ وَالْمَا أَتَا.

وَفِي فِتْرَةِ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى قِيَامِ الْحُكُومَةِ الْوَطْنِيَّةِ لِحِزْبِ الْكُومِنْتَانْغِ بِقِيَادَةِ تَشَانْغِ كَاي-شِكْ فِي نَانْكِينِ فِي عَامِ 1927مَ، كَانَ يَانْغُ يِرَاقِبُ السِّيَاسَةَ الْدَاخِلِيَّةَ بِحِيَادٍ، وَلَكِنْ فِي عَامِ 1926مَ عِنْدَمَا شَعَرَ أَنَّ جُنُودَ الْجَنْرَالِ الْمَسِيْحِيِّ فَنْغِ يُو-هْسِيَانْغِ Feng Yu-hsiang الَّذِي يَتَرَاوَجُ مِنْ جَيْشِ تَشَانْغِ كَاي-شِكْ قَدْ يَدْخُلُ سَنْكِيَانْغِ، تَفَاوَضَ مَعَ مُوسْكَو لِفَتْحِ طَرِيقِ السِّيَارَاتِ مِنْ سِيْبِيرِيَا إِلَى أُوْرُومْجِي، فَقَدْ كَانَ الرُّوسُ عَلَى عِلَاقَةٍ جَيِّدَةٍ مَعَ

<sup>1</sup> -M, R. Norins, Gateway to Asia, N.Y. 1944, p.62

الجنرال فنغ، فقد كانت تمده بالأسلحة عن طريق منغوليا، مقترحا تراجع جنود فنغ إلى سنكيانغ.

وفي عام 1927م عندما قطع تشانغ كاي-شك علاقاته مع الاتحاد السوفياتي، استمر يانغ في علاقاته مع السوفيات في مجال تجارة سنكيانغ، من خلال مكاتب القنصل الصيني، وهكذا في 28 ديسمبر 1927م أرسل القنصل العام وسكرتيره في سمبالاتنسك إلى الصحف المحلية يقولان: إن القنصلية ليست لها علاقة بما يجري في الصين، ولا تتحمل مسؤولية ما يحدث فيها، وأن اختصاص هذه القنصلية هي بغرب الصين، التي يهتما المحافظة على صداقتها مع الاتحاد السوفياتي، وقد أشارت جريدة ازفيستيا إلى العلاقات الودية بين غرب الصين (سنكيانغ) والاتحاد السوفياتي، وأن أهميتها لا تقوم في شؤون العلاقات التجارية فحسب، بل في الشؤون السياسية بينهما أيضا<sup>(1)</sup>.

ولم يعترف يانغ بالجمهورية الصينية إلا عندما غير العلم القديم ذا الخطوط الخمسة إلى علم الكومنتانغ الجديد ذي الأرضية الزرقاء والشمس البيضاء في يونيو 1928م، ومع ذلك فقد مارس الاستقلال في الإدارة بعيدا عن نفوذها، وفي هذا العام وصلت بعثة الصين - السويدية برئاسة سفن هدين Sven Hedin معززة من قبل الحكومة الصينية بعد رحلة طويلة عبر منغوليا الداخلية إلى اورومجي، فقيدت سلطات سنكيانغ حركات أعضائها الصينيين والسويديين والألمان، وسمحت فقط لرئيس البعثة سفن هدين بمغادرة اورومجي إلى قمول، وكتب هذا يقول: استقبال الصينيين في اورومجي كان سيئا، بعكس حفاوة السلطان في قمول<sup>(2)</sup>، ولقد اغتيل يانغ في عام 1928م بعد حكم دام 17 عاما وكان قد

<sup>1</sup> - Izvestiya, Moscow, Jan.8, 1928

<sup>2</sup> =Sven Hedin "Hami or Kumul" in Journal of the central Asian Society, London ,1929, Vol.XVI. pt.1, p.92

نجح في معالجة الأحداث، بدءاً من الثورة الصينية، وثورة منغوليا إلى الثورة الروسية، ولما غيّر العلم وأعلن ولاءه الاسمي لحكومة نانكين، شعر يقرب نهاية حكمه، وحول ثروته الواسعة إلى البنوك الأمريكية والبريطانية، وبعث بعائلته إلى مانيلا، بعيداً عن السلطات الصينية<sup>(1)</sup>، وكأنه استعد إلى لقاء مصيره الذي جاء على يد مساعده فان ياو-نان Fan Yao-nan بطريقة تعيد إلى الذاكرة خطته في قتل زملائه اليونانيين.

وقد أقام فان ياو- نان Fan Yao-nan مفوض وزارة الخارجية حفلة في 7 يولييه 1928م، بمناسبة تخرج طلبة مدرسة الحقوق الحكومية التي تستعمل اللغة الروسية في اورومجي، ودعا إليها المستشارين الروس وكبار الموظفين الصينيين، فوصل يانغ مع 200 من حرسه مع حاشيته الخاصة، وكان حاشية فان- وعدهم 18- يحملون شارات حمراء على أكتافهم، وصور مسدس على أكتافهم، ويعملون في خدمة الضيوف، وحالما جلس الضيوف حول مائدة الطعام في الساعة الثالثة أطلق رجال فان النار على يانغ، فوقع قتيلاً في الحال، وقتل قائد حرس يانغ وبعض الموظفين، بينما هرب الضيوف الأجانب.

وفي الحال ذهب فان إلى مكتب الحكومة ونقلد الأمور الإدارية وبعث يستدعي تشن شو-جن Chin Shu-jin رئيس الدائرة السياسية، ولكن تشن لم يذهب إليه، بل بعث بقوات بقيادة نجل القائد المقتول مع يانغ، وقبض على فانغ بعد مقتل ثلاثة عشر من حراسه، وقيل: إن فان حاول تشكيل حكومة خاصة، وفي اليوم التالي 8 يولييه أعدم فان مع بعض من عملائه، ونفذ الإعدام على من بقي فيما بعد، وانتخب تشن شو- جن من قبل الموظفين الباقين قائداً ورئيساً لحكومة سنكيانغ.

ولم يكن تشن شو-جن يختلف عن يانغ، فهو إقطاعي متزمت

<sup>1</sup> -Bosshard, op.cit., p.436

مثله، وقد تولى في عهده إحدى الإدارات الهامة، ولكن لا يمكن مقارنته مع يانغ المتميز بالقدرة والحكمة، وبعد أن تولى الحكم أكثر تشن من رجال المباحث؛ خوفاً على حياته، وأسند جميع المراكز الهامة إلى ذويه، أو إلى مواطنيه من مقاطعته الأصلية كانسو، وعيّن حراسه قوادا على الفرق العسكرية، كما جعل أحد أخويه قائداً عاماً على القوات في كاشغر، بينما أصبح الآخر رئيس المكتب العسكري في سنكيانغ، وأعدم عدداً كبيراً من الموظفين الصينيين بتهم الفساد، وقام بجمع ضرائب الأرض بضعف الرسوم المقررة قانونياً، مما شجع على تزايد جشع الموظفين الصينيين، وزيادة مطالبهم المالية من بكوات الأويغور، كما تحكّم على ذهب كرية وخيول خوتن بمقاومات خاصة، بينما باع المحاصيل بأسعار عالية تحت ستار الاحتكار الحكومي<sup>(1)</sup>، وبمساعدة أفراد الجيش جمع جلود الماعز من الشعب بعشر قيمة السوق، واحتكر تصديرها.

مثل هذا الاحتكار في المعاملات التجارية والإنتاج من قبل السلطات الحكومية كان يجري العمل به في الصين، وبخاصة في مقاطعات الحدود، وقد كتب روسي زار سنكيانغ في هذه الفترة: أن 12% من تجارة العاصمة اورومجي بيد التجار الوطنيين، و37% بيد الوكلاء الأجانب وأن 51% يحتكرها الموظفون الصينيون<sup>(2)</sup>.

وبينما أصدر يانغ من الأوراق النقدية 10 000 000 تاييل، قام تشن برفع الإصدار إلى 145 000 000 تاييل، مما أدى إلى ارتفاع التضخم، وفي عهد يانغ كانت قيمة الوحدة النقدية تاييل واحد (تبعاً لتحويل الإصدارات المختلفة بين الولايات كما سبق ذكره)، ولكن

<sup>1</sup> -Chiang Chun-chang, Hsinchiang Chin-Yin Lun, as already cited p.137

<sup>2</sup> - M. Nemchenko, The Colonial Regime and Agrarian Relations in Sinkiang , as already cited , p.187

تشن أصدر فئات مختلفة: 1-3-5-8-10-30-50، وفي أحد الأوقات كان بالإمكان شراء فضة من فئة واحد تايل (كانت تساوي = 1,30 أوقية) بورقتين نقديتين من التايل، وفي أواخر عهد تشن بيع فضة التايل الواحد بثمانين تايل ورقي(1).

وبالإمكان وصف سياسة كل من يانغ وتشن بالحذر، وبصراحة كانا مريبان في علاقاتهما مع الأجانب، وطبقا لما ذكر سفن هدين: فقد كره تشن الأجانب، سخر منهم ووضع العراقيين أمام أعمالهم، بينما أمر يانغ تخصيص مقرا للبعثة مدة ما بقيت في سنكيانغ، مشجعا عملها الذي يعود بالفائدة على تطوير المنطقة، ولكنه طلب إيجارا غير معقول للمقر، وأعاق نشاطها، وتبع هذا أن تعامل بعض الموظفين الرجعيين بنفس الحقارة مع أعضاء البعثة(2)، ومن جهة أخرى عندما كنت مع زوجتي نتجول في سنكيانغ عام 1927م لقينا معاملة طيبة من تشن شوچن الذي كان حاكم آقسو آنذاك(3).

ولما وصل قطار تورك سيب عبر الحدود الصينية إلى منطقة إيلي عام 1930م شجّع التجارة بين السوفييات وسنكيانغ، وقد تجاوزت قيمة التجارة 32 000 000 روبل في ذلك الوقت، ولكن بوادر التوسع الياباني في منشوريا عام 1931م بدء يهدد بالخطر على العاصمة اورومجي، إذ إن ثورة التونكان (الصينيين) المسلمين بقيادة ما تشونغ ينغ Ma Chung-ying الذي استعان بمستشارين يابانيين وبحماية يابانية قد استولى على باركول وقمول، وتولى قيادة ثورة إسلامية أصبح يهدد المقاطعة كلها، بل غدا خطرا على المصالح السوفياتية على الحدود، ولأن

<sup>1</sup> - Chiang Chun-chang, Hsinchiang Chin-Yin Lun, p.136

فقد أصدر تشن أوراقا نقدية تصل قيمتها 145 000 000 تايل

<sup>2</sup> -Sven Hedin, The Flight of Big Horse, New York 1936, p.3

<sup>3</sup> -Owen Lattimore, High Tartary, Boston 1930, pp.304-306

الثورة قطعت العلاقة مع الصين فقد أمر بالحصول على أسلحة من الاتحاد السوفياتي، ومنحه امتيازات واسعة بموجب اتفاق تجاري في أكتوبر 1931م، وبموجب هذه الاتفاقية أسس الاتحاد السوفياتي ثمانية مكاتب ووكالة في اورومجي - جوكوجاك- غولجه - كاشغر - آقسو- كوجار - ياركند- خوتن، وتم تخفيض التعرفة الجمركية على البضائع الروسية وفتح الاتصالات اللاسلكية والبرقيات بين سنكيانغ وروسيا، وقد وقع تشن على هذه الاتفاقية بدون ترخيص من حكومة الصين، كما لم يبعث بها إلى وزارة الخارجية، وعندما هرب من المقاطعة وعاد إلى الصين سجنته الحكومة المركزية على فعله.

فقد اضطرت الصين على البقاء خارج سنكيانغ بتوافق من العصيان والثورة وحركة قوات الروس البيض المرتزقة (المنفيين)، وكانت الثورة قد بدأت في قمول عام 1931م، وتوسعت بدخول المسلمين الصينيين (التونكان) من كانسو، وبهجومهم على أورومجي في شتاء عام 1932م، وثانية في يناير 1934م، وأدى ذلك إلى إعلان تأسيس جمهورية تركستان الشرقية في نوفمبر 1933م، ولكن الحكومة المحلية تمكنت من السيطرة على الثورة في يونيه 1934م، ولكن استمر وجود المسلمين الصينيين (التونكان) الذين يقدر عددهم بعشرين ألفاً، وهم جنود قادمون أصلاً من كانسو في كوما بازار بجنوب خوتن في حوض تاريم، وقد بلغ عدد ضحايا هذه الحركات الدامية مائة ألف قتيل.

وفي شتاء عام 1930م مات آخر حاكم أويفغوري على قمول، وذهب ابنه إلى اورومجي بطلب تعيينه محل أبيه، وقدم الرشاوي والهدايا إلى المسؤولين الصينيين، وفي هذا الوقت نصح قائد القوة العسكرية الصينية في قمول الحاكم العام الصيني بالغاء الحكم اللامباشر، وتقسيم قمول إلى ثلاث مناطق إدارية، يحكمها ولاية صينيون، يتم تعيينهم حتى يتم جمع الضرائب مباشرة من

الشعب، فقبل الحاكم بهذا الاقتراح، وفوجئ الناس بهذا التغيير وبزيادة الضرائب التي فرضت عليهم إلى الضعف أو ثلاثة أضعاف.

وهذا الوضع يوضح مدى تعقد الظروف في المقاطعة، حيث يكره المواطنون الحكام المحليين الذين يحكمونهم؛ بسبب فسادهم وجشعهم في جمع الضرائب، كما أن السلطات الصينية كانت تعمل على جمع الضرائب بالمضاعفة بدون النظر في أثرها على الناس، والإدارة الصينية الجديدة التي تولت حكم المقاطعة في عام 1931م لم تعالج الأزمات مما أدى إلى زيادة السخط الشعبي على المسؤولين الصينيين، وتعاطف الكثير من المواطنين مع طلب ابن الحاكم الأويغوري الذي كان يطالب بمنصب والده، وهو في اورومجي على خوف من اعتقاله<sup>(1)</sup>.

وفي هذا الوضع المضطرب التجأ إلى سنكيانغ صينيون عددهم 80 شخصا من كانسو، التي كانت قد تضررت بالجفاف، فأمر الحاكم العام الصيني أحد الحكام الولايات الثلاث الجديدة بنزع الأراضي الزراعية من الأويغور، وإعطائها إلى هؤلاء المهاجرين، ونقل الأويغور إلى أراضي جديدة غير صالحة زراعيًا، وكان من المعتاد في مقاطعات الحدود إعفاء مثل هذه الأراضي الجديدة من الضرائب بضعة أعوام، ولكن أجبر الموظفون الصينيون الأويغور على دفع الضرائب عن الأراضي الجديدة، بينما تم إعفاء الصينيين الذين تم منحهم أراضي الأويغور من الضرائب، وبالإضافة إلى هذه الإجراءات اتخذ مكتب الملح في قمول البيع الإجباري، وذلك بالزام كل شخص على شراء كمية من الملح كل يوم، أو الحصول على بطاقة الملح بالدفع الإجباري، ولكن لم يتوقف الأمر عند هذه الأمور، بل قام جابي الضرائب الصيني بإجبار والد فتاة مسلمة

<sup>1</sup> - Tu Chung-yuan, Sheng Shih-ts' ai and the New Sinkiang, Hankow ,1938, p.85

والأمير لم يكن في خطر في اورومجي، لأنه قدم رشوة سخية إلى تتشين.



على تزويجه منها بالقوة، فثار المسلمون الأويغور ضد هذه الممارسات الجائرة، وقتل الجابي والصينيين المهاجرين من كانسو، وثار الشعب والتحق به الآف من المسلمين، ثم ذهب مندوبون منهم إلى كانسو يطلبون المساعدة من ماتشونغ- بينغ Ma Chung-ying شاب من أسرة مسلمة مشهورة وقائد

الفرقة السادسة والثلاثين<sup>(1)</sup>، وأفرادها من اتباعه الشخصيين مع أنهم جنود يتبعون الحكومة الصينية، وتلبية لطلبهم هجم ماتشونغ بينغ بجنود عددهم 400 فارس من التونكان (المسلمين الصينيين) مدينة باركول، ونقطة تشي تشياتشنغ Ch`ichiaoching، التي تقع على طريق العربي بين كانسو وأورومجي و قمول، ولكنه اضطر إلى الرجوع إلى كانسو لإصابته بجروح، ثم عاد إليها في مايو 1932م.

## شنغ شى تساي حرباء الحرب - Sheng Shih-

:ts`ai

وفي شتاء عام 1932م عندما توجه ما شيه-مينغ Ma Shih-ming مساعد القائد المسلم ما تشونغ بينغ Ma Ch`ung-ying إلى ضواحي أورومجي، أمر الحاكم الصيني شنغ شو- جن Sheng Shu-jen الضابط شنغ شيه تساي Sheng Shih-ts`ai المانشوري الأصل أن يتولى قيادة الجنود القادمين والمتراجعين من تقدم القوات اليابانية في سيبيريا، وتسهيل دخولهم إلى أورومجي بمساعدة السلطات السوفياتية، وتمكن هؤلاء الجنود الصينيون بعد دخولهم سنكيانغ، وهم من منشوريا موطن شنغ من دعمه في إخماد الثورة، ودفع قوات ما شيه- مينغ على التراجع إلى الجنوب.

<sup>1</sup> - وهو ينتسب ما بو فانغ Ma Pu-fang أمير الحرب في مقاطعة جنغهاي Ch`inghai (كوكونور) وإلى ما هونغ كوي Ma Hung-k`uei أمير الحرب في مقاطعة نينغشيا Ninghsia

وفي أرومجي في أبريل 1933م انضم الجنود الروس البيض المتمردون إلى المسلمين المحليين في الهجوم على مراكز حكومة المقاطعة، وقتل الأخ الأصغر لحاكم المقاطعة تشين شو - جن Chin Shu-jen الذي كان رئيس المكتب الحربي، وكان هؤلاء الجنود الروس المعروفون بالمقاتلين الشرسين المسرحين يقيمون مع الروس المنفيين في سنكيانغ، وقد عاملتهم الحكومة بقسوة، وبعدم الانتظام في منحهم المالية، وهذه الواقعة دفعت الحاكم على أن يهرب إلى الأراضي الروسية، ويعود منها إلى الصين، أما في أرومجي فإن السلطات الصينية انتخبت لين وين - لونغ Lin Wen-lung مدير المكتب لرئاسة المقاطعة، وشنغ شيه - تساي Sheng Shih-Ts'ai قائدا للقوات المسلحة.

ومع أن يوان شي كان Yuan Shih-k'ai الذي كان القائد الأول في المقاطعة، فقد تمكن شنغ شيه - تساي من فرض شخصيته على حكومتها.

وقد ولد شنغ شيه - تساي Sheng Shih-ts'ai في مقاطعة لياونينغ Liaoning في جنوبي منشوريا، وتلقى تعليمه الأولى في شنغهاي ونانكين، ثم رحل إلى اليابان في عام 1915م، وفي عام 1925م درس الاقتصاد السياسي والعلوم العسكرية، وكانت رحلته الثانية برعاية من شيانغ كاي شك Chiang Kai-shek فيما بين 1926-1927م، ثم عمل مع هو بينغ- تشين Hu Ying-chin رئيس هيئة شيانغ كاي شك الموفد إلى الشمال، وأدت الظروف إلى اعتلاء شيانغ الحكم في نانكين، ولكن التطورات لم تؤكد على إمكانية سيطرة الكومنتانغ على المقاطعات الشمالية الشرقية (منشوريا)، وكان من الضروري الاحتفاظ بضابط مخلص شاب في الشمال الشرقي، ولكن المارشال تشانغ هسوه ليانغ Chang Hsueh-liang قائد من قوات الكومنتانغ، انتهاز الفرصة وفرض سيطرته على مقاطعات الشمال الشرقي، وبهذا تلاشت آمال شنغ شيه - تساي فيها، وفي عام 1929م ذهب إلى سنكيانغ؛ بحثا لما يرغب تحقيقه في السلطة وتعيين فيها سكرتيرا في حكومة المقاطعة، وهي هيئة

إقطاعية يرأسها الحاكم الصيني، ثم في عام 1930م ترقى إلى مركز رئيس مكتب الرئاسة العامة لقوات الحدود.

وحالما تولى الحكم في سنكيانغ في عام 1933م أعلن شنغ عن سياسته المشهورة، التي تتضمن ثمان نقاط: المساواة بين القوميات- الحرية الدينية- إعانة الرعاة- الإصلاح المالي- الإصلاح الإداري- التطوير التعليمي- تشجيع الحكم الذاتي- الإصلاح القضائي<sup>(1)</sup>.

وقبل أن يتمكن شنغ من تنفيذ الإصلاحات التي أعلن عنها، كانت ثورة المسلمين بقيادة ما تشونغ بينغ Ma Ch`ung-ying مشتعلة، الذي استولى على معظم الأراضي من قمول شرقا إلى كاشغر غربا، ودخل كوجينغ تز في جونغاريا في يونيه 1933م، وأن توجه إلى أرومجي، ولكن عمليات النهب والسلب التي قام بها الثوار في قمول وضواحيها أثارت كراهية المواطنين ضدهم، وأغلقت المتاجر والمحلات في قمول وفي معظم القرى، وفي شي شيوا شنغ Ch`icgiaoching على الطريق التجاري الرئيسي كانت الشوارع مليئة بجثث الخيول والحيوانات، وقطعت طريق التجارة مع تورفان.

وقد اتجه شنغ بقواته لمواجهة ما عبر الجبال، واحتل تورفان المحور الرئيس لطرق التجارة ما بين الصين شرقا وكاشغر غربا، ومع بداية عام 1934م، بعث شنغ بعضا من قواته لإخماد الثورة في إيلي، ولكن ما إن انتهز الفرصة لمهاجمة أرومجي حتى تلقى هزيمة ساحقة، ثم استطاع شنغ من الحصول على أسلحة من الاتحاد السوفياتي، ومن ضمنها طائرات، وضرب بها ما وقواته فيما بين توقسون وقراشهر، وهرب ما بصعوبة إلى كوجار ومنها إلى كاشغر، وأقام فيها من أبريل إلى يونيه عام 1934م، ولما اقتربت قوات شنغ هرب منها إلى الاتحاد السوفياتي، حيث أقام في موسكو حتى بداية

<sup>1</sup> -Tu Chung-yuan, Sheng Shih-ts`ai and the New Sinkiang, Hankow,1938, pp.67-72 (in Chinese)

عام 1936م، كما جاء ذلك في وسائل الأنباء<sup>(1)</sup>.

ولا شك أن شنغ شيه- تساي بالإضافة إلى علاقاته الجيدة مع الاتحاد السوفياتي كان محاربا جيدا ضد الاستعمار الياباني، وقد تلقى تعليما جيدا في اليابان، وكان مع ما تشونغ بينغ -Ma Chung ying عملاء يابانيين، يمكن وصفهم بالمغامرين أكثر من أنهم يمثلون السياسة اليابانية، والانتصارات التي حققها ما كانت تنسب إلى هؤلاء العملاء، ولما انهزم ما خسرت اليابان سمعتها.

ولكن لم تنته عمليات عملاء اليابان بهروب ما إلى روسيا، إذ وقعت ثورة في كاشغر فيما بين فبراير وأكتوبر 1937م، واتهمت اليابان بتحريضها، وفي أكتوبر 1937م ذكر تو تشينغ يوان Tu Ching-yuan الزميل السابق في الدراسة في اليابان لشنغ، وكان يعمل معه في اورومجي: أنه تعرف على عملاء الاستخبارات اليابانية في المناطق الإسلامية في نينغشيا وجنغهاي (كوكونور) المقاطعات الصينية التي تتصل بمنغوليا الداخلية والتبت، وأن تحويلات اليابان إلى سنكيانغ بموجب معاهدة تنتسبن Tientsin بلغت أكثر من ثلاثة ملايين ين في الأشهر الأولى، وتكون قد بلغت عشرة ملايين ين، ويصف تو تشينغ يوان كيف تم القبض على أربعة من كبار موظفي الحكومة، وبعض التجار بتهمة الخيانة<sup>(2)</sup>.

وبدء شنغ شيه- تساي بالإصلاح، وذلك بتنفيذ النقاط الثمانية التي أعلن عنها في عام 1933م، وفي العام التالي أكد أن سنكيانغ سوف تصبح مقاطعة حديثة، وأن هذه النقاط الثمانية ستحقق عن طريق برنامج الأهداف الست العظمى، وأولها مقاومة الاستعمار (يعني مقاومة النفوذ البريطاني والياباني) وسياسة التقارب مع السوفيات، وتطبيق سياسة المساواة بين القوميات، تنقية الحكومة من العملاء، تحقيق السلام، تقويم البناء الاجتماعي.

<sup>1</sup> -Hedin, op.cit., p.247

<sup>2</sup>- Tu Chung-yuan,op.cit.,pp.29-30, 62-63,97

ثم بدء في تعيين الأويغور والقازاق في وظائف عالية في مناطقهم، وسمح لجميع القوميات اللاصينية بتعلم لغاتها في مدارسها الخاصة، وارتفع عدد الطلاب من ثلاثة آلاف تلميذ عام 1933م، إلى 150 000 تلميذ في عام 1936م، بالإضافة إلى 329 طالبا من اللاصينيين المبتعثين الذين يدرسون الطب البشري والبيطري والهندسة والزراعة في الاتحاد السوفياتي، وفتح المكتب التعليمي للمقاطعة في خمسة فروع في شارسوم - جوكوجاك - غولجه - أقسو - كاشغر.

كما أسس جريدة المقاطعة باسم جريدة سنكيانغ اليومية Hsin chiang JIH pao في اورومجي، وكانت تنشر باللغات السبع المحلية من المدن الخمسة المذكورة سابقا، كما أسست الجمعيات الثقافية للأويغور والقازاق والتونكان والتتار والروس والصينيين، وكانت من أنشط هذه الجمعيات جمعية الأويغور ذات الأغلبية القومية في ثمان ولايات، و (41) منطقة فرعية، وتشرف على (1736) مدرسة ابتدائية، يبلغ عدد طلابها (124 174) طالبا، ومعاهد خاصة لتعليم الكبار، ومعاهد تخريج المدرسين<sup>(1)</sup>، وكذلك تحققت نوعا ما حكومة خالية من الفساد، فقد كان في عهدي يانغ وتشن يستطيع أي حاكم ولاية أن يجمع ما بين (80 000) إلى (100 000) دولار صيني في السنة، ولكن في بداية حكومة شنغ شيه - تساي انتشر المفتشون والمراقبون لمنع مثل هذا الاستبداد والجشع، وقد اعتمد هذا النجاح في تطبيق النظام الديمقراطي في المقاطعة، ولكن لم يستمر هذا الأمر طويلا، إذ تغير الوضع عندما تعين شتغ رئيسا على حكومة سنكيانغ رسميا في عام 1940م، فقد أصبح إقطاعيا مريبا، وبدء المثل المحلي يتردد: قد يكون رئيس الحكومة أقل ثراء من مدير المكتب، وقد يكون هذا أقل غنى من حاكم الولاية، الذي لا يقل غنى عن حاكم المنطقة، الذي يتصل مباشرة بالشعب، ويستطيع

<sup>1</sup> -Ibid, pp.80-84

بوسائله الأولية أن يصل إلى مصادر الضغط<sup>(1)</sup>.

ومثل كثير من الموظفين الذين يعملون على تأمين مستقبلهم ضد السقوط من الحكم، كَوْن شنغ ثروة طائلة في سنواته الأخيرة، ولما عاد شنغ إلى تشونغ كين بعد سلسلة من الأحداث عام 1945م، قال رئيس مكتب البناء الاجتماعي: إن شنغ أعطى لخزينة الكومنتانغ (500 000) أوقية ذهباً، وكان هذا العطاء سبباً أن تشانغ كاي شك لم يعاقبه على تصرفاته في سنكيانغ<sup>(2)</sup>.

وفي عام 1940م عندما كان شنغ في أوج قوته أفادني بريطاني زار سنكيانغ أن ملاحظاته التي كونها عنه من الوثائق وبخاصة من خطبه: تبين أن نظام الحكومة فيها أتوقراطي متطرف، وقارن بين سلطة شنغ في سنكيانغ وسلطة الجنرال شيانغ كاي شك في الصين، فوجد أن حاكم المقاطعة لا يخضع لأحد من الجنرالات، وما تميزت سياسة شنغ في سنكيانغ كانت نسبياً متطورة نتيجة تأثيرات الأحداث في الاتحاد السوفياتي عليها، كما نسب ذلك إلى انتشار البوليس السري وعمليات الإيداع والإعدام من الحاكم الذي كان يحاول تثبيت حكمه بقوة، وكان ضحية الخوف والشك، وفي رأي الزائر لا يمكن القول أن الحاكم يتبع الكومنتانغ أو الشيوعية، والحقائق التي لاحظها أن الوضع واختلاط شعوب سنكيانغ دفعت إلى اتخاذ سياسة خاصة حسب ظروف سنكيانغ<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - Chiang Chun-chang, op.cit, pp.80-84

<sup>2</sup> - Sa Kung-liao, Talks About Sinkiang "in Wen Tsia, Shanghai, March 21, 1946, No,22 (in Chinese)

<sup>3</sup> - وفي عامي 1937-1938 كانت حكومة الصين الوطنية في هانكوي Hankow تفكر في الانسحاب من شنغهاي و التراجع إلى جونكين Chunking، فدعى شنغ شيه تساي مجموعة من المستشارين الشيوعيين من ينان Yenán إلى سنكيانغ، ولكنه فيما بعد أعدم بعضهم واعتقل بعضهم، و الأنسة أن لويس سترونغ Miss Anna Louise Strong التي تفضلت باطلاعي على مذكراتها المحظوظة و فيها مقابلاتها مع مجموعة من هؤلاء

وقد اقتبس مدير تحرير جريدة المقاطعة قول شنغ: مع أنني لست عضواً في الكومنتانغ، ولكنهم عينوني عضواً في مجلس حزب كومنتانغ المركزي<sup>(1)</sup>، واستقرار شنغ في حكم سنكيانغ كان بمساعدة القوات السوفياتية، وقد تفاوض مع الروس لاقتراض (5) ملايين روبل لأغراض البناء الاجتماعي، ولم يتضمن هذا القرض شروطاً اقتصادية أو سياسية سوى أن تكون فوائده 4%<sup>(2)</sup>. وطلب مساعدة فنية، وفي عام 1937م وضع خطة لمدة ثلاث سنوات للبناء الاجتماعي مما اضطر إلى اقتراض مبلغ 15 مليون روبل، وأعاد تنظيم بنك المقاطعة التجاري باسم بنك سنكيانغ التجاري، برؤس أموال خاصة وحكومية في عام 1938م، وأصدر أوراقاً نقدية جديدة ذات ميزانية ضخمة، وكان قد ألغى الأوراق النقدية القديمة في عام 1939م، والمبلغ المرصود لتشجيع الاستثمار الزراعي والتجاري بلغ 17 872 500 دولار صيني خلال عام 1939م، واستخدم القروض السوفياتية في تعبيد طرق السيارات، وارتفع عدد الشاحنات من 20 سيارة في عام 1933م، إلى 400 في عام 1938م، ثم وصل إلى 3000 شاحنة في عام 1941م، كما مدّ أكثر من 1345 ميلاً من خطوط التليفون، ومع إطلاة عام 1939م كان في سنكيانغ 20 مصنعا، وعبرت أكثر من 400 طن من الآلات السوفياتية لإنشاء مصفاة البترول في شمال غرب اورومجي.

المستشارين الذين لا قوا التعذيب وعادوا إلى ينان بعد الحرب، وتشير هذه المذكرات أنه لم يكن الشيوعيون ضمن العاملين مع شنغ شبيه تساي في الإصلاحات التي نفذها حتى عام 1938، ولكنها توضح أن الإصلاحات مهدت من قبل دعاة إنقاذ الوطنية وبعض الأحرار قبل وصول الشيوعيين، وعلى أي حال ظهرت حركة الإصلاح كأنها من عمل ماوتر-مين Mao Tze-min أخ لماتوسي تونغ الذي أعدمه شنغ شبيه تساي في عام 1943

<sup>1</sup> - Sa Kung-liao, op.cit.

<sup>2</sup> - Tu Chung-yuan, op.cit., pp.93-94

وفي هذا الوقت تطورت الملاحة الجوية الصينية الوطنية في نانكين كما شمل هذا التطور حركة الطيران في سنكيانغ، وعند ما تم توقيع معاهدة السلام بين ناكين - موسكو في عام 1937م نشطت حركة الملاحة الجوية وأسست جمعية الملاحة الجوية الصينية- السوفياتية، وبموجب الاتفاقية التجارية التي وقعت في 16 يونية 1939م حصل الاتحاد السوفياتي على أولوية الطيران في مقاطعات الصين ومنها سنكيانغ.

وفي عام 1941م وضع شنغ خطته الثلاثية الثانية، وتوسعت النشاطات التجارية لحكومة سنكيانغ من خلال التجارة الخارجية ومصادر الشركات المحلية وتوزيع رخص البناء، وأدى ظروف التضخم في الصين واتساع التجارة في سنكيانغ على الرفع من قيمة دولار سنكيانغ في التحويل، وبينما كان 4000 دولار سنكيانغ يساوي دولارا صينيا واحدا في عام 1934م، فقد أصبح 6 دولارات سنكيانغ يساوي دولارا واحدا صينيا، وعند ما غادر شنغ المقاطعة عام 1944م كان كل خمس دولارات سنكيانغ يساوي دولارا صينيا، وقد ساعد على اتساع التجارة الاتفاق الاعتباطي في التحويل الرسمي بين الدولار الأمريكي والروبل الروسي، الذي مكنت جمعية التجارة السوفياتية - سنكيانغ من الشراء بأسعار طبيعية مشجعة، وفي هذه الفترة دخل كثير من الفنيين الروس إلى سنكيانغ، ومن ملاحظة السائح البريطاني الذي زارها في عام 1940م لم تكن توجد دلائل تشير أن السوفيات يسيطرون على سنكيانغ.

وكان واضحا أن شنغ شيه - تساي لم يلتزم بالنظام، وإنما كان ينتهز الفرص مع أنه كان ناجحا في إصلاحاته في سنواته الأولى، ولم ينس خلالها من تحقيق مصالحه الخاصة التي تميزت بالشخصية والأنانية، ولم يكن مستقرا في سياسته مع الاتحاد السوفياتي، على عكس يانغ تسنغ - هسين الذي عرف بسياسة الحياد مع روسيا.

وفي الفترة من 1933- 1940م اعتمد شنغ على الاتحاد



السوفيياتي معرضا عن حكومته الصين الوطنية، ثم فجأة قطع علاقاته مع الاتحاد السوفيياتي، ورمى بنفسه في أحضان حكومة الصين الوطنية بطريقة لم يكن على ثقة بمكانته في المقاطعة، ثم في عام 1944م قطع علاقاته من حكومة الصين الوطنية معيدا علاقاته مع الاتحاد السوفيياتي، ولكن لم تنجح مساعيه وباء بالفشل.

وخلال الفترة الأولى نفذ شنغ سياسته في الإصلاح معتمدا على أسس ثلاثة: العلاقات الودية مع الاتحاد السوفيياتي - الديمقراطية - الاهتمام بمطالب ومصالح القوميات في سنكيانغ، وفي أكتوبر 1938م عقد اجتماعا إقليميا لجميع القوميات في سنكيانغ، أدان فيها مكائد اليابان في منغوليا الداخلية، وتعهد بتقديم عشر طائرات إلى السلاح الجوي الصيني، ووعده بتسهيل عبور القوات السوفيياتية إلى الصين عبر سنكيانغ، وزار شنغ موسكو بدواعي العلاج<sup>(1)</sup>، ولكن بعد عامين في 8 ديسمبر 1940م انضم إلى الزعماء الصينيين لإدانة نظام نانكين الذي تزعمه وانغ تشنغ-وي Wang Ching-wei، وفي عام 1941م بعد الحادثة الحربية الرابعة (عندما هاجمت قوات الكومنتانغ القوات الشيوعية في وادي يانغتسي Yangtze قال شنغ لمراسل تا كونغ فاو Ta Kung Pao أكبر جريدة مستقلة في الصين: إن سنكيانغ تكرر جميع طاقاتها في البناء والتنظيم كي تعجل بالنصر، وإنه يجب على جميع الأحزاب والجمعيات مقاومة

<sup>1</sup> -Sa Kung-liao, op.cit.

## اليابان (1).

وعندما تجمعت قوات ألمانيا لغزو روسيا، عرف شنغ أنه لا يمكن عليه الحصول على مساعدات من الاتحاد السوفياتي، ثم ازداد يقينا عند ما حاصر النازيون لينين غراد وستالين غراد، واعتقد أنه وإن لم ينتصر الاتحاد السوفياتي في الحرب إلا أنه لن يكون إحدى القوى العظمى، فاتجه بعلاقاته إلى تشونغ كين Chungking معتقدا أن الرجل الذي يحكم سنكيانغ يجب أن يحتفظ بعلاقات خارجية، وبالإضافة على تركيزه في حكم سنكيانغ فقد عمل على تكيف السياسة مع توجهات شونغ كين، فغير من سياسية الديمقراطية إلى سياسة التسلط واضطهاد الأويغور والقوميات اللاصينية الأخرى، وبدء العمل مع المستشارين الشيوعيين والصينيين الثوار.

وقد بدء هذا التغير السياسي المفاجئ بسجن وقتل تو تشونغ يوان Tu Chung-yuan (2) الذي كان أستاذا له، واستدعاه إلى سنكيانغ ليرأس الحركة الثقافية، وجاء ومعه مجموعة من الشبان الصينيين المثقفين في فترة تطبيق السياسة الديمقراطية الأولى، ومع عام 1944م سجن شنغ أكثر من 80 000 شخصا، بالإضافة إلى أخيه مع زوجته، واتخذ أساليب التعذيب وسيلة لأخذ الاعتراف، وقد بعث

<sup>1</sup> -Chen Chi-ying, A Bird's eye View of Sinkiang, Chungking 1941

<sup>2</sup> - عن بعض تفاصيل نشاطات تو تشونغ يوان في سنكيانغ ونهايته على يدي شنغ، انظر المقالين:

Sa Kung-liao, in Kuo Hsin National News, semi-monthly, Hongkong, Nov.11 and 25 ,1947, New Series, Vol. I, Nos 3 & 4 (inChinese)

كريستوفر راند مراسل جريدة نيويورك هيرالد تريبيون بقصة رجل سلخ عملاء شنغ جلده، وبعد سلخ بوصة من جلده وقّع على الاعتراف المزعوم، وانتشر الرعب بشكل فظيع بين الخبراء والأساتذة الذين جلبهم شنغ لتطوير المقاطعة، فرماهم في السجون وأحضر غيرهم، كما طرد الأشخاص الذين يظهرون ميولا أدبية من المدارس؛ خوفا من انتشار آرائهم بين الشعب، وأصبح شهادة الدبلوم تذكرة الدخول إلى السجن<sup>(1)</sup>.

وقد تلاشت فكرة تعبيد الطرق في أنحاء سنكيانغ بالاعتماد على روسيا، وتحول الاتجاه نحو بريطانيا، وبالرغم من إعلان شنغ السابق مقاومة الاستعمار والتأكيد على صد النفوذ الياباني، ووضع القيود على التجارة بين الهند وسنكيانغ، فقد زار شيانغ كاي شيك الهند في فبراير 1942م، وقام بتفقد طرق التجارة القديمة من شمال غرب الهند إلى آسيا الداخلية في سبيل تشجيع التجارة مع سنكيانغ، وفي نفس الوقت طار الجنرال تشو شاو- ليانغ Chu Shao-liang رئيس مكتب الجنرال شيانغ كاي شيك في سيان Sian في الشمال الغربي إلى اورومجي للتباحث مع شنغ شيه تساي (وقد كان شنغ في يوم ما موظف لديه)، وتم تعيين تشوسر هـ. وو Chaucer H. Wu (وو تشي هسيانغ Wu Chai-hsiang مفوضا خاصا عن الشؤون الخارجية، وكان من ضمن الخطة تعيين الجنرال المسلم ما بو شينغ Ma Pu-ching الذي يعتبر المنافس لشنغ شيه - تساي في مفاوضات السلام في غرب

<sup>1</sup> New York Herald Tribune, Sept.23, 1947

جنغهاي منطقة الحدود التي تشمل جزءا من هضبة التبت، وتشرف على البوابة الخلفي لجنوب صحراء سنكيانغ.

وطبقا لما قاله أحد الصينيين فقد حصل تشو Chu على جائزة قدرها 500 000 دولار صيني، بينما كان يتوقع خمس هذا المبلغ<sup>(1)</sup>، وفي هذا العام سافر شيانغ كاي شك إلى لانجو عاصمة مقاطعة كانسو، بينما طار تشو مرة ثانية إلى اورومجي مع المدام شيانغ كاي شيك مع وو تشونغ هسين Wu Chung- hsin الذي أصبح خلفا لشنغ بعد عامين.

وفي عام 1943م عندما فشل شنغ في التعامل مع الأحداث الجارية سافر إلى تشون كين؛ كي يتشاور مع شيانغ كاي - شيك، وكانت خزانة الحكومة الوطنية قد خصصت عشرة ملايين دولار صيني سنويا؛ لبناء سنكيانغ الحديثة، وباشرت تشونغ كين Chungkin في وضع برنامج واسع لاستغلال موارد سنكيانغ، إذ كانت سنكيانغ تقارن بمواردها بولاية كاليفورنيا قبل عام 1849م، ومنطقة التاي بولاية ألاسكا قبل عام 1867م، وجرى نقل الصينيين الذين يعانون من المجاعة من مقاطعة هونان الصينية إلى سنكيانغ فيما بين 1942-1943م، فوصل أكثر من أربعة آلاف صيني إلى كوجينغ تز و(1500) أسرة إلى اورومجي، وخصصت لكل أسرة خمسة عشر فدان من الأراضي الزراعية، ولكن ساء إدارة المشروع، وأصبح المهاجرون إليها مستأجرين وعمال فلاحة.

ومع ذلك بدء قوة تشونغ كين يتوسع في عام 1943م،

<sup>1</sup> - Sun Hai-cheng, "Chu Shao-liang on the Wu Chuan Shan" in Hsin Wen Tien Ti (monthly) Shanghai, No.12, April 30, 1946 (in Chinese)

وبعثت الموظفين والجنود إلى سنكيانغ، وأخذ السوفييات يقبلون ظهر المجن، وبدء العمل بتخريب حقل البترول الرئيس الذي تم حفره في غرب اورومجي، ونقلت الآلات إلى أراضيهم، و سحب الفرقة المدرعة المعروفة بمتطوعي التاي، وكانت تضم المدربين الروس ورجالاً مجندين من الشعوب غير الروسية المقيمين في سنكيانغ، ومنذ عام 1930م كانت تتمركز قرب قمول لحماية شرق سنكيانغ من تقدم المدرعات اليابانية من منغوليا الداخلية، وبعد عام 1943م اتضح أن اليابانيين لا يهدفون إلى مهاجمة الغرب، فسحب الاتحاد السوفياتي هذه الفرقة؛ لأنها لا ترغب تزعج القيادة الصينية في سنكيانغ<sup>(1)</sup>.

بالنسبة لشنغ شيه تساي فالمقارنة بين الاعتماد على الاتحاد السوفياتي والاعتماد على الحكومة الصينية الوطنية أمر مضحك، وبينما أمدّ الاتحاد السوفياتي الحاكم العام شنغ بكميات كبيرة من الآلات بنظرة تفاؤلية لبرنامج الإصلاح الذي جعله مشهوراً بين قوميات سنكيانغ، أصرت تشونغ كين أن تساعد بالقليل، وعينت له موظفين يقاومون نفوذ الشخص، مما دفع شنغ أن يتخلى عن الإصلاحات، وأساءت إلى سمعته بين القوميات في سنكيانغ.

وفي عام 1944م كان شنغ يستعد لتغيير آخر، وعلى ضوء انتصار الاتحاد السوفياتي على الغزاة الألمان، اعتقد شنغ أن الاتحاد السوفياتي سيكون قوة عظيمة، فادعى المرض واختفى من الاجتماعات العامة، وفي أبريل 1944م

<sup>1</sup>- Eleanor, Lattimore , Far Eastern Survey, New York , April 11, 1945

بدء بالقبض على الموظفين الموالين لحكومة تشون كين، وخلال شهر يونيه سجن الطلبة والأساتذة بتهمة التآمر، وفي أغسطس سجن كثيرا من الموظفين المعينيين من قبل تشونغ كين بدون محاكمة، ويقال إنه طرد مائتين منهم وصادر أملاكهم<sup>(1)</sup>، ثم طلب شنغ من جوزيف ستالين رئيس الاتحاد السوفياتي أن يضم سنكيانغ إليه، ولكن الزعيم السوفياتي الذي كان هادئا في هذا الوقت رفض عرضه، وقد علمت تشونغ كين بالخبر، وقررت تنحيته من حكم سنكيانغ بطريقة المفاوضات<sup>(2)</sup>.

وجاء إليه الجنرال تشو شاو ليانغ Chu Shao-liang إلى اورومجي، وأقنع شنغ بترك سنكيانغ، وقبول منصب وزير الزراعة والغابات في الحكومة المركزية في تشونغ كين (وكانت هذه الوزارة أيام الكومنتانغ عقوبة لمن يبعد عن السلطة؛ لأنه لا يستطيع تحقيق مصالح الإقطاعيين الذين يسيطرون على الكومنتانغ)، ونشرت جريدة سنكيانغ اليومية في 2 سبتمبر 1944م عن قرار انتقال شنغ إلى تشونغ كين، التي غادر اورومجي في 11 سبتمبر 1944م.

### انهيار سياسة الصين في منطقة الحدود:

فقد صنع كل من يانغ تشنغ هسين وتشن شو جن وشنغ شيه تساي حكّاما من أنفسهم على سنكيانغ، ينفذون أفكارهم ومصالحهم الشخصية، مع اعتراف من الحكومة المركزية

<sup>1</sup> - Han Hai Ch`ao (Tides of the dry Sea or Desert Tides) Urumchi, January 1947, p.19 also Shanghai Edition of the same day, p.21 (in Chinese)

<sup>2</sup> New York Herald Tribune, September 23, 1947

وقد أرسلها كريستوفر راند من اورومجي بتاريخ 22 سبتمبر 1947م.

بهم، وبعد أن تم خلع شنغ كانت حكومة الصين الوطنية تتخیر في ترشیح حاكم لها، وكان علیها أن تختار أحد هؤلاء:

ووتشونغ هسین Wu Chung-hsin - تشانغ شي تشونغ Chang Chih-ching - مسعود صبري - برهان شهیدي، مما یعنی أن سنکیانغ بدأت تدخل في إطار سياسة حكومة الصين الوطنية المركزية.

وبعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية في عام 1945م، تخلصت الصين من قواتها، وأصبحت جمعيتي سي.سي.سي. C.C. Clique ومجموعة العلوم السياسية Political Science Group تتحکمان على السياسة في سنکیانغ، وكان نفوذ جمعية سي.سي.سي. أكثر قوة في الكومنتانغ في توجيه السياسة والتعيين من أي جمعية أخرى، وقد عرفت هذه الجمعية بالعنف والبطش واستعمال القوة؛ لاستئصال ما يقاوم نشاطها، وتستمد قوتها من الأخوين تشن كو فو Chin Kuo fu وتشن لي فو Chin Li-fu اللذين ساعدا الجنرال شيانغ كاي - شيك في الوصول إلى الحكم، بينما مجموعة العلوم السياسية تضم الإقطاعيين والحكام القدامى المعروفين بالمكر والخداع من الموظفين الكبار، وقد فضلت هذه المجموعة الاعتدال حيثما أمكن.

وقد تنافس كلا الحزبين في استقطاب القواد العسكريين الأقوياء الذين يعملون حول شيانغ كاي شيك؛ لتركيز قوتها ونفوذها، وكان شنغ كاي شيك يستعين برجال هذين الحزبين في سياساته وخطته، وفي الواقع كان أعضاء هذين الحزبين يمثلون مختلف الآراء الكونفوشيسيين التقليديين، وبدلاً من أن يعمل هؤلاء بتمثيل الشعب فإنهم عملوا بالاستبداد على حكم

الشعب، ومع أن هناك صراع بين هذين الحزبين إلا أن نظرتهم نحو الأقليات في الصين كانت واحدة، وهم يرون أن هذه القوميات لا تستحق التمثيل المتساوي في اتحاد الصين الفيدرالي، بل يجب دمجهم فيها.

وكانت هذه النظرة لا تتطابق مع رأي سان يان سن Sun Yat-sen الذي اعترف بالمسلمين الأتراك ( الأويغور) في سنكيانغ قومية مستقلة، وطبقا لما جاء في المادة الرابعة في برنامج البناء الوطني، ونتائج اجتماع الكومنتانغ الوطني الأول في عام 1924م: إن جميع مثل هذه القوميات في الصين مؤهلة للاستقلال الذاتي، وقد تبني سان يان سن هذه الفكرة تماما في أواخر حياته، وذلك بتأثير من الروس والمستشارين الشيوعيين الصينيين، وبنجاح السياسة السوفياتة تجاه الأقليات الوطنية في روسيا القيصرية، ولكن الكومنتانغ تخلى عن هذه الفكرة بعد موت سان يان سن، وأعضاء الكومنتانغ المؤيدون لها لم تكن لديهم الخطة لتنفيذ سياسة الاستقلال الذاتي، وقد عارض هذه الفكرة المؤرخ المعاصر لي تونغ فانغ Li Tung-fang من جمعية سي. سي. فزعم أن الأويغور ينحدرون من الهون (هسينغ-نو) وأن هؤلاء ينحدرون من الصينيين القدماء، وعليه ليس هناك اختلاف حقيقي بين قوميتي الأويغور والصينيين<sup>(1)</sup>.

وكان اتجاه الكومنتانغ الأخير هو تجاهل الاستقلال الذاتي واستبداله بالمساواة في المعاملة، وتعزيز الحكومة الذاتية، وكلتا الفكرتين تعرضت لتفسير خاطئ، وفي الاحتفال الخامس

<sup>1</sup>- Li Tung-fang "Are the people of Sinkiang Turki?" in Altai ,Chungkin , April 25, 1945.Vol. I. No.2 (in Chinese)



عشر لكومنتانغ أعلن شيانغ كاي شيك أن جوهر الوطنية هو تحرير الصين ومعاملة جميع القوميات فيها على مبادئ المساواة، وفي نوفمبر 1944م أكد سن فو Sun Fo هذا الرأي<sup>(1)</sup>، ووضع لي تونغ فانغ الإطار العملي لتنفيذ نظرية الحكومة الذاتية، وليس الاستقلال الذاتي، بحيث لا يكون ذلك في وحدة أكبر من ولاية في ضمن المقاطعة، وأن لا يكون ذلك في كل المقاطعة، وكان تشانغ شيه- تشونغ -Chang Chih chung يتخوف أن يؤدي الاستقلال الذاتي أتوماتيكيا إلى الانفصال ثم الاستقلال، وعندما كان حاكما على سنكيانغ خطب في اورومجي في 13 مايو 1947م، قائلا: بعد عشرات السنين أو بضعة قرون ستستقل سنكيانغ، ولكن ليس الآن<sup>(2)</sup>، وهكذا تغيرت نظرة الكومنتانغ إلى الحكم الذاتي المؤدي إلى الاستقلال.

ولكن بسبب الظروف الطارئة في الصين لم تصبح المطالبة بالحكم الذاتي يؤدي إلى الاستقلال؛ لأن الحكم الذاتي في الحقيقة كان يؤكد حق البقاء ضمن الأسرة الصينية على أسس اتحاد المقاطعات فيدراليا مع التساوي في الحقوق، ولم تكن المطالبة بالحكم الذاتي يعني الانفصال، بل مقاومة ديكتاتورية المركز على المقاطعات البعيدة.

وقد لاحظ تيلمان دوردين Tillman Durdin مراسل

1 - كلمة سن فو ألقاها في الاحتفال بمرور 23 عاما على تأسيس حكومة السوفييات في نوفمبر 1944م.

2 - كلمة تشانغ تشيه - تشونغ نشرت في جريدة سنكيانغ اليومية.

جريدة نيويورك تايمز في موكدن كما جاء في برقيته بتاريخ 3 فبراير 1948م: أن السبب الرئيس من استياء المانشوريين من الحكومة، أن سلوك الموظفين المعينيين من قبل ناكين يعاملون المانشور كشعب يستعمرونه عسكرياً، ويستغلونه (اقتصادياً)، وبالطبع أن المانشور صينيون مسكنهم أصلاً شمال الصين، بينما سنكيانغ تختلف، فالشعب معظمه غير صيني ذو صفات متميزة، وحتى مسعود صبري الذي اعتبره الأويغور عميلاً لجمعية سي. سي. اضطر أن يقول في عام 1945م: إذا كانت الحرب ضد اليابان أبرز سياسة تشونغ كين في سنكيانغ، فإن القوات العسكرية كانت تمارس الاستعمار العسكري، وتشجع التسلط الصيني الذي أدى إلى اشتعال كثير من الثورات كما حدث في قمول<sup>(1)</sup>.

عند ما غادر شنغ شيه تساي سنكيانغ في سبتمبر 1944م ترك فيها ست فرق عسكرية، بالإضافة إلى أربع فرق عسكرية دخلت من تشونغ كين، وبعد عام انضم إليها فرقتان من فرسان التونكان من جنغهاي، وأصبح المجموع 12 فرقة، ومع عدد من الفئات العسكرية بلغ مجموعها مائة ألف جندي كانت تشكل تعزيزات قوية في الغرب<sup>(2)</sup>، وقد وصف كاتب صيني الإجهاد الاقتصادي

<sup>1</sup> - New yorkTimes, January 30, 1948,

وتصريح مسعود حول القوات فقد جاء في مقاله:

Regarding Politics in the Northwest, in Altai, Chungkin April 25, 1945 (in Chinese)

<sup>2</sup> -نقل هذا الرقم فرانك روبرتسون Frank Robertson الذي مكث ثمانية أشهر في سنكيانغ عام 1947م، وبعث رسالته في 28 يناير 1948م، ونشر في نيويورك تايمز في الأول من فبراير 1948م، وأما بالنسبة للقوات الحربية

والاحتكاك الاجتماعي لهذه القوة العسكرية الكبيرة في مقاطعة قليلة السكان والموارد، التي تبعد من لآنجو عاصمة كانسو عبر الطريق الصحراوي 2000 ميلا إلى اورومجي، والنقاط العسكرية تنتشر في كل عشرين ميلا، ويحصل الجنود على المؤن ووسائل النقل بالقوة من السكان المنتشرين في المناطق حولها، ولم يكن الجنود يتحلون بالأدب، وكثيرا ما يعاملون أفراد الشعب بالقسوة والعنف<sup>(1)</sup>، ونتج عن الاستعمار الصيني بالإضافة إلى استملاك الأقلية الصينية الأراضي الزراعية، أن وصل إليها كثير من المهاجرين الصينيين الفقراء، مما أدى إلى زيادة المتسولين واللصوص في المدن والقرى<sup>(2)</sup>. وارتفاع الضرائب والتضخم المالي أثار الأحقاد ضد الصينيين، وصاحب ذلك استياءً عام حتى بين الصينيين أنفسهم ضد النظام السياسي، وقال مراسل أمريكي: إنه يجب على الصين أن تقوم بإصلاحات خاصة؛ لإنقاذ سنكيانغ، ولكن على الجهود الصينية أن تعمل بشدة

---

في عهد شنغ شيه تساي عند ما غادرت سنكيانغ فقد جاء في مقابلته الصحفية مع تشانغ تشيه-تشنغ في جريدة سنكيانغ اليومية في الرابع من يولييه في عام 1949م بالصينية.

Hsinchiang Jih Pao, Urumchi, July 4, 1947

<sup>1</sup> -Chung Shih," The Puzzle in Sinkiang "in Min Chu (Democracy Weekly) Shabghai, March 16,1946, Nos.21-22 Joint Issue (in Chinese).

<sup>2</sup> - Ch`en SSu-ying, "Agriculture in Sinkiang "in Central Bank Monthly, New Series, Vol.I, No.6, Shanghai, June 1946 ( in Chinese)

لمواجهة ازدياد روح الوطنية الأويغورية<sup>(1)</sup>.

وفي تنافس القوى السياسية في سنكيانغ في السنوات الأخيرة للكومنتانغ كانت جمعية سي.سي. تتفوق على مجموعة العلوم السياسية في أغلب الأحيان، حيث نجح البيروقراطيون القدماء أمثال: وو تشونغ-هسين Wu Chung-hsin والجنرال تشانغ تشيه تشونغ Chang Chih-chung والأويغوري الغني عضو الكومنتانغ مسعود صبري تحقيق كثير من المكاسب في مناطق الحدود، وقد عمل ووتشونغ -هسين ضمن جمعية سي.سي. في مناطق الحدود، وخلال عمله في منغوليا والتبت كان قد نشر الرعب بين الشعب، ثم عين حاكما على سنكيانغ في أكتوبر 1944، ومع أنه خريج أكاديمية فاوتين Paoting العسكرية، ولكن معظم عمله كان في المجال المدني، وكان من قبل حاكما على مقاطعة أن هوي Anhui في عام 1929م، ثم حاكم كوتشو Kuechow فيما عام 1935-1937م، وترأس الإدارة الخارجية في منغوليا والتبت خلال 1938-1944م، و ترأس خلالها أيضا بعثة إلى التبت ساهم فيها في اغتصاب أراضي الشعب التي أثارت المغول ضد الصين.

وقد تم تعيينه في سنكيانغ بدعم من الجنرال تشو شاو ليانغ Chu Shao=Liang الذي سبق ذكره وقد كان من أنشط الأعضاء في جمعية سي. سي.

ومن أعضائها أيضا ومن أهم أعوانه تسنغ شاو لو Tseng Shao-Lu السكرتير العام، ووزير الشؤون الداخلية تنغ تشيانغ هاي Teng Chiang-hai ووزير البناء يو تاو

<sup>1</sup> -Frank Robertson

يون Yu Tao-yun ووزير المعارف هسو لين تشي Hsu Lien-chi ووزير المالية لو يو وين Lo Yo-wen.

وفي نهاية نوفمبر 1944م أطلق وو سراح الموظفين المعينيين من تشونغ كين، الذين سجنهم شنغ شيه-تساي<sup>(1)</sup>، واستبقى كثيرا من السجناء الذين لا علاقة لهم بجمعية سي.سي. وتشنغ كين، كما لم يرد كثيرا من الممتلكات المصادرة إلى أصحابها، ولم يسمح بعودة اللاجئين السياسيين الفارين إلى المدن الأخرى في الصين والهند وأفغانستان ومكة المكرمة، وبلغت تكلفة إصدار جواز السفر ثلاثة أضعاف في البداية، ثم ارتفعت إلى عشرة أضعاف لكل من يرغب السفر من سنكيانغ<sup>(2)</sup>، وانتشر الفساد وارتفع التضخم حتى غدا الناس يرددون: إن كان ذهب شنغ شيه-تساي فقد عاد اثنان مثله في الجشع، وفي مدة قصيرة تبلورت معارضة الحكم الصيني، واندلعت ثورة في وادي إيلي في نوفمبر 1944م، واستمرت الثورة أكثر من أربعين يوما حتى تراجعت القوات الصينية من غولجه، ويشار إلى هذه الثورة في الأدب الصيني السياسي بالشؤون الداخلية، وقد أدت هذه الثورة إلى زيادة الشعور القومي لشعب سنكيانغ.

وتمكن الثوار من تأسيس جمهورية تركستان الشرقية

<sup>1</sup> - Yu Han, Sinkiang Memoir "in Tu Chih Wen Choi (Reader's Digest) Shanghai, July 16, 1946, Vol.1, No.6 (in Chinese)

<sup>2</sup> - Hsin Wen Tsa Chih (News Miscellany) No.8, Chungkin, March 15, 1946 (in Chinese)

في عهد شنغ شيه تساي كان كلفة إصدار الجواز 150 000 دولار صيني، وفي عام 1946 ارتفعت التكلفة إلى 2 000 000 دولار.

برئاسة ممثلي قوميات: الأويغور- القازاق - الروس البيض غير الشيوعيين المتجنين إلى هذه المنطقة، وقادتهم العسكريين: على خان توره - عثمان باتور - عبد الغني باتور، وزعمائهم السياسيين: أحمد جان قاسمي - رحيم جان غولجيف - أبو الخير توره<sup>(1)</sup>.

وأعلن المستوطنون الصينيون أنه ليس لهم علاقة بسياسة حكومة المقاطعة الغاشمة، وقدم السيبو الذين يمتنون الزراعة قرب المدن المون إلى الثوار<sup>(2)</sup>، وانضم المواطنون الأويغور والقازاق إلى الثورة، والحقيقة أن وادي إيلي الذي كان مقر الثوار هو أهم منطقة في سنكيانغ، وإن كان الأويغور فيها ليست أغلبية سكانية.

وقد أشار مراسل أمريكي وصل المنطقة في وقت متأخر قائلاً: لا توجد أدلة تؤيد مزاعم الصين بأن الثوار المسلمين يحملون أسلحة روسية حديثة<sup>(3)</sup>، وفي الواقع إن معظم الثوار الأويغور لا يحملون بنادق، وهم مسلحون بقتال يدوية، وأهم الجنود هم الفرسان القازاق، وبعد معارك طاحنة طوال شهر: يوليه وأغسطس وسبتمبر توسع حكم غولجه الثوري إلى منطقة جوجاك، ثم اتجه الثوار إلى الشرق مندفعين إلى مناس- المدينة الهامة التي تتفرع منها طرق تجار اورومجي أحدهما إلى إيلي والأخرى إلى جوجاك، وكان القتال ضارياً في مناس حتى انخفض عدد السكان من 000

<sup>1</sup> Revolutionary Eastern Turkistan, Kulga, July 30, 1946 p.1 (in Russian)

<sup>2</sup> - نفس المنشور بتاريخ 26 ديسمبر 1946م، ص 2.

<sup>3</sup> -Frank Robertson

40 نسمة إلى 17 000 نسمة، وكان التدمير هائلا جدا<sup>(1)</sup>، وفي هذا الوقت أذاع ثوار غولجه بأن لديهم أربعين ألف رجل مسلح، ويستعدون للهجوم على اورومجي، وجعلها مقبرة للصينيين، وتقدمت قوات المفرقات بقيادة هو تسونغ نان Hu Tsung-nan التي كانت في شمال الصين خلال الحرب اليابانية- الصينية وتشن حرب العصابات ضد الشيوعيين الصينيين، ولكنها فشلت في دحر الثوار.

وفي هذه الظروف الحرجة لقوات الحكومة الصينية أصبح التفاوض مع الثوار ضروريا جدا، فبعثت تشونغ كين الجنرال تشانغ شي تشونغ Chang Chih-chung إلى سنكيانغ في سبتمبر 1945م، ومع أنه رجل عسكري اكتسب مركزا مرموقا في السياسات الوطنية في الصين وسنكيانغ، ولكنه لم يكن قائدا حربيا يتولى قيادة الجنود في المعركة، وبعد أن تخرج من أكاديمية فاوتين Paoting العسكرية درس في ألمانيا، ثم تولى قيادة الفرقة الخامسة العسكرية، واشترك في الدفاع عن شنغهاي ضد اليابان في عام 1932م، ثم أصبح عميدا للأكاديمية العسكرية العامة، إلا أنه لم يظهر نشاطا فعالا في قيادة الجنود في الحروب، وكان قد ترأس حكومة مقاطعة هونان من 1937-1939م، وفي عام 1940م أصبح مساعد الجنرال تشيانغ كاي شيك، وخلال الحرب الوطنية كان رئيس معهد التدريب السياسي في المجلس الوطني العسكري، ثم أصبح السكرتير الأول لجمعية شبيبة سان مين تشو San Min Chu أحد معاقل جمعية سي.سي.، ولم يكن يميل إلى

<sup>1</sup> -Hsinchiang Jih Pao, Urumchi, February 22, 1947, (in Chinese)

جمعية سي. سي. أو إلى مجموعة العلوم السياسية، ولكنه كان رجلاً مخادعاً يستطيع التعاون معهما، وعلى الرغم من ثقافته الجيدة عن التسوية والتعامل بعيداً عن فاشيسيت جمعية سي. سي. إلا أنها لم تعارض تعيينه مفاوضاً مع الثوار في سنكيانغ، حيث لا تنفع المقاومة بالقوة العسكرية طويلاً<sup>(1)</sup>.

وفي مجال التفاوض مع ثوار غولجه قام تشانغ تشيه تشونغ بثلاث رحلات جوية ما بين تشونغ كين- اورومجي: سبتمبر وأكتوبر 1945م، ويناير 1946م، وكان الاجتماع الأول مع ممثلي غولجه مفيداً؛ لحملهم على التخلي عن استقلال جمهورية تركستان الشرقية، إذا حققت تشونغ كين حكومة ذاتية مستقلة لكامل سنكيانغ، وكان تشانغ يرغب أن تحتفظ غولجه بقواتها باسم مجموعة حفظ السلام الوطني (ترتيب عام كان موجوداً في الصين) مع التأكيد على سيطرة تشونغ كين العام على جيش المقاطعة والتحكم الكامل على علاقاتها الدبلوماسية.

ثم عقد الاجتماع الثاني في اورومجي في نوفمبر 1945م، في وقت كانت الثورة قد انتشرت في حوض تاريم، وفقدت الحكومة الصينية السلطة في ياركند وقارغيليق، وحاصر الثوار المسلمون خوتن، ولم تتمكن تشونغ كين من إرسال

1 - في عام 1949م بعد أن ترأس بعثة ممثلي الكومنتانغ المكون من ستة أعضاء والموفدة إلى بكين بهدف التفاوض السلمي مع الشيوعيين الصينيين جرى اتهامه مع أربعة من الأعضاء بفشل المفاوضات التي لم تكون لصالح الكومنتانغ، فاضطر أن يبقى في بكين يتعامل مع الشيوعيين حتى تم انتصارهم.



قوات كبيرة إلى سنكيانغ رغم انتهاء الحرب مع اليابان، وإحراز التفاوض مع الشيوعيين تقدماً ملحوظاً، وفي هذه الفترة زاد الاهتمام بالتفاوض بشكل عام، فقد عملت أمريكا التي كانت صديقة الصين الأولى، وداعماً للجنرال تشانغ كاي شيك وسيطاً في التفاوض بين الكومنتانغ والشيوعيين الصينيين، والاتحاد السوفياتي الذي كان يدعم الشيوعيين وكان قنصله العام في اورومجي يقوم بدور الوسيط بين ثوار غولجه وحكومة الصين الوطنية.

وفيما بين أكتوبر 1945م، ويونيه 1946م عقد ثمانية عشر اجتماعاً رسمياً، وأكثر من عشر اجتماعات غير رسمية بين ثوار غولجه وممثلي حكومة الصين الوطنية، وأصبح خلالها الجنرال تشانغ رئيساً لمكتب الرئيس الجنرال تشانغ كاي شيك في الشمال الغربي؛ لتعزيز موقعه في التفاوض.

وانتهت المفاوضات بثلاث اتفاقيات، وحوى الاتفاق الرئيس على 11 مادة، منها المادة التاسعة التي بموجبها توقيع اتفاق إضافي لإعادة تنظيم حكومة المقاطعة، وعلى الاتفاقيتين وقع الجنرال تشانغ وثلاثة ممثلين من غولجه وهم: أحمد جان قاسمي وأبو الخير توره ورحيم جان غولجيف، والمعاهدة الثانية الإضافية التي انبثقت من المادة العاشرة لإعادة تنظيم القوات المسلحة لم توقع إلا في 6 يونيه 1946م، حيث أقيم فيه احتفال عظيم في العاصمة أورومجي، و أبرق وو تشونغ هسين رئيس حكومة المقاطعة إلى جمع الولايات بطلب إطلاق سراح السجناء السياسيين<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - Ta Kung Pao, Chungking edition, June 7, 1946 (in Chinese)

وكان الاتفاق الرئيس هو تعيين الولاة بطريق الانتخاب المحلي بدلا من تعيينهم من قبل حكومة المقاطعة، وأن يكون التعليم في المدارس الإبتدائية باللغات القومية لغير الصينيين، وتكون اللغة الصينية إجبارية في المدارس المتوسطة، كما يكون من حق حكومة الصين الوطنية تعيين بعض أعضاء حكومة المقاطعة، ويكون من حق ممثلي القوميات الأخرى ترشيح الباقين، وأما الجنود المسلمون الأويغور والقازاق يتم التعامل معهم بلغاتهم في الأوامر والقيادة، وتدريبهم حسب نظام القوات الوطنية بشرط ألا تتمركز مع قوات حكومة الصين الوطنية في معسكر واحد.

وقد عالجت المعاهدة الإضافية الأولى تفاصيل تعيين 15 عضوا يرشحهم ممثلو القوميات مع تسمية مناصبهم في حكومة المقاطعة، كما عالجت المعاهدة الإضافية الثانية تفاصيل تنظيم وقيادة قوات القوميات المحلية، وقوات حكومة الصين الوطنية، ومهدت لمعاهدة تالية تحدد الأماكن والولايات التي تتمركز فيها<sup>(1)</sup>

وإذا تم تنفيذ هذه الاتفاقيات الثلاث ستكون القوميات غير الصينية في سنكيانغ قد حصلت على نصيب كبير من الاستقلال الذاتي، وعلى حكومة محلية معززة بجزء من قواتها المسلحة المحفوظة بها، وعلى ضوء هذه الأمور يتم المساواة بين القوميات في التعامل، بيد أن هذه الاتفاقيات لم تنفذ كاملة، وحال دون ذلك مطالبة جمعية سي.سي. بإصرار أن تتولى تمثيل حكومة الصين الوطنية والتنفيذ.

<sup>1</sup> = الاتفاقيات الثلاثة نشرت كاملة من قبل وكالة الأنباء الرسمية للحكومة المركزية في نانكين في 29 يونية 1946م.

وعلى ضوء الظروف وبناء على الإجراء الأولي في تنفيذ الاتفاقيات تم تعيين تشانغ تشيه تشونغ Chang Chih-chung في محل وو تشونغ هسين Wu Chung-hsin حاكما عاما على المقاطعة في يولييه 1946م، وتعيين مساعدين له أوغوري وتتاري، كما تعين أحد منسوب جمعية سي.سي. ليو منغ هسون Liu Meng-Hsun سكرتيرا عاما لحكومة المقاطعة وتعيين وكيلين له أوغوري وقازاقي، ثم جرى تعيين وانغ تسنغ شان Wang Tseng-shan وزيرا للداخلية وتشاوتشين فنغ Chao Chien-Feng وزير للشؤون الاجتماعية وكو تشين-تشي Ku Chien-chi نائب وزير البناء في حكومة المقاطعة، وجميعهم أعضاء في جمعية سي.سي.

وبهذه اللعبة المزدوجة تمكن الجنرال تشانغ على تحسين الحكومة على الأقل في اورومجي، ووضع بصفة مستعجلة دستورا أساسيا للمقاطعة، يشتمل على عشر نقاط، ويمنع بموجبه الموظفين من مزاوله التجارة، وشجع البنوك الخاصة لزيادة الإنتاج وعمل على تخفيض الضرائب وانتخاب محافظي وحكام الولايات في خلال شهور ثلاثة<sup>(1)</sup>، كما أمر بتسهيل تجارة المقاطعة التي أفلها شنغ شيه تساي<sup>(2)</sup>، وأمر بحرق 25 000 أوقية من الأفيون، ومنعا للاضطراب منع الزواج بين المسلمين وغير المسلمين، وألغى الضرائب المتأخرة،

<sup>1</sup> - Han Hai Ch`ao (Desert Tides) Urumchi, January 1947, pp.9-11 (in Chinese)

<sup>2</sup> - Ta Kung Pao, Shanghai edition, August 13,1946 (in Chinese)

ووعد بتخفيض ضرائب عام 1947م<sup>(1)</sup>، ثم ذهب إلى نانكين بطلب معونة سنوية قدرها 165 مليون دولار صيني لسد عجز ميزانية المقاطعة<sup>(2)</sup>.

وأطلق سراح مائة شيوعي صيني تقريبا، ممن اعتقلهم شنغ شيه تساي، (وكان أكثرهم يعمل في برامج إصلاحاته)، وبعثهم إلى ينان Yenán في عربات خاصة<sup>(3)</sup>.

ومع اتباع الجنرال تشلنغ مثل هذه الإجراءات عرف بأنه الحاكم المعتدل الذي يحب التسوية، وفي الواقع كان يعمل بجدية في الوصول إلى تسوية عملية في سنكيانغ، فمثلا قال في خطاب له في اورومجي بتاريخ 13 مايو 1947م: أجد نفسي مع الأقليات، فقد سويت الاختلافات معهم دائما بالتفاوض أو بالتنازل، وربما عكس هذا انطباع خاطئ في المحيط الخارجي بأننا ضعفاء حتى أننا سمحنا للمجموعة التي يقودها الحاكم المساعد أحمد جان أن تسيطر على كل شيء<sup>(4)</sup>، ويشرح هذا الانتقاد أنه كان يعتمد على جمعية سي.سي بينما كان يتفاوض من جهة أخرى مع القوميات اللاصينية.

في الحقيقة كانت التسوية في هذا الوقت سياسة منطقية؛ لأن قوات حكومة الصين الوطنية التي يشرف عليها الجنرال

1 - فقد نشرت تفاصيل تخفيض 16 ضريبة في إعلان رسمي صدر في جريدة سنكيانغ اليومية باللغة الصينية في اورومجي في 12 يناير 1947م.

2 - في نفس الجريدة بتاريخ 11 أبريل 1947م.

3 - Han Hai Ch`ao (Desert Tides) Shanghai edition, January 1947 (in Chinese)

4 - في كلمة له نشرت في جريدة سنكيانغ اليومية باللغة الصينية بتاريخ 14 أغسطس 1947م.

تشانغ لم تتمكن من تخطي نهر مناس، وقد توقف وصول منتوجات غرب مناس من الذهب والفحم والزيت والقمح والدقيق واللحم إلى منطقة اورومجي، علاوة على ذلك أن كثير من زعماء الأويغور وحوض تاريم يطالبون نانكين باصرار على معاقبة شنغ شيه تساي<sup>(1)</sup>، ومن المحتمل أنهم يجهلون أن شنغ اشترى نفسه بهدية ضخمة من الذهب قدمها إلى خزينة الكومنتانغ.

وتشبت جمعية سي.سي. المعارض ضد مرونة واعتدال الجنرال تشانغ مستغلة نفوذها التي تسلل إلى سنكيانغ منذ بداية عام 1942م، عند ما بدء شنغ يغير وجهته من الاتحاد السوفياتي للاعتماد على الكومنتانغ، ومع أوائل يناير 1943م، كان الكومنتانغ قد أقام مكتبا إقليميا وفرعا لمعهد التدريب السياسي في اورومجي بإشراف جمعية سي.سي.، ووصل خريجو هذا المعهد إلى أكثر من 2000 في عام 1946م، وعند ما عقد الاجتماع الأول لمكتب الكومنتانغ الأقليمي كان الخريجون قد وصل عددهم إلى خمسين ألف<sup>(2)</sup>، ولما أصبح الجنرال تشانغ حاكما على سنكيانغ كانت فروع الكومنتانغ (جمعية شباب سان مين تشو) يعملون في اورومجي وأقسو كاشغر، وكان تشن هسين تسنغ عضو جمعية سي.سي. يستطيع الإشراف على جميع هذه الأعمال، وكذلك يشرف على أعمال حكومة المقاطعة، بل أيضا على

<sup>1</sup> - Ta Kung Pao., Shanghai edition, November 16, 1946 (in Chinese)

<sup>2</sup> -Hsinchiang Jih Pao (Sinnkiang Daily) Urumchi, March 1, 1947, also Han Hai Ch`ao (Desert Tides) Urumchi, January 1947 (Both in Chinese)

## جماعة الفدائيين والسياسيين.

ولعدم وجود إدارة قوية مع تشانغ شيه تشونغ، تسلل أعضاء جمعية سي.سي. في جميع المراكز السياسية، ومع أن شعبيتهم سيئة بين الصينيين إلا أنهم تمكنوا من تجنيد أفراد من القوميات غير الصينية من خلال المكاتب العامة، ولم يتردد أعضاؤها من ابتزاز الأموال لتنظيم حركتهم، ليس في سنكيانغ فحسب، بل في جميع أنحاء الصين، وعمل الحكام والقواد العسكريين المنتمين إلى هذه الجمعية على تأسيس جماعات فاسدة، ونسبت إليهم التعامل مع العصابات الخاصة لإفشال الانتخابات والاجتماعات العامة<sup>(1)</sup>، ومن الأحداث التي نسبت إلى جمعية سي.سي. قتل ممثل الحاكم في إمين Emin بالقرب من جوجك في نوفمبر 1946م، وكذلك الثورة الكبيرة التي حدثت في اورومجي في فبراير 1947م، وقتل فيها خمسة أشخاص، وجرح الكثير، والثورات في تورفان وتوقسون وشانغن خلال شهر يوليه 1947م، وتجد مثل هذه الحوادث في المناطق التي أسست فيها فروع جمعية سي.سي. في الصين، وإن كانت الصحف المؤممة تنسب هذه الحوادث إلى الأويغور والقوميات غير الصينية في سنكيانغ<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - Observer (weekly), Shanghai, March 22, 1947 (in Chinese)

<sup>2</sup> - Hsinchiang Jih Pao, Urumchi, July 1, 1947 (in Chinese), also article by Chang Chi-yun (member of the C.C. Clique) in Ta Kung Pao, Tientsin edition, September 21, 1947 (in Chinese)

والجانب الآخر من هذا ظهر في البيان الصيني الذي صدر منطقة جوكوجاك التي تحت ثوار غولجه يندد تخريب الصينيين في اورومجي في فبراير

ومع انهيار الوضع في الصين ذاتها كانت سياسة تشانغ التي عرفت بالاعتدال والتسوية في سنكيانغ تشبه كثيرا بسياسة النفس الطويل لكسب الوقت، بدأت قوميات سنكيانغ تظهر السخط والغضب، وتعبّر عن الخدعة عومل بها ثم تأزم الموقف، وتطور إلى الانتقاد الفعلي في الأشهر الأولى لعام 1947م، وفي شهر فبراير 1947م أعلن أحمد جان: أن تعبير تركستان الشرقية لا يعني استقلالها فحسب، بل يعني أن الشعب تخلص من سياسة الاضطهاد التي لا يريد استمرارها... ومسألة اليوم هو تعزيز الوحدة الوطنية (وحدة قوميات سنكيانغ) ووضع السياسة الديمقراطية موضع العمل والتنفيذ، مقترحا برنامج إصلاحى يتكون من ثلاثة نقاط: وحدة جميع شعوب سنكيانغ وتولي الأويغور وغيرهم من القوميات اللاصينية الشؤون التنفيذية في المقاطعة، ما عدا الدفاع، وتكوين مجلس أقليمي يتولى السلطة القضائية العليا في البلاد، قائلا: لا نحتاج في سنكيانغ أن تتسلط قومية منفردة، وأن شرط السلام هو وحدة القوميات والسياسة الديمقراطية كما جاء في إعلان غولجه<sup>(1)</sup>.

واتهم أحمد جان مستندا على أدلة قوية أن القوات

1947م، وقد نشرت في الطبعة الصينية من:

Ta Cheng Min Sheng Pao (Justice and the People's Livelihood) Chuguchak, April 30, 1947

<sup>1</sup> فقد تم نشر النص الكامل لحديثه في جريدة شينجانغ كزيتيه التي تصدر باللغة الأويغورية في 19 فبراير 1947م، وبسبب تحفظ الحكومة الصينية عليه لم يتم نشره بالصينية في طبعتها الصينية.

وبوليس الأمن الصيني تدخل في كثير من الانتخابات في معظم مدن حوض تاريم، وضرب أفراد الشعب وسجن الطلبة والأساتذة ومنع الاجتماعات، بل هدد الجيش في إحدى المرات بتدمير سنكيانتغ بقتلة نووية<sup>(1)</sup>، وبينما كان يجري العمل على تحميل السلطات الصينية وجمعية سي.سي. مسؤوليية هذه الأحداث، أبدى أحمد جان إمكانية الصلح بين الشعب الصيني وشعوب سنكيانغ غير الصينية، وقد جاء في حديثه من المستحيل فرض السلام في هذه المقاطعة بوسائل الإكراه والفساد والخداع والغدر، والشعب الصيني ليس عدونا، بل هؤلاء الأشخاص الذين يمارسون سياسة التسلط والإكراه، وينفذون سياسة استعمارية واغتصاب حقوق الشعب<sup>(2)</sup>.

وقام تشانغ شيه تشونغ في أبريل 1947م، بأهم رحلة إلى مدن حوض تاريم لتعزيز مركزه بعد الحصول على المعلومات الأولى، وأدلى بحديث في اورومجي، حيث كانت حكومة الصين تواجه سياسة أحمد جان، محاولا تجنب إشعال الثورة: إن تطبيق الحكم الذاتي والديمقراطية عمليا في سنكيانغ يعني الاختيار بين نظام سان يات سن أو النظام الشيوعي، وأن معارضة غولجه (ثوار غولجه) لحكومة الصين تعني معارضة نظام جمعية سان مين تشو أو مبادئ سان يات سن الثلاثة

1 - ويظهر في هذا الوقت موقف بعض القواد الصينيين في تحذير أصدره سونغ هسي لين Sung Hsi-lien القائد العام لقوات الحكومة الصينية حينئذ في سنكيانغ: عدونا الأول هو مجموعة غولجه وعدونا الثاني هو مجموعة الوطنيين، ويجب عليهم إلغاء شعار تركستان أولا أو أن يكون هناك فوضى كبيرة، كما في برقية فرانك روبرتسن

Frank Robertson, New York Times, February 1, 1948

2 - خطاب أحمد جان الذي سبق ذكره.



الرئيسة، وهذا يعني اعتبارهم شيوعيين.

وقام الجنرال تشانغ بمعالجة بعض المشاكل القائمة بين الحكومة الصينية وثوار غولجه، وكان أحمد جان المتحدث الرسمي باسمهم يريد الاعتراف بحق الحكومة الصينية بالإشراف على الدفاع عن سنكيانغ، وقد طلب الجنرال تشانغ إعادة تشكيل ست فرق عسكرية في الولايات الثلاثة: غولجه - جوجاك - التاي، وأن يسبق ذلك سيطرة القوات الصينية عليها تماما، ويشبه طلبه هذا بما عملته حكومة الصين الوطنية في مفاوضات عامي 1945-1946م، مع الشيوعيين الصينيين بواسطة المارشال، حيث وافق الشيوعيون على تخفيف قوتهم ووضعها تحت قيادة عليا، ولكن كان لهم شرط الاحتفاظ بوحدهم الخاصة، وأن يستمر تمركزها في الولايات الشيوعية، إلا أن حكومة الصين طلبت أن يكون لها حق التسريح والتجميع، وليس الإشراف فقط.

بالإضافة إلى مطالب أخرى تقدم بها الجنرال تشانغ، فقد طلب موافقة زعماء قوميات سنكيانغ بالموافقة على مد سكة الحديد التي ترغب الحكومة ربط مناطق الحدود مع الصين، ولكن الزعماء اعتبروه وسيلة لزيادة تدفق المستعمرين الصينيين إليها.

وطلب الجنرال تشانغ أخيرا إلغاء الأوراق النقدية الخاصة بالمقاطعة، واستعمال الأوراق النقدية لحكومة الصين، ومع أن هذا الطلب كان منطقيا في نظر الصينيين، ولكن بالنسبة لسنكيانغ كان يعني ضخ ثروتها إلى الصين بدون تعويض

عائد إليها<sup>(1)</sup>.

وقبل أن يتورط الجنرال تشانغ في كثير من المأزق ترك رئاسة حكومة مقاطعة سنكيانغ مع الاحتفاظ برئاسة مكتب القائد العام في الشمال الغربي، الذي منحته حق الإشراف العام على شمال غرب الصين وسنكيانغ، وتولى مسعود صبري رئاسة حكومة مقاطعة سنكيانغ في مايو 1947م، وهو أحد وجهاء الأويغور من أسرة معروفة بالتجارة والثراء.

وكان مسعود صبري قد ذهب إلى تركيا للدراسة في عام 1904م، وكان حينذاك في 17 من عمره، وبعد أن قضى 11 عاما في إستانبول عاد إلى سنكيانغ عام 1915م، متأثرا بقومية كمال أتاتورك، وزاول الطب في إيلي عدة أعوام ثم رحل منها إلى كاشغر، ومنها عبر الهند وصل إلى الصين بحرا عام 1934م، وتواصل مع جمعية سي.سي. وبمساعدة منها لا بترشيخ من زعماء سنكيانغ أصبح ممثلا عن سنكيانغ في اجتماع الكومنتانغ عام 1936م، وبالتالي عضوا في جمعية الكومنتانغ التنفيذي المركزي، وخلال الحرب اليابانية وضعت جمعية سي.سي. في الهيئة السياسية الوطنية، ثم صار عضوا في الحكومة الوطنية في عام 1942م، وهكذا أصبح مسعود صبري حاكما على سنكيانغ في عام 1947م، وهو أول أويغوري يتولى هذا المنصب، ليس بسبب حركة وطنية مصدرها سنكيانغ، بل لأنه عميل لجمعية سي.سي.، وفي الحقيقة لم يعتلي مسعود الرئاسة بعملية من داخل

1 - نشر النص الكامل لخطاب تشانغ تشيه تشونغ في جريدة سنكيانغ اليومية باللغة الصينية في 14 اغسطس 1947م، ولكن يلاحظ التأخير الطويل في النشر مما يفيد الاضطراب السياسي الذي حدث خلال هذه الشهور.

سنكيانغ، بل عاد إليها بعد سنوات من الاغتراب، وترافق مع هذا عودة الجنرال سونغ هسي لين Sung Hsi-lien قائد البعثات العسكرية الذي سبق أن جاء إليها والجنرال تاو شيه يوه Tao Shih-yueh قائد الفدائيين<sup>(1)</sup>.

وعلى هذا لا يدعو إلى الاستغراب أن عددا من أعضاء مجلس المقاطعة احتجوا على هذا التعيين، وقدموا اعتراضهم إلى الجنرال تشانغ على تعيين مسعود صبري قبل وصوله إلى اورومجي، ثم بعد توليه الحكم في 31 مايو 1947م، قام أكثر من 63 عضوا من أعضاء المجلس الأقليمي البالغ عددهم 90 عضوا بتقديم معارضة شديدة في 4 يونيو 1947م، بينما قاد اثنا عشر هيئة من الهيئات الوطنية مظاهرات في خارج المجلس<sup>(2)</sup>، ووزعت هذه الهيئات منشورات تقول: إن مسعود صبري لم يكن موجودا في سنكيانغ عند اندلاع الثورات الوطنية فيها، ولم يشهد سقوط شنغ شيه تساي وليس له سجل وطني، لا من حيث الإدارة أو الزعامة<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم من معارضة هؤلاء الأويغور المستمر، وخاصة زعماءهم في المدن التي تحتلها القوات الصينية، تمكن مسعود صبري من جمع قوات كافية على قمع الحركة الوطنية، وبمساعدة جمعية سي.سي. والقوات الصينية منع انتخاب أعضاء السلطة القضائية وألغى التعينات في مجموعات حفظ السلام الأقليمي، وأجبر حكام الولايات الذين

1

2 -Ibid., July 3, 1947

3 -Ibid., July 24, 1947

انتخبهم الممثلين الوطنيين في الاستمرار في تلقي الأوامر من القوات الصينية، وكان 48 عضوا مسلما من أصل 421 عضوا في مكتب الأمن في اورومجي، و84% منهم من الصينيين، وصارت الأوامر العسكرية تكتب باللغة الصينية، ومُنع الجنود المسلمون من حمل الأسلحة، واستمرت سياسة الاضطهاد السري مع أنها أُلغيت بموجب دستور المقاطعة الأساس الصادر في يوليه 1946م<sup>(1)</sup>.

وبعد شهر واحد من تولي مسعود صبري رئاسة حكومة سنكيانغ ازداد التوتر، وهجم البوليس السري ومنسوبو جمعية شباب سان مين تشو بمساعدة من القوات النظامية مسرحا وطنيا كان يضم أكثر من ألف متفرج، وضربوا وألقوا القبض على أعضاء المجلس الأقليمي، ووكيل حاكم ولاية تورفان، كما تعرضت الجماهير لقسوتهم وألقي القبض على كل من يقرأ المنشورات الاتهامية التي وزعت ضد مسعود صبري في السجون<sup>(2)</sup>، وعمل مسعود صبري على منع اجتماع المعارضة الذي جرى ترتيبه من قبل ممثل غولجه في المجلس الأقليمي.

وتزايدت الخلافات بين مسعود صبري وثور غولجه القوميين، وفي يوليه 1947م انسحب عشرون عضوا من المجلس الأقليمي من اورومجي إلى غولجه، ويمثلون قراشهر- تورفان- خوتن- آقسو- غولجه، ثم لحق بهم اثنان وعشرون عضو يمثلون ولاية كاشغر، ثم عاد بقية الأعضاء برئاسة أحمد جان قاسمي إلى غولجه في أغسطس

<sup>1</sup> -Ibid., June 24, and 29 ,1947

<sup>2</sup> - Ibid., July 9, 1947

1947م(1).

ثم وجه الجنرال تشانغ شيه تشونغ المشرف على مسعود صبري خطابا إلى أحمد جان زعيم ثوار غوبجه مستفسرا عما إذا كان يريد سلاما أو حربا: إذا كنت لا تعارض السلام، نرجو عودتك إلى اورومجي، وفتح باب التفاوض مع الحكومة(2)، وفي نوفمبر أجابت غولجه بعدم التصميم على الانفصال عن الصين، ولكن اشترطت على العودة تحقيق بعض المطالب الأساسية من ضمنها عزل مسعود صبري، وفي ديسمبر أجابته الجنرال أن الحكومة الصينية لن تعين خلفا لمسعود صبري بدون انتخاب، وجدد الدعوة إلى مزيد من التفاوض، وكان جواب غولجه هو تكرار الطلب بعزل مسعود صبري(3).

ثم عاد الجنرال تشانغ شيه تشونغ إلى نانكين حيث قدم إلى الحكومة الصينية خطة خمسية على تطوير الزراعة والغابات والتعدين والرعي والصناعة في سنكيانغ، وفي يناير 1948م خصصت حكومة الصين مبلغ خمسين بليون دولار بسعر العملة المنخفضة في ذلك الوقت، وكان ذلك لتعويض الممتلكات التي صادرها شنغ تشيه تساي، وجاء الممثل الرسمي لها في رحلة خاصة لدراسة الأمور وبقي ستة

<sup>1</sup> - Hsinchiang Jih Pao, Urumchi, July 11 and 14 1947 (in Chinese)

<sup>2</sup> -Times, New York, October 6. 1957

<sup>3</sup> -برقية أرسلت من حون رودريك John Roderick من مقر الرئيس للجنرال تشانغ في لاجو في مقاطعة كانسو بتاريخ 5 أبريل 1948م، ونشرت في China Daily Tribune في شنغهاي في 7 أبريل 1948م.

أسابيع في سنكيانغ، وبعد عودته حث الحكومة على تحسين المرافق الصحية والنقل.

وعموما بدء الوضع ينحدر إلى الأسوأ في سنكيانغ طوال عام 1948م، واحتفظت الحكومة الصينية بقوة تقدر بمائة ألف جندي فيها، معظمهم مجهز بأسلحة أمريكية، وكانت هذه القوات قد تكونت خلال الحرب الأهلية مع الشيوعيين، وفي المقابل كان ثوار غولجه الذين يتكونون من الأويغور والقازاق يتراوح عددهم ما بين 20 000 و60 000 ثائرا، وقيل: إن الاتحاد السوفياتي مدّوهم بالمساعدة.

وأما من ناحية العمليات العسكرية فإن أهم الأحداث المثيرة لم تكن مع ثوار غولجه، بل في منغوليا الخارجية في منطقة باتيك بوغدا Batik Bogda، وهي منطقة جبلية تتصل بالتاي وتنتهي إلى صحراء جونغاريا في شمال سنكيانغ، وعندما استولت الإمبراطورية المانشورية على سنكيانغ ومنغوليا الخارجية لم تكن هذه المنطقة ذات أهمية، إذ كانت تقطنها قبائل تورغوت واولوت من مجموعة قبائل غرب منغوليا، التي تنتشر على منحدرات غرب التاي والتي تتوزع بين غرب منغوليا الخارجية وسنكيانغ، ولم يكن فيها قبائل خلخا Khalkha التي تعتبر القبائل الرئيسة في منغوليا الخارجية.

وفي هذه المنطقة أيضا توجد قبائل القازاق الذين تعتبرهم السلطات الإمبراطورية المانشورية رعاة مستأجرين من المغول على حد زعمها، بيد أن مناطق الرعي الصيفية حول باتيك بوغدا التي يعيش فيها بعض القازاق يعمل فيها بعض المغول في الزراعة والرعي، وكان من عادة القازاق ترك خيولهم ترعى شتاء في باتيك بوغدا حتى تتدرب على اكتساب

طعامها من بين الثلوج، بينما ينقلون مواشيهم وأغنامهم إلى صحراء جونغاريا الذي يخضع لسلطة حكومة سنكيانغ، ويتجه بعضهم عبر الصحراء إلى منحدرات باتيك بوغدا السفلى قرب كوجنغ تز، وحكومة سنكيانغ تعيدهم إلى باتيك بوغدا خارج سيادتها؛ لأنها تعتبرهم عصابات ومثيري الاضطرابات ولأن باتيك بوغدا خارج حدود سنكيانغ.

ومع عام 1948م تغيرت نظرة سلطات سنكيانغ وقوات الحكومة الصينية إلى هؤلاء القازاق؛ لأن زعيمهم عثمان باتور الذي سبق وانضم إلى ثوار غولجه انفصل عنهم واستغلته الحكومة الصينية، ودفعته بالتوجه واحتلال باتيك بوغدا التي ادعت ملكيتها. ومحاولات القازاق الناتج من تحريض حكومة الصين لقيت مقاومة شديدة من قوات خفر الحدود منغوليا الخارجية، وكانت أخبار هذه الحوادث مثيرة جدا، ولم تحدث معارك واسعة، وقُتل المراسلون الأمريكيان في سنكيانغ من أهمية هذه الأحداث بعد الأنباء الأولية عنها<sup>(1)</sup>.

وحدود هذه المنطقة غير واضحة تماما، فالخرائط الصينية تظهر باتيك بوغدا ضمن حدود سنكيانغ، وتبدء حدود منغوليا الخارجية على طول ذروة التاي الرئيسية<sup>(2)</sup>، ولكن الخرائط الروسية القيصرية والبريطانية القديمة تشير أن الحدود تجتاز

<sup>1</sup> ومثلا ينظر في رسالة هنري ر. ليبرمان Henry R. Lieberman المرسله من اورومجي في 27 أغسطس 1948م، والمنشور في New York Times في 8 سبتمبر 1948م.

<sup>2</sup> -ينظر في الخريطة صفحة 59 لمقال تشانغ تشيه يي Chang Chih-yi بعنوان: "Land Utilization and Settlement Possibilities in Sinkiang" in Geographical Review, Vol.39, No. i, New York 1949

منطقة باتيك بوغدا، أو جنوب التلال المرتفع الرئيسية.

وفي ديسمبر 1948م قامت الحكومة الصينية بحركة هامة عندما عزلت مسعود صبري، وعينت بدلا عنه برهان شهيدي الوكيل حاكما عاما، وكان هذا مقبولا عند ثوار غولجه، وهو أصلا من التتار الروس، وصاحب مصالح تجارية واسعة ونفوذ كبير في سنكيانغ منذ عهد القيصر، وقد عاصر عهد يانغ وشن وشنغ والكومنتانغ في سنكيانغ.

وعاد الجنرال تشانغ شيه تشونغ إلى سنكيانغ في يناير 1949م، وحاول التفاوض مع السوفيات بشأن معاهدة اقتصادية تحل محل معاهدة عشر السنوات التي وقعها شنغ شيه تساي في عام 1939م، وأذيع في هذا الوقت أن السوفيات يحاولون الحصول على امتيازات التعدين والتجارة، ولكن تبين أن الحكومة الصينية مهدت مجالا لصراع بين المصالح السوفياتية والشيوعيين الصينيين، وذلك بمنح السوفيات حقوقا واسعة في هذه المنطقة من حدود الصين، مما أدى إلى عدم توقيع معاهدة جديدة، واحتكر السوفيات حق الخدمات الجوية بين قمول ومدن الحدود السوفياتية بموجب المعاهدة القديمة لمدة خمسة أعوام أخرى<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> -ينظر أيضا في رسائل المراسلين المنشورة في الصحف:

Henry R. Lieberman, Nanking, January 31, 1949 in New York Times; February 1, 1949; United Press, Nanking, February 13, 1949; Ibid., February 14, 1949. Henry R. Lieberman, Canton. February 28, 1949; Ibid., February 28, 1949. Walter Sullivan, Urumchi April 1, 1949; Ibid., April 6, 1949. Walter Sullivan, Urumchi, March 30, 1949; Ibid., April 18, 1949. Unsigned dispatch from Shanghai, May 11, 1949; Ibid., May 12, 1949. Frank Robertson, Canton, in Christian Science Monitor, June 6,



وبعد العودة من سنكيانغ وحضور عدد من اجتماعات التفاوض التحق الجنرال تشانغ شيه تشونغ بهيئة سلام الكومنتانغ المكون من خمسة أشخاص، وذهب إلى بكين كي يفاوض الشيوعيين الصينيين، وهناك مع بقية أعضاء الهيئة أعلن الخروج من الكومنتانغ والتحاقه لا إلى الحزب الشيوعي الصيني بل لحركة تشكيل حكومة ائتلافية تحت إشراف الشيوعيين، أخيرا في سبتمبر عام 1949م تعقدت الظروف السياسية في سنكيانغ، لقد سافر سيف الدين عزيزي أحد أعضاء ثوار غولجه ممثلا إلى المجلس الاستشاري الشعبي في بكين، الذي اجتمع بناء على دعوة الشيوعيين، وكان الجنرال تشانغ تشيه تشونغ (الذي كان في يوم ما ممثل الكومنتانغ في سنكيانغ) عضوا في هذا المجلس، وأعلن حاكم مدينة قمول في شرق سنكيانغ تأييد النظام الشيوعي الجديد بحماس، وتلا ذلك إعلان حكومة مقاطعة سنكيانغ الانضمام الرسمي إلى النظام الشيوعي<sup>(1)</sup>، و بهذا انتهى فصل من تاريخ آسيا الداخلية ليبدء فصل جديد.

1949

<sup>1</sup> - ينظر أيضا في رسائل المراسلين المنشورة في الصحف:

Henry R. Lieberman from Shanghai, September 24, 1949 in New York Times, September 25 and 26 1949; غير موقعة من هونغ كونغ September 25, 1949; Ibid., September 26, 1949; Tillman Durdin, From Hongkong, September 28, 1949, Ibid., September 29, 1949

## الفصل الرابع

### شعوب سنكيانغ

#### السكان:

إن موضوع إحصائية سكان المستوطنين في سنكيانغ يحتاج إلى دراسة جدية؛ لأنه لا يوجد إحصاء سكاني دقيق مرضي حتى الآن، وتختلف التقديرات جدا ما بين (2 000 000) و(8 000 000)

نسمة، والإحصاء الذي قام به مكتب الأمن في المقاطعة في عامي 1940-1941م تبين أن عدد السكان (3 730 000) نسمة وقد يكون هذا الرقم أهم ما يوجد من إحصاء سكاني حتى يتم إجراء إحصاء أكثر دقة<sup>(1)</sup>.

وثلثا أراضي سنكيانغ غير مسكونة، والمناطق الرعوية ذات كثافة سكانية ضئيلة، وتشكل ربع مساحة المقاطعة، وتضم 10% من السكان، والمناطق الزراعية ذات الكثافة السكانية تشكل 5% من مساحة سنكيانغ، ولكنها تضم 90% من السكان، وأما التركيز السكاني الكبير فهو في جنوب تيان شان، أو أكثر دقة في الركن الجنوب الغربي قرب الحدود السوفياتية، فالمناطق الأربع كاشغر وخوتن وأقسو وياركند تضم أكثر من ثلثي السكان، كما أن التركيز الثاني هو في شمال تيان شان قرب الحدود السوفياتية أيضا، في وادي إيلي.

ويتوزع السكان اقتصاديا بين الذين يعتمدون على الزراعة وآخرين يعتمدون الرعي، وأما المهن والحرف الأخرى مثل التجارة والإنتاج اليدوي فإنها أقل ممارسة، وأما من الناحية الدينية فالمسلمون يشكلون الأغلبية العظمى من السكان، بالإضافة إلى أقليات كونفوشيسية تاوست وبوذية لاما والمسيحية الأرثوذكسية<sup>(2)</sup>.

1- ومن مؤشرات توزيع السكان الجغرافي من الأرقام التي تم الحصول عليها بدقة تقريبا من المناطق الإدارية العشرة للمقاطعة فيما بين 1940-1941. فقد كان عدد سكان هذه المناطق حسب الأكثرية كالآتي:

كاشغر:	900 000	خوتن:	605 000	أقسو:	581 000
ياركند:	561 000	اورومجي:	372 000	غولجه:	351 000
جوكوجاك:	144 000	قراشهر:	106 000	شاراسوم:	63 000
قمول:	48 000				

2 - إحصاء غير منشور استنتجه السيد تشانغ تشيه يي عن الأديان في سنكيانغ:

المسلمون:	3 439 000	بوذيون كونفوسيسون تاوست:	215 000
-----------	-----------	--------------------------	---------

وينتشر المسلمون في ألواحات ولكنهم أقل تمسكا بالشعائر الدينية من الشعوب الإسلامية الأخرى، إلا إنهم أكثر تمسكا من المسلمين الرعاة الذين يحتفظون كثيرا من عقائدهم الشامانية البدائية.

ولم تذكر التوزيعات العرقية أوصافها بالصبغة العلمية المفيدة، ولكن المعلومات العلمية الضئيلة المتوفرة تشير إلى نماذج عنصرين، أحدهما: العنصر الألبى الذي يتصف نسبيا بطول القامة وتموج الشعر والعين الداكنة أو الرمادية والأنف المستقيم والبشرة البيضاء، والعنصر الآخر يعرف بأشباه المغول، قصير القامة نسبيا ومستقيم الشعر وسواد العين والأنف العريض وبشرة بيضاء تضرب إلى الأحمرار وقلة الشعر في الوجه والجسم، وتحمل ملامح صفات شعوب شرق آسيا.

وأما التاجيك أو ساري كول سكان تاشقورغان في جنوب سنكيانغ الغربي، ويمثلون بشكل واضح العنصر الألبى هم أقلية يتكلمون الإيرانية، ومن الشائع المعروف أنهم بقايا شعوب كانوا يقطنون معظم سكان آسيا الداخلية، ومن التتبع تظهر الصفات الألبية بوضوح في الشعب المستوطن في حوض تاريم، وهم الأويغور الذين يشكلون ثلاث أرباع سكان المقاطعة، بينما تظهر الصفات المغولية البارزة بين الصينيين والمغول وتتبعهما المجموعات الرعوية الرئيسية في مرتفعات المقاطعة وهم القازاق والقيرخيز. وهكذا يظهر التكوين العرقي تداخل شعوب المغول القبلية الاختلاف البين مع السكان الألبين المستوطنين قديما.

وبالرغم من التصنيف العلمي السابق الذي يعتبر أفضل تصنيف علمي لسكان سنكيانغ، يظهر كثير من الاصطلاحات المتغايرة مثل العنصر التركي أو العنصر القيرخيزي، بينما هذه الاصطلاحات فعليا لا تعني العنصر بل تعني جماعات لغوية.

وإذا صنفت اللغة على أنها وحدة لغوية تضم العبارات المفهومة المتبادلة بين مجموعة واحدة، وتستبعد اللغات التي تختلف معها، عندئذ يمكن أن تكون هناك عشر لغات رئيسة منطوقة في سنكيانغ، وهذه تتوزع في ثلاث أسر لغوية متميزة هي: الألتائية- الهندوالصينية - الهندوأوروبية.

وتنقسم مجموعة الألتائية إلى ثلاثة فروع هي: التركية والمغولية والتنغوزية، وهنا اللغات العشر مع عدد المتكلمين بها في سنكيانغ(1):

### ا- الألتائية:

#### 1- التركية (2):

2 941 000	1- الأويغورية
319 000	2- الفازاقية
65 000	3- الفيرغيزية
8 000	4- الأوزبكية
5 000	5- التتارية
المجموع: 3 338 000	
	ب- 6- المغولية: 63 000
	ج- 7- التنغوزية: 12 000
المجموع: 3 413 000	

### 2- الهندو- الصينية:

<sup>1</sup> - Ibid.

<sup>2</sup> - لم تكن لغة الحديث تصنف باللغة التركية التي لم تكن معروفة إلا من خلال قراءة القصص، وفي مؤلفات القرن التاسع عشر استعمل مصطلح (التركية على اللغة التي يتحدث بها شعب الأويغور وعلى أنفسهم، وأصبح هذا الاستعمال حالياً قديماً).

8- الصينية: 294 000

3-الهندو- أوروبية:

9- الإيرانية: 9 000

10- الروسية: 13 000

المجموع: 22 000

وإن محاولة تحليل وتصنيف سكان سنكيانغ بدقة على أسس عرقية أو قومية عملية معقدة، بسبب سوء استعمال المصطلحات المضطربة وغير العلمية التي استخدمها الرحالة الأجانب، والتي اضطغت بدوافع السياسة الصينية وزعماء القوميات التركية، ومما زاد الموضوع تعقيدا، أن ما كتبه الرحالة والمكتشفون والجغرافيون في المؤلفات الروسية والغربية عن سنكيانغ لمدة قرن تقريبا، كثيرة ومتداخلة، ولكن مع الأسف الشديد أن التصنيف العنصري والقومي والسياسي في الجزء الأكبر غير محدد ومعين، فمثلا كاتب أمريكي يذكر الملامح الآرية لمجموعة أقليلية على أنها عنصر فيرغيزي، وكذلك على

شواهد الدم التركي والمغولي في كاشغر<sup>(1)</sup>، والحال إن كلمة ( آري ) تستعمل مصطلحا لتصنيف اللغات فقط وليس البشر، بينما الشعوب التركية التي تتكلم اللغات التركية والفيرغيزية والمغولية متنوعين كثيرا ومختلفين في الأصول.

ولعل اضطراب المصطلحات العلمية في المؤلفات الأجنبية يؤدي إلى سوء الفهم والإثارة، ويشكل خطرا سياسيا عندما يستعمل في صياغة نظريات الحكام الذين يتولون الحكم، والنظريات السياسية الصينية المعاصرة في تصنيف الآراء عن العنصر والقومية هامة جدا، تحتاج إلى دراسة متعمقة؛ لأن السياسة الصينية في ممارساتها تواجه تزايد حركات الوطنيين الذين يقاومونها، وبات من الضروري فرز المصطلحات المستعملة من قبل الحكام الصينيين والزعماء الوطنيين، قبل إيجاد تصنيف دقيق ومنطقي لكثير من الشعوب التي يتكون منها سكان سنكيانغ.

وحاولت الصين تصنيف شعوب سنكيانغ بطرق تقوي سياستها

<sup>1</sup> - William James Morden, Across Asia's Snows and Deserts, New York, London `927

الحكومية في اتجاهات، أربع:

- 1- النزعة الأولى: تدعى " تا هان تشوي " Ta Han Chu-I" وهي نظرية الصين العظمى، وقد عارض هذه النظرية بعض الصينيين خوفاً منها، وقاومها المغول والأويغور والقوميات الأخرى؛ لأنهم بهذه النظرية تصبح جميع الشعوب غير الصينية ضمن سياسة الصين مجرد سلالات من عنصر الصين العظيم القديم، وينبغي بقائهم ضمن معيار العنصر الصيني، ولكن الجناح اليميني خلال فترة انتصار الكومنتانغ شجّع هذه النظرية بهدف بناء قوى عسكرية وإيديولوجية واسعة.
  - 2- النزعة الثانية: تعارض فكرة الامتصاص الإجباري، وتؤكد على برنامج الاختلافات الثقافية، ويمكن تصنيفها بالاستقلال الثقافي وأنصارها الرئيسيون هما: شنغ شيه تساي الحاكم السابق لسنكيانغ، وتشانغ تشيه تشونغ Chang Chih-chung رئيس بعثة الكومنتانغ إلى سنكيانغ بعد عزل شنغ.
  - 3- النزعة الثالثة: يمكن تسميتها " بالقومية التركية" وتؤكد على حقيقة أن معظم سكان سنكيانغ يتكلمون اللغات التركية، وهم مسلمون عقيدة، ويؤيد هذه النظرية كثير من الأويغور مع بعض أنصارهم من القازاق.
  - 4- النزعة الرابعة تتركز على فكرة استقلال الأرض والثقافة، وعلى هذا يمكن تعريفها ببساطة "بالفيدرالية" وتستمد فكرتها من السياسة القومية السوفياتية، وقد ناصرها الشيوعيون الصينيون، وكانت فرصة طيبة لممارسة الأقليات غير الصينية وغير الشيوعية ذاتيتها الوطنية والمستقلة مع الصينيين في دولة واحدة، وهي فرصة تجعل القوميات تشعر بالتساوي والاستقلالية داخل الكومنتانغ وخارجه، وكان هذا التوجه يعني التسوية بين مجموعة الأحرار من منسوبي الكومنتانغ ويمكن أن تتغلب على المخاوف التي قد تنتج من تطبيق أي برنامج شيوعي.
- وكان شيانغ كاي شيك النصير الأول لنظرية " الصين العظمى" كما جاء في كتابه (قدر الصين.China`s Destiny ) كذا في الترجمة الرسمية، ويشير إلى أن جميع شعوب الصين هو ضمن شعب واحد (الصينيون Chunghua ) (1)، وأن هذا الشعب الصيني يتكون من

كما بين الهالين ) ,1947, p.3, China`s Destiny, New York ,Chiang Kai-shek -<sup>1</sup>

مجموعات وصفتهم الترجمة الرسمية بالسلالات، والاختلافات في رأي شيانغ بين هذه السلالات تنحصر في العادات والتقاليد والعقائد والبيئات الجغرافية، ولا تعني العنصر، وبالاختصار يقول: إن السلالات المختلفة في الصين لا تكون شعبا واحدا فقط، بل عنصرا واحدا<sup>(1)</sup>.

والمبادئ العامة التي جاء ذكرها في كتاب " قدر الصين " طبقت في المشاكل الوطنية في سنكيانغ من قبل عضو جمعية سي.سي. في الكومنتانغ وهو رجل سياسي يعطي أعماله تفسيرات حكومية في تكوين الفكرة أو النظرية التي يفضلها شيانغ، وحسب اصطلاحه فقد تم تقسيم شعوب سنكيانغ إلى أربع عشرة سلالة، ثم استنتج أن هذه السلالات ليست قوميات مستقلة، بل سلالات فقط من شعب واحد، لا يخولها اكتساب حق الاعتراف بالسياسة المستقلة، وهو موضوع عالجه كتاب آخرون في مجالات الثقافة أيضا، واقترح أن تقوم الحكومة الذاتية في سنكيانغ على وحدات جغرافية صغيرة، بصرف النظر عن اختلاف الشعوب القاطنة ضمن هذه الوحدات، ولكي يمنع التفسيرات لعبارة "الحكومة الذاتية" ندد في أحاديث كثيرة خطأ تعريف الحكومة الذاتية بالحرية والاستقلال<sup>(2)</sup>.

وفي مقابل نظرية الامتصاص الإجباري لجمعية سي.سي. كانت سياسة شنغ شيه تساي تحكم سنكيانغ، ذلك لأنه عندما كان في سنكيانغ بعد الحرب اليابانية في الصين عام 1937م، استعان شنغ ببعض رجال الإنقاذ الوطني في حكومته، وظهر أن هؤلاء أداة في بسط سياسة التسوية المؤثرة بين احتكار الموظفين لحكومة المقاطعة وتزايد الوطنية بين الشعوب غير الصينية.

في أصل الترجمة

<sup>1</sup> - Ibid. p.13

الشعب أو القومية في الاصطلاح الصيني مين-تسو min-tsu تعني السلالة تسونغ-تسو sung-tsu وتستعمل غالبا بمعنى العشيرة.

<sup>2</sup> - Cf. Articles by Li Tung-fang in Altai, I, No.2, Chungking, April 25, 1945, pp.8-9 and pp.15-18



وكان رجال الإنقاذ الوطني الصيني في هذا الوقت يمثلون فكرة هيئة سياسية لمواجهة الطوارئ التي نتجت من الخطر الياباني، ويدعون إلى الالتزام بسياسة ائتلافية واسعة نشطة، والعمل على تقريب جميع الاختلافات السياسية، بدءاً من الانقسام الكبير بين الكومنتانغ والشيوعيين، وانتهاء إلى جميع المشاحنات الحزبية الصغيرة، وكانت نظرتهم مناسبة جداً لإيجاد تناسق معنوي في زمن الحرب في سنكيانغ، وبوحي من رجال الإنقاذ الوطني الصيني أعلن الجنرال شنغ برنامج "سياسة النقاط الست العظمى"<sup>(1)</sup>، وبموجب أحد هذه النقاط تم تصنيف شعوب سنكيانغ رسمياً إلى أربع عشر قومية، وبموجب وثائق هذه الفترة قائمتها كالتالي:

الصينيون: 202 239	التارانجي: 41 307
المانشور: 670	التتار: 4 601
المغول: 63 018	القيرغيز: 65 248
المسلمون تونكان: 92 146	الأوزبك: 7 966
الأويغور: 2 900 173	السيبو: 9 203
القازاق: 318 716	السولون: 2 489
التاجيك: 8 867	الروس: 13 408

وأسس هذا التصنيف غير واضح تماماً، فقد شرح مستشار شنغ أن الاضطراب في أسس هذا التصنيف يعني التخلص من أي عمل علمي يعتمد على التصنيف العرقي<sup>(2)</sup>، كما لا يعتمد على مفهوم جغرافي لأن كل جماعة من الجماعات المصنفة لا تنحصر في منطقة واحدة، ولا تعتمد على أسس اقتصادية محددة؛ لأن معظم الجماعات تتكون من الرعاة والمزارعين، ولا يستند على مفهوم ديني، لأن التصنيف صنف المسلمين الصينيين (التونكان) قومية مستقلة، ولم

1 - انظر الفصل الثالث.

2 - Martin R. Norins, Gateway to Asia: Sinkiang, New York, John Day, 1944,

يكن كذلك بالنسبة لأتباع الأديان الأخرى لم يشملها هذا التصنيف، و لم يصنف الأويغور وهم مسلمون حسب ديانتهم، وكذلك لا يقوم على عدد الولايات التي تتكون منها سنكيانغ وهي عشر ولايات، بينما تم تصنيف القوميات أربع عشر قومية، وأخيرا لم يعتمد هذا التصنيف على أي ارتباط ملحوظ بين هذه الأسس.

مع كل ما في هذا التصنيف من ثغرات كانت الوسيلة التي أظهرت مرونة الإدارة الحاكمة في سنكيانغ أكثر من سياسة الصين السابقة، وهو في الواقع محاولة اقتباس حذر لما طبقها السوفيات تجاه أقليتهم في الاتحاد السوفياتي، وعلى أي حال لم يدم هذا الأمر طويلا، لأن شنغ كما تبين من تاريخه لم يكن تابعا جيدا للاتحاد السوفياتي أو لأفكاره، وكان التأكيد الوحيد في برنامجه هو تشجيع ثقافات أقلية الشعوب، الذي سمح لها بالاستقلال الثقافي بينما يضغط على الاستقلال السياسي أو الأقليمي، وظهر بالتأكيد ( خاصة في نظر حكومة شنغ ) أنه يهدف بهذا إلى تقوية سلطة الأقلية الصينية في سنكيانغ، وكان تصنيف شنغ في الواقع متأثر بالمفهوم السياسي وإن لم يكن دقيقا وعلميا، فعلى الأقل يمثل عصر الإمبراطوريات القديمة.

وقد احتضن تشانغ شي تشونغ هذا البرنامج الذي نفذه شنغ شيه تساي عندما أصبح حاكما على سنكيانغ، وكان مثل سلفه أكثر إصرارا على تأكيد الاختلافات الثقافية بين القوميات الأربع عشر، وبخلاف جمعية سي.سي. الحاكمة يبدو أن تشانغ وافق على منح شعوب سنكيانغ قاعدة من الحكم الذاتي بدلا من وحدات إدارية مثل المناطق فقد قال: إن إدارة سنكيانغ يجب أن تعهد إلى الجماعات العرقية المختلفة، ويجب أن تعمل بقيادة الزعماء الوطنيين في سنكيانغ<sup>(1)</sup>، وهذه الجملة تعكس حقيقة أن تقسيمات سنكيانغ الإدارية لا تتطابق مع توزع الجماعات العرقية المختلفة، وتظهر قيود الحكم الذاتي من الآتي:

<sup>1</sup> - Chang Chih-chung, Dikemma in Sinkiang "Pacific Affairs, XX. New York, 1947, p.426

تؤكد الحكومة الصينية المركزية أن تخضع لها جميع القوى السياسية لشعوب سنكيانغ، وأن لا تؤدي الأراضي والسلطة القومية الذاتية إلى انفصال الأقليم، وزوال سيادة الحكم المركزي، الذي لن يتسامح بالأمر التي تؤدي إلى الإضرار بوحدة الأراضي الصينية أو سيادة الدولة ولو أدى ذلك إلى الحرب<sup>(1)</sup>.

وفي مواجهة سياسة الصين المشار إليها بعاليه تزعم مجموعة من الزعماء الوطنيين الدعوة إلى "القومية التركية"، وهم يهتمون بشعوب سنكيانغ في إطار يهدف إلى تقوية سلطتهم على جميع الشعوب المستوطنة ضمن حدود المقاطعة، ومن أوائل هؤلاء الزعماء الحاكم المنتدب من الكومنتانغ الدكتور مسعود صبري الأويغوري الثري والتاجر في غولجه، ويمثله في الشهرة محمد أمين الأويغوري الذي درس عدة أعوام في تركيا، ويعد من أشهر زعماء سنكيانغ البارزين<sup>(2)</sup>.

وعلى رأي مسعود وأمين لا تضم الصين أمة واحدة أو قومية واحدة منفردة، كما أن سنكيانغ لا تضم أربع عشرة مجموعة من الشعوب أو قوميات أو أي مصطلح آخر حسب تصنيف حكومة الصين، وعلى رأيهما فإن مصطلح القومية الذي يستعملانها على تصنيف شعوب سنكيانغ لا بد أن تقوم في نظرهما على الأسس التالية:

- 1- وحدة اللغة، 2- وحدة الأرض، 3- تشابه العادات والتقاليد، 4- وحدة الهدف، 5- وحدة العقيدة، 6- وحدة العنصر، 7- وحدة الملابس والتزين، بالإضافة إلى عناصر أخرى مثل روابط القرابة.

<sup>1</sup> - Ibid, p.428

<sup>2</sup> - بشأن آراء هؤلاء الزعماء انظر محلة التاي:

وعلى أسس هذه المعايير استنتج الزعيمون أن الجماعات السبع الذين صنفهم شنغ شيه تساي بالأويغور والقازاق والقيرغيز والتارنجي والأوزبك والتتار والتاجيك لا يشكلون إلا قومية واحدة، وفي رأيهما أن هذه الجماعات تشكل "الشعب التركي" على الرغم أن التاجيك لا يتكلمون اللغة التركية بل الإيرانية.

وقد عرض كل من مسعود وأمين المصطلحات مثل الأويغور والقازاق على المجموعات الأخرى، وأنه يجب تصنيفها قبائل لأنها جميعا أعضاء ومنحدرون من الشعب التركي الذي عرفت دولته مثل (هسي يونغ نو Hsiung-nu) و (يوه تشيه Yueh – chih)، والشعب التركي الذي ذكرهما يشكل تسع أعشار سكان سنكيانغ، بينما العشر الباقي ينقسم إلى ثلاث قوميات وهي: الصينية والمانشورية والمغولية، والقومية الصينية تضم جماعتين كان شنغ صنفهما بالصينيين والمسلمين، ومصطلح (مسلم) هنا مرادف لاسم (تونكان) وهم مسلمون عقيدة وصينيون لغة؛ وأما المانشورية تضم: المانشور والسيبو والسولون وهم الذين صنفهم شنغ قوميات منفردة، وأما الروس في قائمة شنغ قد يكونون القومية الخامسة، مع أنهما يعترضان على ذلك، لأن الروس في سنكيانغ هم مواطنون للاتحاد السوفياتي وليست لجمهورية الصين الوطنية.

ومفهوم القومية التركية بهذا المعنى العلمي ظهر من عمل دعائها مع الحكومة الصينية من جهة ومن جهة أخرى من احتكاكها مع القوميات الأخرى في سنكيانغ، وقد انعكس هذه المجاذبات في الاستعمالات العلمية في مطالب القوميين الأتراك في الانتخابات الوطنية، وفي النقاش الذي دار بين لي تونغ فانغ Li Tung-fang مع محمد أمين الذي انكر رغبة الأتراك في "الاستقلال" وأنهم لا يريدون حتى "الاستقلال الذاتي" والذي ذكره منحت للأقليات في الصين بموجب بيان

سون يات سن في اجتماع الكومنتانغ الأول في عام 1924م، وهو مع القوميين الأتراك لا يريدون أكثر من حق "الحكومة الذاتية"، بينما يطالبون إدارة الحكومة الذاتية لأنفسهم، وبشدة تعلقهم بالوطنية التركية لا يريدون التخلي عن هذا الحق لقوميات أخرى، ولأن الأتراك ينتشرون في كل بقعة من سنكيانغ، وأن اسم المقاطعة يجب أن يتغير إلى أحد الاسماء التي تعكس انتشارهم الشامل متجاهلين مصالح القوميات الأخرى، وعلى هذا فهم يطالبون تسمية جميع سنكيانغ باسم "تركستان" رسمياً.

وهكذا إن دعاة القومية التركية يعرضون اتجاهين متناقضين، فهم يرون قبول التبعية للأغلبية الصينية في جمهورية الصين، غير أنهم يريدون الحصول على مراكز القوى على جميع سكان سنكيانغ، وفي هذه المسألة يتنازع القوميون الأتراك مع حكومة الصين، ولكن درجة الخلاف السياسي بينها التي يمثلها لي تونغ فانغ Li Tung-fang وبين القوميين الأتراك الذين يمثلهم محمد أمين ومسعود لا يمكن المبالغة فيه، فقد كان بينهما اتفاق، ذلك أنه تم تعيين مسعود صبري حاكماً عاماً على سنكيانغ من قبل الكومنتانغ وهو عضوفي جمعية سي.سي.

وفي مقابل هاتين النظريتين الصينية والتركية نشأت نظرية "الفيدرالية" التي تدعو إلى وحدة الأراضي والثقافة، وتقضي على الخصومات القائمة بين الجماعات المختلفة ثقافياً وعرقياً وجنسياً، وعلى الرغم أن الكثير في الصين نفسها وزعماء الأقليات القومية رحبت بالفيدرالية رغبة في معالجة الخصومات، ولكن الصينيين الشيوعيين لهم كان رأي آخر في تنفيذ نظرية وبرنامج الفيدرالية، إذ يرون التأكيد على أهمية الأخذ بالفوارق والاختلافات.

فقد اقتبس الشيوعيون الصينيون النظريات السوفييتية التي

تعتمد على تعريف ستالين القائل: إن الشعب تطور تاريخي ووحدات لغوية وأقليمية واقتصادية ونفسية ثابتة تجمعت في الوحدة الثقافية، وعلى ضوء هذا التعريف فالجمهورية الصينية تتكون من قوميات عديدة مختلفة، والصينيون يكونون الأغلبية الحاكمة، والقوميات الأخرى تشكل أقليات ومنها: المغول - التبتيون - يي Yi-مياو Miao - ياو Yao - خوي Hui، واستعمال خوي Hui على جميع المسلمين بدون تمييز بين المسلمين الصينيين (تونكان) والمسلمين الأتراك.

وبالرغم من دقة الشيوعيين في تعريف القومية، لكن لم يكن لهم التزام على تنفيذ آرائهم على تحديد القوميات، أو العمل على إيجاد ديمقراطية شيوعية متكاملة في سنكيانغ، وكذلك لم تتطرق مناقشاتهم موضوع الوحدات الإدارية التي تعمل تحت قيادتهم تنفيذ سياسة القومية الفيدرالية، وعلى أي حال ظهرت مخططاتهم العامة تجاه شعوب جمهورية الصين في الاجتماع الذي ضم الشيوعيين الصينيين في عام 1930م، كما يتضح من القرار الثاني<sup>(1)</sup>:

"في مناطق منغوليا و التبت وسنكيانغ و يوننان Yunnan كويتشو Kweichow حيث أغلبية السكان قومية غير صينية، فمن حق هذه الجماعات الكادحة أن يكون لها حق الاختيار الذاتي، عما إذا يريدون الانفصال عن جمهورية الصين الشيوعية وتأسيس دولة مستقلة لها، أو يريدون الانضمام إلى جمهوريات الاتحاد السوفياتي، أو يكون لها حكومة ذاتية مستقلة ضمن الصين الشيوعية"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - The Soviets in China, Moscow ,1933, p.440 (in Russian)

<sup>2</sup> - في هذا القرار أعلن الشيوعيون الصينيون بمبدأ حق الانفصال، وفي خطاب 24 أغسطس 1945م، في سياق الاعتراف بجمهورية منغوليا الشعبية

وقد تخلى الشيوعيون الصينيون عن النظام الاشتراكي بدعوى "الديمقراطية الجديدة" ولم يكن لهم عمل إيجابي في سياستهم تجاه الأقليات القومية، وفي اجتماع الحزب الشيوعي عام 1945م صرح ماوتسي تونغ: (أن الصينيين يهدفون إلى معاملة أفضل مع الأقليات القومية في الصين، وبناء على هذا فإن حق الحكم الذاتي وتكوين الوحدة مع الصينيين من المواضيع المستعجلة) ولكن ماو فشل في تنفيذ الحقوق الأولية التي منحت حق الانفصال التي قد تعني وجود فكرة وحدة الدول الوطنية باسم "الجمهوريات الديمقراطية المتحدة" من البداية<sup>(1)</sup>.

وتأكدت الضرورة إلى إيجاد نوع من الترتيب الفيدرالي بسبب استمرار الثورات المسلحة التي نتجت عن ضغط القومية المحلية، وثورة غولجه التي سبق ذكرها في الفصل الثالث كانت من هذا النوع، وتميزت أنها شطرت الحركة القومية الأويغورية إلى اتجاهين رئيسيين: الإتجاه الأول، يتزعمه الحاكم مسعود صبري وبرهان شهيدي ومحمد أمين وعيسى بك، وهم زعماء مشهورون لدعاة الوحدة الأويغورية، ولكنهم ينحازون إلى الصين ضد ثوار غولجه، والاتجاه الثاني ويتزعمه أحمد جان ويؤكد على مطالب ثوار غولجه، ويقف ضد الصينيين وأتباعهم، وقد تفاقم هذا الانشقاق في أغسطس

---

اعترف شيانغ كاي شيك أيضا بحق الانفصال ليس للمغول فحسب بل لجميع الأقليات غير الصينية الأخرى، وقد كرر هذا الرأي فيما بعد في كتابه (قدر الصين) وفي مناسبات أخرى أيضا، وبهذا يكون الرئيس شيانغ والشيوعيون يتفقون مبدئيا على حق الانفصال، ولكن لم يعمل دعاة الاندماج الصيني والقوميون الأتراك بهذا الحق.

<sup>1</sup> - Mao Tze-tung, The Flight for a New China, New York, New York 1945, pp.35 and 44

1947م.

ومجموعة زعماء الأويغور المعروفين بميولهم نحو التقارب مع الصينيين ضمن حركة القومية التركية سبق ذكرهم في مقدمة هذا الفصل. وأما الأويغور المؤيدين لثوار غولجه تبين لهم أن القومية التركية ستكون حجر عثرة في طريق تعاونهم مع القوميات الأخرى، وانتهاز أحمد جان الفرصة وقضى على سوء التفاهم باكتساب تأييد القازاق لحركة غولجه الائتلافية، ونال قسطا كبيرا من التقدير وكان قد تجاهلهم في السابق.

ولم يظهر زعماء ثوار غولجه معارضة واضحة لآراء زعماء القوميين الأتراك مثل مسعود صبري، كما لم تكن لهم آراء واضحة عن سياستهم القومية وأهدافهم، (وتنقصنا المعلومات الكافية عن مدى معارضتهم لسياسة حكام الصينيين القدماء التي أدت إلى تبنيتهم فكرة الفيدرالية المعززة من قبل الصينيين الشيوعيين)، ويظهر من النظام الأول لثوار غولجه أنهم يهدفون إلى الاستقلال التام، كما يعني ذلك استعمال "جمهورية تركستان الشرقية"، ولكن معاهدة غولجه أسقطت كلمة "جمهورية"، وفي 16 أكتوبر 1947م أكد زعماء ثوار غولجه على عدم استخدامهم لأي مصطلح مباشر أو غير مباشر، علني أو سري يؤدي إلى التعبير عن انفصال سنكيانغ عن جمهورية الصين، وأنكر أحمد جان وجود رغبة الانفصال قائلا: ( المشكلة اليوم هي التأكيد على الوحدة القومية وتنفيذ سياسة ديمقراطية فعالة، لا تهدف إلى تسلط شعب أو جماعة على شعوب أو جماعات أخرى، والحكومة الذاتية الوطنية تهدف إلى بسط سلطة كاملة في مقاطعتنا بقوة تنفيذية عامة، ليس بإشراف الأويغور أو الجنس التركي فقط، بل بوحدة جميع شعوب مقاطعتنا وعبر تحقيق السياسة الديمقراطية) (1).

<sup>1</sup> - Sin Cang Gezeti, February 19, 1947 (in Uighur)



ولم يظهر المناضلون الأويغور إلى أي عمل جدي سوى رغبتهم على حفظ كياناتهم في داخل الدولة الصينية، وتتجلى مقاومتهم في الانتخابات التي تمت بعيدا عن التخويف الصيني الذي حاول ترويع الأهالي بتأكيدات تقول: ( نملك القنبلة الذرية)<sup>(1)</sup>، وأن ( 80 000 جندي أمريكي سيدخل سنكيانغ لفرض النظام )<sup>(2)</sup>، وأما الزعامة الوطنية فقد عملت من خلال مجالس الشعب على تحقيق بعض مطالب الأهالي، ومن ذلك رغبتهم في استعمال لغتهم الخاصة، حيث كان الأويغور أكثر حرصا على ذلك، فقد جاء في المادة الثالثة من معاهدة غولجه الفاشلة: (إن اللغتين الصينية والأويغورية تستعملان في جميع الوثائق الرسمية، وأن العروض تقدم في لغة مقدم الاستدعاء)، وفي المادة الرابعة منها: (إن التعليم الابتدائي والمتوسطي سيكون بلغة الطلبة، وتعلم اللغة الصينية إجباري في المدارس المتوسطة، وأما التعليم العالي سيكون بالصينية أو الأويغورية طبقا لظروف الطالب).

وهذه المواد أكدت على مطالب الأويغور (والأقليات الأخرى في سنكيانغ على حفظ ثقافتهم، وتحقيق رغبتهم بالاحتفاظ على لغتهم وأديبهم وتقاليدهم من الهيمنة الصينية).

وقد طالبت جميع الأحزاب السياسية الأويغورية بالحرية الدينية أيضا، ورفرف العلم الإسلامي الذي يحمل الهلال والنجم على قماش أحمر على المدارس في غولجه وجوجاك، ولكن بعد الانشقاق الذي حدث بين غولجه وأورومجي طلب تشانغ تشي تشونغ من ثوار غولجه لأيضاح أهدافهم على رفع أعلام تعكس أطيافهم القومية على المدارس ومعسكرات

<sup>1</sup> - Ibid.Loc, cit

<sup>2</sup> -Sin Cang Gezeti, Feb. 12 and 13 1947 (in Uighur)

الجيش.

ويظهر أن الحركة الوطنية بين الأويغور لم تصل إلى ثورة نضالية تشبه ما قامت به فيت مينه Viet Minh والجماعات الأخرى في الشرق الأقصى؛ لأن طلب الأويغور كان يتركز على نوع من الحريات التي تكفل لهم كيانهم الشعبي الواحد تحت حكومة ذاتية ينتخبون رجالها، ولم يمانع بعض زعماء الأويغور في انضمام شعوب أخرى معهم وقد ضمت حركاتهم بعض الصينيين.

وأخذاً في الاعتبار بتاريخ سنكيانغ القديم وأهداف الثورات الحديثة في المقاطعة تشير كلها أن مطالب شعوبها لن يتم تحقيقها إلا بتطبيق نوع من الاستقلال الأقليمي والثقافي على الأقل، وهذا يعتمد على أن تصل الأقليات إلى توافقات مع الأغلبية الصينية في الدولة، ولكن يبدو أن سلسلة الخلافات كبيرة بحيث يعقد توافق القوميات على تحديد مطالبها وتحقيق الديمقراطية.

والموضوع ليس بالسهل الذي يتصوره الباحث الذي يهتم فقط بتصنيف شعوب المقاطعة؛ لأن تصنيف الشعوب يواجه ندرة المعلومات، وتعقد العواطف الوطنية التي يتسلط عليها المفكرون القوميون، وصعوبة الحصول على المعلومات المادية التي تلقي الضوء على تحليل السكان، وفي هذا الجانب يمكن أن يقدم جدول اللغات بعض الصفات الإجمالية التي تميز شعب عن آخر، ويلاحظ أن معظم متكلمي اللغات العشر (الأوبغور- القازاق- القيرغيز- المغول- الإيرانيون- الصينيون- الروس - المانشور - الاوزبك - التتار) لا يجدون صعوبة التفاهم.

والأويغور المسلمون الذين يتكلمون أحد اللهجات الأويغورية واضحة التفاهم فيما بينهم وينتمون إلى عائلة أدبية وفنية واحدة، ويعيشون عموماً حياة زراعية ويشتركون في تاريخ واحد، و يشكلون 95% من السكان في حوض تاريم (حيث

يتركز 90 % منهم) وفي مراكز أخرى يظهرون كثيرا من الوحدة القومية، و في الطرف الآخر يوجد الصينيون في سنكيانغ وثلثهم مسلمون، بينما الثلثان منهم يعتقدون البوذية التاوية والكونفوشيسية، وتؤكد الحكم التاوية والطقوس الدينية أهمية الدين في حياة معظم الصينيين، وهم لا يشكلون أغلبية سكانية في منطقة ما، وينقسمون إلى جماعات متضاربة الولاء.

وموضوع الروابط التي توحد المسلمين الصينيين والصينيين الملحدين في قومية مشتركة واحدة موضوع خلاف<sup>(1)</sup>، ويحوم الغموض أيضا بقية شعوب السكان، ويتضح أن قوة الوحدة اللغوية بين الصينيين المسلمين وغير المسلمين منهم أقوى مما يفرقهم الدين، وحينئذ يبدو أن جدول اللغات الذي يحتوي على الصفات المحددة على توزيع السكان إلى عشر قوميات واقعا.

زمن بين الجماعات الغوية العشرة في سنكيانغ يشكل الأويغور 80% من سكانها، والجماعة الكبيرة التي تليهم هم القازاق ويشكلون أغلبية قزمية في شمال غرب سنكيانغ على حدود جمهورية قازاقستان السوفياتية وعلى طول حدودها مع منغوليا، كما أن القيرغيز يكونون الجزء الأكبر من سكان المرتفعات على حدود جمهورية قيرغيزستان السوفياتية كما ينتشرون على مرتفعات بامير، ويشكل المغول الأغلبية السكانية في شمال شرق سنكيانغ على حدود جمهورية منغوليا الشعبية، وكذلك يتواجدون على مرتفعات جبال تيان

1 - المسلمون الصينيون في سنكيانغ ظروفهم حرجة لأن تأييدهم لمسلمي المقاطعة يدفع حكومة الصين إلى اتهامهم بالخيانة لأنهم صينيون تم تجريدهم من مناصبهم ومعاملتهم بالخيانة، وانحيازهم إلى حكومة الصين اعتبرهم المسلمون أيضا خونة و منافقون وعملاء.

## شن في وسط المقاطعة.

وأما الإيرانيون والذين يعرفون بالتاجيك أو ساري كول فهم أقلية بالنسبة لشعوب سنكيانغ، إلا أنهم يكونون الجزء الأكبر من سكان وادي تاشقورغان المتاخمة لجمهورية تاجيكستان السوفياتية.

الأويغور والقازاق والقيرغيز والإيرانيون يتميز كل منهم بحقيقة تكوين الأغلبية السكانية في مناطق محددة، وأقلية في أجزاء أخرى من المقاطعة، وفي المقابل فإن بقية الشعوب لا تكون أي واحدة منها أغلبية سكانية في أي مكان من المقاطعة، بل في أحسن الأحوال هي أغليات محلية منعزلة في القرى والمدن، مثل مسألة الصينيين الذين يشكلون ثلثي سكان العاصمة اورومجي، في حين أن الصينيين والروس والمانشور والأوزبك والتتار شعوب تنقصهم جميعا مناطق إقليمية خاصة بهم، بينما الأويغور والقازاق والقيرغيز والمغول والإيرانيين قوميات تعيش في مناطق خاصة، وهي قابلة على التطور بمعنى الشعور الوطني المرتبط بالأرض.

## القوميات وصفاتها

### 1- الأويغور الأغلبية القومية في سنكيانغ:

فقد تطور استعمال اسم الأويغور في الأعوام الحديثة، وقد ظهر تاريخيا في سجلات عائلة تانغ الملكية ( 618-907م) في الصين اسما على اتحاد قبلي لقبائل الرعاة القاطنين على طول نهر سلينغا Selenga الذي يقع في الجزء الشمالي لجمهورية منغوليا الشعبية، وخلال الأعوام 745 - 840م تمكن قوات الاتحاد من غزو آسيا الداخلية وبسط سيادتهم على شمال

وجنوب جبال تيان شان، ولكن قبائل الفيرغيز الآتون من منطقة بيكال ينسي Baikal Yenisei قضت على دولة الأويغور في اورخون في عام 840 م و تراجع بعض الأويغور من الجنوب الغربي إلى شمال تيان شان، واحتلت مجموعهم الكثيرة ألواحات الشمالية وبسطت سيادتهم على السكان المستوطنين، وتورد الوثائق الصينية اسم الأويغور على شكل: خوي - خو Hui-hu، ووي - وو - اره Wei-wu- erh وبالتالي ظهر اسم خوي Hui أو خوي-خوي Hui-hui الاسم الصيني الشائع على عموم المسلمين.

والشعب أو الشعوب التي احتضنت الأويغور واستوعبتهم اكتسبت اسم الأويغور، بينما كانت تزاوّل حضارات متنوعة استمرت لأكثر من 500 عام تقريبا، وقد اكتشفت في ألواحات بأقصى شرق سنكيانغ ووثائق مكتوبة بالحروف الصغدية يعود تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد، كما اكتشفت أن لغات هذه الوثائق تنتمي إلى مجموعة الهندو-إيرانية، مع أن الصغد يتمركزون في سمرقند وبخارى، إلا أن لغاتهم كانت منتشرة في آسيا الداخلية خاصة بواسطة التجار، وتوقفت واحة خوتن من تدوين الوثائق باللغة التوخارية Tokharian ولغة الساكا Saka وكلتاها تنتمي إلى مجموعة الهندو- إيرانية التي كانتا مستعملة فيها فيما بين 200-40 م. التي كتبت بالخط الخاروشي Kharoshthi الذي أتى من الهند، وحضارة ساكا تتصل بثقافة دولة الكوشان التي كانت في شمال غرب الهند وتظهر مؤثرات الهلينية، وفي نفس الوقت ازدهرت في واحتي كوجار وتورفان حضارة استعملت اللغة التوخارية أيضا، والمثير في هذه اللغة أنها تنتمي مثل اللغات الهندو- إيرانية إلى عائلة اللغات الهندو- أوروبية، ولكنها أكثر ارتباطا بمجموعة لغات "كنتوم Kentum" المنطوقة في غرب أوروبا أكثر من اتصالها بلغات الشرق الأقصى.

بالإضافة إلى حديثهم باللغات الهندو-إيرانية تميز شعوب ما قبل الأويغور بشغفهم بالبوذية والمناوية، وبالفن البوذي - اليوناني، وأهم المكتشفات الفنية والأدبية في حوض تاريم تبين ارتباطهم بهذه الديانات.

وعندما دخل الأويغور منطقة حوض تاريم كان جماعة منهم قد اعتنق المناوية بواسطة التجار الصغد، وبعد اتصالهم بالشعوب المستوطنة فيها تحول كثير منهم إلى البوذية، وبالمقابل انتشرت لغتهم بين الأهالي، ثم كلتا الجماعتين تأثرت بالمسيحية النسطورية لاحقا. وأخيرا أصبح الإسلام الدين المسيطر على جميع المنطقة، لقد كانت مدينة كاشغر أول مدينة اعتنقت

الإسلام في القرن العاشر، إلا أن الإسلام انتشر ببطيء ولم يُقَضَ على البوذية حتى القرن السادس عشر.

انتهت فترة حكم الأويغور في الربع الأول من القرن الثاني عشر على أثر توسع حكم قراخيتاي الذي قضى عليه جنكيزخان في بداية القرن الثالث عشر، واستمر حكم خانات المغول على المنطقة حتى سقوط عائلة يوان Yuan المغولية في الصين، وتميز حكم المغول بثنائية إدارة الحكم، فقد احتفظ الأمراء الوطنيون والزعماء الدينيون وشيوخ ألواحات بقدر ملحوظ من سلطتهم، ومع انهيار المغول قبض الشيوخ المسلمون المعروفون بالخجوات على زمام الحكم تماما في عام 1566م، وبهذا نشأت دولة ثيوقراطية، واستمر نفوذهم حتى بعد غزو المغول الجونغار عام 1650م، وبعد غزو المانشور لجونغاريا في عام 1756م.

وفي تاريخ سنكيانغ يظهر الأويغور أنه الشعب الوحيد الذي قدم إليها، ويصرف النظر عن واقعية الاندماج مع السكان المستوطنيين، وتمكن الأويغور من فرض لغتهم على الشعوب الأخرى، ولكن لا ينبغي المبالغة في تعظيم نتائج تأثيرهم؛ لأن سكان حوض تاريم الحالي من الناحية الطبيعية أكثر ارتباطا بالعنصر الألبى من العنصر المغولي، لأن ثقافة السكان الحاليين وأسلوب حياتهم مع الصفات الأخرى لا تتصل إلا قليلا بالأويغور القادمين إليها من منغوليا في القرن التاسع.

وقد تجدد استعمال اسم "الأويغور" في سنكيانغ مع أن اللغة الأويغورية يستعملها الشعب الذي يسمى نفسه أويغور ما هو إلا توجهات سياسية رئيسة.

وفي عهد عائلة مينغ Ming عند ما كانت علاقة الصينيين بالمنطقة ضعيفا كانت في إدارة الترجمة قسم باسم سزو أي كوان Szu I Kuan يتعامل بشؤون المسلمين عموما، وقسم آخر يختص بشعب "كاو-تشانغ Kao-Ch`ang" ويعني تورفان الذي اعتبرتهم عائلة مينغ الصينية أنهم شعب الأويغور، وفي عهد حكم المانشور عرف سكان حوض تاريم في وثائقهم غالبا باسم "تشان خوي Ch`an Hui" يعني المسلمون ذو العمائم، وأما الصينيون في كلامهم وحديثهم سموهم "تشان - تو Ch`an-t`ou"، وأما الأجانب القادمون إلى المنطقة منذ القرن التاسع عشر فقد سموا السكان "تركا" أو "سارت" والمنطقة "تركستان"، واستعمل الروس كلمة "سارت" الشائعة في آسيا الداخلية على الشعوب المستوطنة الناطقة بالتركية عموما.

واتخذ جغرافيو العرب كلمة "تركستان" المصطلح الفارسي الذي يعني "

أرض الأتراك" في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين على منطقة شمال غرب سيرادريا، واستعملها الروس أخيرا اسما على تعريف ممتلكاتهم في آسيا الوسطى، واستعملت أيضا اسما إداريا على جزء من أفغانستان، وأما البريطانيون فأطلقوه على آسيا الوسطى الصينية، مع أن هذا الاسم لا يعني اسما إداريا، وسموا السكان بالأتراك.

وفي الاجتماع الذي عقد في تاشكند في عام 1921م، طلب المهاجرون من حوض تاريم القاطنين في آسيا الوسطى استعمال اسم "الأويغور"، وفي عام 1934م تلقت حكومة سنكيانغ الإقليمية طلبا من جمعية تشجيع التعليم الأويغوري على استعمال الاسم، وأذيع قرار تضمن هذا الاسم بتوقيع الحاكم شنغ تشيه تساي وخوجه نياز الزعيم الوطني الذي كان وسيلة لإنهاء جمهورية تركستان الشرقية في منطقة تورفان في الثلاثينات من القرن الماضي، وقد أدى ذلك إلى تزايد انتشار اسم الأويغور، وكان هذا مقياس على زيادة الشعور الوطني بين أفراد الشعب الذي كان يتسمى بالكاشغري والتورفاني الذين يمثلون سكان واحات مخصوصة منذ قرون عدة.

وإن أهم الواحات في حوض تاريم هي تجمعات أغلبية أيغورية خاصة في جنوب تيان شان، ولكن في شمالها فهم لا يكونون إلا أقلية، وقد تذوب شخصيتهم بين الشعوب الأخرى، وكان حوض جونغاريا تاريخيا المنفذ الرئيس لجموع المهاجرين، وهذا يفسر أسباب اختلاط شعوب الشمال، ويتكون سكان حوض جونغاريا الحاليون من مهاجرين جدد تقريبا، فبعد احتلال المانشور له في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أبادت القوات المانشورية 30% من سكانه، ومات 40% منهم نتيجة الأوبئة والجوع وهرب 20% منهم، ثم استهدفت السياسة الاستعمارية على توطين هذه المنطقة بنقل جماعات من الأويغور والصينيين والمغول، وعرف المهجرون الأويغور إلى منطقة إيلي باسم "التارنجي" أي: المزارعون في تلك الفترة، وصنفهم شنغ تشيه تساي قومية مستقلة ضمن القوميات الأربع عشر، وفرق بين هؤلاء التارنجي وهم من أصل الأويغور عن بقية الأويغور حتى يمنع وحدتهم السياسية.

والأويغور جميعا يشتركون في لغة واحدة ماعدا لهجات محلية مختلفة بسيطة، كما تكتب بالأحرف العربية التي تناسب معها من أي لغة تركية

أخرى، لذا لم تتأثر بالحركة التي قام كمال أتاتورك في تركيا أو التطور الذي حدث في الاتحاد السوفياتي في -20-30 القرن العشرين الماضي لاستعمال حروف مستمدة من اللاتينية والسلافية، بيد أنه كانت هناك بعض الاقتراحات البسيطة في الأحرف العربية منها الأحرف الصوتية مقترحين أن تكتب كلها كما تلفظ، و اقتراح آخر أن تكتب اللغة كما تنطق بها، ولكن ذلك واجه مشكلة الاتفاق على اللهجة التي تكون معيارا واحدا ومستعملا بين الجميع.

واللغة الأويغورية هي أحد مظاهر وحدتهم، مع أن جميع السكان يعتمدون على الزراعة والمهن الأخرى، ولكن يستثنى منهم الدولان الذين يعيشون على الرعي على طول نهري تاريم وياركند، وقد يكون هؤلاء ظهر من الاندماج مع آخر، مع أنهم يتكلمون الأويغورية، إلا أن أصلهم يعود إلى قبيلة القبجاق أحد قبائل القازاق الوسطى (وينتسب قازاق سنكيانغ إلى القبائل الشرقية) ولكن يكتنف قرابة الدولان بهم غموضا، لأن نسانهم يضعن غطاء مميز على رؤوسهن مثل التي تستعملها نساء القييرغيز، ولا تزال هناك جماعة صغيرة تتكلم الأويغورية الدارجة، وهم المعروفون باللوب (لوب ليق) الذين يعيشون في منطقة لوب نور، وتتميز حياتهم بالاعتماد على صيد السمك<sup>(1)</sup>.

ويعيش الأويغور في جماعات متناثرة بين الحقول أو في المنازل على طول شوارع ضيقة في الواحات أو المدن، وتتكون منازلهم عادة من غرف مبنية باللبن حول فناء مفتوح، وفي الصيف يقضون معظم أوقات النهار في أسواق مفتوحة أو شوارع مظلة بالأشجار المشهورة.

ويشتهر الأويغور بالخمول وحب اللهو مع الهيام بالموسيقى والمسرح والأكل الجيد، وقد لاحظ الرحالة ماركو بولو اهتمامهم الشديد بالأمور الجنسية والطلاق من الأمور السهلة، والقروض المؤقتة شائعة، ونظام الأسرة غير مستقر بين الشعوب التي تدين بالإسلام.

ويتفاوت التأثير الديني على السكان، ويتقلد رجال الدين أهم المراكز في الحياة الإسلامية، والتي توارثوها من أجيال طويلة، وينتسب معظمهم إلى الملاك الإقطاعين والموظفين الذين يسيطرون على المجتمع الأويغوري، وغير مستغرب على الطبقة العليا غيرتهم على الإسلام، وأما الطبقات الفقيرة يختلفون في حماسهم الديني واحترام رجال الدين، ويقول مثلهم: (افعل ما يقوله العالم ولا تفعل عمله).

<sup>1</sup> - Katanov- Menges



وتؤكد العلاقة الوثيقة بين الطبقة العليا ورجال الدين على أهمية الدين والفنون الأدبية التي تتضمن مواضيع دينية وأخلاقية، والأدب الأويغوري الماضي والحاضر يؤكد دور الدين في مقاومة الأويغور لاضطهاد الصينيين والحكام الأوانل لهم.

## 2 - القوميات الأخرى ذات الأقليم الخاص:

### القازاق:

ويبلغ عدد القازاق في سنكيانغ رسمياً 318 716 نسمة، ويتصلون تاريخياً بشعب جمهورية قازاقستان السوفياتية في الاتحاد السوفياتي، وقد ظهر شعب القازاق حديثاً في التاريخ، وكان في الأصل من الأولوس Ulus أو من عائلة جغتاي أحد أبناء جنكيزخان، ثم أصبح جزءاً من خانية أوزبك أحد حلفاء أولوس أو جزء من مملكة جوجي أصغر أبناء جنكيزخان التي يسميها الروس القبيلة الذهبية، وقد عانت خانية الأوزبك الانقسامات المستمرة بين زعماء القبائل والسلطين، وفي منتصف القرن الخامس عشر غادر سلطانان من قبيلة باراك التي كانت من آوى معارضي الخان أبو الخير حاكم خانية الأوزبك، وانتقلا إلى خانية مغولستان المجاورة مع قبيلتيهما، وكان خان المغول يحكم المنطقة التي تمتد من شرق تاشكند إلى جونغاريا، وكانا يأملان أن يتخذهما حلفاء ضد منافسه خان الأوزبك، ووضعهم على طول الأراضي الرعوية الممتدة من شمال نهر جو إلى غرب نهر ساري سو، وهذا التحول لهذه المجموعة الصغيرة إلى وحدة وطنية وسياسية لم تكتمل حتى نهاية القرن الخامس عشر، عندما غزا الأوزبك ألواحات الجنوبية لآسيا الداخلية، ومن خلال حياتهم الوثيقة مع سكان ألواحات المستقرين تغيرت حياتهم الرعوية، وفي هذا الوقت انفصل عدد من القبائل عن خانية الأوزبك وبقيت في السهوب الشمالية، منضمين إلى القازاق الذين تحركت حدودهم نحو الغرب إلى ما يعرف اليوم بسهوب القازاق. والقازاق من أصول قبلية مختلفة عرقت بالقازاق الذي يعني

"الهارب أو الرجل الحر الذي عزل نفسه من قبيلته"، وبتحريف هذا الاسم حسب صوتيات اللغة السلافية إلى "كوساق Cossacks" استعمله الروس والأوكرانيون والبولنديون ومن ذلك "الروس الكوساق".

وفي القرن السادس عشر انقسمت خاتية القازاق التي أسست حديثاً إلى ثلاث دول في ائتلاف فضفاض نادر ما اتحدت تحت ضغط الحرب، وانهيار اتحادهم السابق جاء نتيجة اغتناء القازاق من غزواتهم لبعض ألواحات الجنوبية عند الأوزبك في القرن السادس عشر، مما دفع بعض سلاطين القبائل على عدم الاعتماد على الخان في الشؤون الاقتصادية والسياسية، ومن هذه الدول الثلاثة، كانت "الدولة القديمة Old Horde" التي وصلت أراضي مراعيها شرقاً إلى الحدود السوفياتية - الصينية في سنكيانغ.

وخلال القرنين 18 و 19 تمكن الروس من التسلل إلى أراضي القازاق ومع نهاية القرن التاسع عشر وقعت أراضي الدول الثلاثة فريسة الاستعمار الروسي، ما عدا الجزء الشرقي من الدولة القديمة الذي كان تحت سيطرة الصين، وحتى بعد رسم الحدود بين شعب القازاق في الغرب والمجموعة الصغيرة الصغيرة في الأراضي الصينية، وتعرضت المنطقة لكثير من التطورات التاريخية ولكن الرعاة بطبيعتهم لا يراعون لهذه الحدود التي شقت أراضيهم القبلي وهم يتنقلون عبرها ذهاباً وإياباً.

وأراضي القازاق الرعوية في سنكيانغ تقع على طول الحدود بين سنكيانغ وجمهورية قازاقستان السوفياتية الاشتراكية، وبين سنكيانغ وجمهورية منغوليا الشعبية، من نهري تكس وكونغوز في منطقة إيلي إلى الشمال الشرقي في منطقة جوكوجاك، ومنها إلى الجنوب الشرقي على طول التاي المغولية، وهناك أيضاً القازاق في الجانب الآخر من الحدود تحت سيادة جمهورية منغوليا الشعبية.

والقازاق قبائل رعوية ترعى الأغنام والماعز والمواشي والخيول والجمال، ويسكنون في الخيام من اللباد في الصيف، ولكن معظم القازاق في أكواخ طينية في الشتاء أو صناديق خشبية في المناطق

الجبليّة، وتعتبر الأغنام والماعز السلعة الاقتصادية، ويستخدمونهما وحدات في تبادل السلع، ويعتمد الفقراء منهم على الحليب والجبن أكثر من اعتمادهم على اللحم، وأما الأغنياء وملاك القطعان يأكلون اللحم كثيرا، ويدمغون جلود الماعز ويستعملونها مع الصوف في إعداد الملابس، وأما الأقمشة القطنية تستعمل للألبسة الخفيفة أو تلبس الملابس الجلدية، ويحصلون عليها من التجارة، كما يستعمل اللباد لتغطية سقوف الخيام المستديرة.

ويحتل الخيل أهمية خاصة عندهم، وبالأخص أيام الحرب، وقد نال التكريم في أغاني القازاق الشعبية لجماله وشجاعته وإخلاصه، ويحتفظ الغني منهم بقطعان من الخيل، وبخاصة الفرس حتى يتمكن من الاستفادة من حليبها لصنع مشروبه المخمر "القوميز".

ومثل جميع رعاة آسيا الداخلية يعرف القازاق أصول الزراعة، ويستأجر الأغنياء منهم الأويغور أو الصينيين لزرع الحبوب لهم في الأراضي المناسبة، وأما الفقراء منهم الذين لا يملكون قطعانا كبيرة من الأنعام يؤجرونها للأغنياء في الصيف، ويعملون هم في الزراعة وجمع الأعلاف للمواشي وتخزينها.

ومثل الرعاة الآخرين لا يتجول القازاق في السهول بحرية؛ ذلك لأن المراعي الصيفية تخص مجموعة من الأسر ضمن عشيرة ينتسب أفرادها إلى جد واحد، وهذه المراعي تقع ضمن أراضي واسعة حددتها سلطة عليا مثل القبيلة، وأما المراكز الشتوية تخص عادة عائلة واحدة غالبا ما تكون عائلة كبيرة عاش أفرادها معا، والهجرات الرئيسية تكون في الربيع من المراكز الشتوية إلى المراعي الصيفية، وفي الخريف من المراعي الصيفية إلى المراكز الشتوية، وأخطر الهجرات في الربيع عندما تكون القطعان ضعيفة بعد شتاء قارس، وعند ما يحل مواسم ولادة النعاج، وعند ما تهب العواصف في الربيع ويتسبب في تلف كبير.

وإيجاد المراكز الشتوية الجيدة أكثر صعوبة من إيجاد المراعي الصيفية؛ لأنه في الشتاء يجب أن تكون الملاجئ والطعام في متناول

اليد، وتوفر المراكز الشتوية والمراعي الصيفية المناسبة تقرران مقدار السكان التي تستوعبها منطقة القبيلة، وأما العائلات الغنية تستخدم القوى السياسية الحاكمة في العشيرة أو القبيلة لاختيار أجود المناطق الرعوية.

وبالرغم مما يحدث في المراكز الشتوية من الاضطرابات بين العشائر والقبائل، ويحدث أيضا في المقابل في الأراضي الزراعية الجيدة مشاكل بين القازاق والمغول والأويغور المستوطنين والمزارعين الصينيين.

والتطور الاقتصادي لقازاق سنكيانغ وقازاق الروس لم تتم إلا بعد قيام الثورة السوفياتية، ولم يتحسن الاقتصادي الرعوي لقازاق سنكيانغ كثيرا؛ لأن السلطات الصينية دعت الأويغور والصينيين للاستيطان في مناطقهم، وأما في الناحية السوفياتية من الحدود فقد تعدل الاقتصادي القبلي التقليدي كثيرا؛ لأن "التجمع العشائري" تم توجيهه إلى "التجمع الاشتراكي"، فالمراكز الشتوية والمراعي الصيفية تحولت إلى التجمع الاشتراكي، ولم تكن بالضرورة ترتبط إلى منسوبي العشائر، وقد تحسن سلالة الأنعام وتحسين الزراعة التي ترتبط بالاقتصاد الرعوي، بالإضافة إلى إدخال التصنيع في كل المجالات مثل مناجم الفحم والنحاس، وفي مناجم الفحم خاصة تم تشغيل عدد كبير من العمال القازاق، وقد أدى هذا التطور في الصناعة والزراعة وتربية الحيوانات إلى فتح فرص التعليم العالي والتدريب التقني.

وتتفرع لغة القازاق من مجموعة اللغات التركية للأسرة الألتائية، وهي ذات صلة وثيقة باللغات التركية في آسيا الداخلية والتركية العثمانية، ولغة قازاق سنكيانغ والسوفيات متماثلة تماما، وكان الأمية منتشرة بينهم في كلا الطرفين قبل الثورة الشيوعية، وكان المتعلمون قليلين، يوجدون في الطبقات العليا ورجال الدين، ويستعملون الأبجدية العربية التي لا تتناسب لأصول النطق في اللغات التركية، ولكن بعد الثورة البلشفية فرض عليهم استعمال الأبجدية اللاتينية مع حروف خاصة، ثم حل مكانها الأبجدية السلافية عام 1940م، التي

جاءت أيضا بحروف معدلة خاصة أيضا، وكانت مكافحة الأمية بطيئة في السنوات الأولى من النظام الشيوعي، وفي عام 1931م كان لا يزال 77% من القازاق أميين، ثم حدثت تغيرات سريعة صاحبة العمليات الجكاعية فكان 76,3% منهم أميا في عام 1939م.

ولم يتحول أكثر القازاق إلى الإسلام إلا في القرن السابع عشر الميلادي، ولم يلاحظ عليهم قبل ذلك تمسك كثير منهم بأحكام الإسلام في حياتهم اليومية، إذ لم تحتجب النساء أو تعتزل؛ لأن الحياة الرعوية تتطلب الأعمال التي يعيقها الحجاب، والرجال والنساء الآن يختلطون في كثير من الأعمال التي تتم في المعسكر، بالإضافة إلى جهلهم التام بتفاصيل الواجبات الإسلامية، ما عدا الامتناع عن أكل لحم الخنزير، ولا يلتزم كثير منهم بالصلوات والصوم وبالتالي يهملون ختان الأبناء.

### القيرعيز:

فقد كان هناك اختلاف ملحوظ على استعمال اسم القيرغيز، وأطلق الروس اسم "القيرعيز" (رغبة من الابتعاد من تداخل الأسماء مع القوازق الروس)، على كل من القازاق والقيرعيز معا، مع تمييز بينهما بإضافة "قرا- أسود" على القيرغيز الأصليين، و"اق- ابيض" على القازاق وسموهم "اق قيرغيز"، واستعمل هذا التمييز بينهما عند ما كان ذلك ضروريا، وأما في التعابير اليومية فكلا الشعبين يعرفون بالقيرعيز، ولكن مع ظهور مناطق الحكم الذاتي لكلا الشعبين منفصلين في الاتحاد السوفياتي ظهر الاختلاف جليا بين القيرغيز والقازاق، والقيرعيز مثل القازاق ينقسمون اليوم بحكم الحدود بين القيرغيز في سنكيانغ بالصين وجمهورية قيرغيزستان السوفياتية في الاتحاد السوفياتي، وحتى عصر الثورة السوفياتية كان التطور التاريخي لهم في كلا الجانبين من الحدود الصيني والروسي واحد تماما، ثم بظهور جمهورية قيرغيزستان الاشتراكية السوفياتية بدء تطور الشعب القيرغيزي في الجانبين من الحدود سريعا ومتنوعا، وبينما نظم الروس القيرغيز ضمن جماعات منظمة ونال درجة عالية

من الثقافة والسياسة الذاتية إلى حتما، فقد استمر قيرغيز سنكيانغ في حياتهم التقليدية.

وكان وطن القيرغيز الأصلي هو أعالي نهر ينسي، وتشير مصادر الصين القديمة إليهم باسم "جين-جون Chien-chun" حتى بداية القرن المسيحي، وأما الاسم القبلي أو العشائري "بوروت Burut" يبدو أنه استعمل على العنصر الشمالي، ويشير إلى علاقاتهم مع أجداد قبائل بوروت المغولية، وفي عام 840 م. تمكن القيرغيز من هزيمة الأويغور في منغوليا مما دفع الأويغور على الهجرة جنوبا إلى سنكيانغ، ثم جاءت هزيمتهم من قبل قراخيتاي في القرن العاشر، وعاد قسم منهم إلى بلادهم القديم حوض نهر ينسي بينما تحرك القسم الآخر في هجرات تدريجية نحو الجنوب حيث يقيمون اليوم، وجاء ذكرهم في المصادر التركية في القرن السادس عشر، واستعمرهم الروس مع القازاق في القرن التاسع عشر، ما عدا أولئك المقيمون تحت السيادة الصينية المانشورية.

ويصل تعداد قيرغيز سنكيانغ الرسمي إلى 65 248 نسمة، وهو شعب جبلي مثل أولئك الذين يقيمون على الجانب الآخر من الحدود في جمهورية قيرغيزستان، وينتشرون من وادي تكس في تيان شان إلى آقسو في الشرق، وعلى طول الحدود الجبلية الغربية بين سنكيانغ وروسيا إلى جبال بامير وقرا قورام.

والقيرغيز مثل القازاق قبائل رعوية ولكنها جبلية، في حين أن القازاق قبائل سهلية تقضي فصل الشتاء على حواف سفوح الجبال، ولعوائل خاصة مراكز شتوية، فالقيرغيز يؤسسون مراكزهم الشتوية على ضفاف الأنهار، ويشترك فيها جميع أفراد العشيرة، ويختلفون عن القازاق بأن مراعيهم الصيفية على سفوح الجبال، وتتحرك كل عشيرة بحرية بين المراكز الشتوية والمراعي الصيفية في المرتفعات، ولكن ضمن منطقة محدودة لكل عشيرة؛ لوجود عشائر أخرى في الوديان المجاورة، ويقوم اقتصادهم على منتوجات المواشي بشكل عام مثل القازاق تماما، ولكنهم يملكون الكثير من المواشي ذات القرون، والياك وهو حيوان مدرب على الرحلات

الجبليّة، والقيريغيز أقلّ غناء من القازاق من الناحية الحيوانية، ولكنهم أكثر خبرة في الزراعة والري.

وتتنمي لغة القيريغيز إلى اللغة الجغتائية التركية والأويغورية أكثر من القازاقية، ويتكلم قيريغيز السوفيات نفس اللغة في الجهة الأخرى من الحدود، والقيريغيز في سنكيانغ أميون، ويكتبون لغتهم بالأبجدية العربية فقط، وبينما هبط نسبة الأميين بين قيريغيز السوفيات لاستعمالهم الأبجدية القيريغيزية الحديثة المشتقة أصلا من الأبجدية اللاتينية، ثم حل مكانها الأبجدية السلافية.

والقيريغيز مثل القازاق مسلمون اسما مع تمسكهم الشديد ببعض المظاهر الشامانية، وقد وصفهم رادلوف Radlov منذ قرن بأنهم يعتبرون أنفسهم مسلمون مثاليون، وهم أقلّ تسامحا مع غير المسلمين من القازاق، ويمكن تلمس هذه الحقيقة في الأدب الفلكوري حيث يكون دور الحرب ضد الكفار ذات أهمية كبيرة.

## المغول:

يبلغ تعداد المغول في سنكيانغ 63 000 نسمة تقريبا، وينتشرون تماما في نواحي المقاطعة، وأما تمركزهم الأكبر فهو في منطقتي جوكوجاك وإيلي، حيث يصل تعدادهم في كل منها 25 ألف نسمة تقريبا، وتقيم مجموعة أخرى تقدر بحوالي 13 ألف نسمة في الأراضي المرتفعة في منطقة قراشهر، وهناك قلة منهم في الشمال الشرقي على طول الحدود بين سنكيانغ وجمهورية منغوليا الشعبية، وآخرون ينتشرون في الجزء الشمالي للمقاطعة.

وتقع أكثر المنطقة التي تشكل الأغلبية المغولية عند انتهاء الحدود الغربية لسنكيانغ مع جمهورية منغوليا الشعبية، ومع ذلك فهي لا تشكل إلا جزءا يسيرا من مجموع السكان، فيما المناطق التي يكثر فيها المغول مثل جوكوجاك وإيلي يسيطرها عليها القازاق.

وتشرح التغيرات التاريخية توزع المغول الجغرافي في المنطقة، وينقسمون إلى ثلاثة جماعات قبلية:

- 1- المغول الغربيون وهم: أولوت Olots وتورغوت Torguts وخوشوت Khoshot.
- 2- المغول جاهار.
- 3- اوريانغاي Urianghai.

ولكن هذه الوحدات السياسية لا ترتبط ببعضها كثيرا، بل بين عشائرها، حيث نظم المغول ثلاثة أحلاف ومجموعتين خاصتين: حلف اونين سوسوكتو Unen Susuktu المكون من عشرة عشائر من تورغوت، وينتشرون على شكل واسع وتفصل عن بعضها الشعوب غير المغولية، وأهم مجموعة فيها تورغوت التي تقطن في تيان شان وفي نواحي قراشهر، وآخرون يسكنون السفوح الشمالية لتيان شان، والبعض الآخر على المنحدرات الجنوبية لجبال التاي.

حلف باتو ستخيلتو Bato Setkhiltu يتكون من ثلاث عشائر من خوشوت Khoshot في هضبة يولدوز في قلب تيان شان الوسطى.

حلف جينغ سفخيلتو Ching Setkhiltu ويضم ثلاث عشائر من خوشوت، وسبع من اوريانغاي، ويتمركز جميعهم في منطقة جوكوجاك - التائي.

وأما المجموعتان اللتان لم يضمهما الأحلاف فهما: جاهار الذين يعيشون في وادي بوروتالا Borotala في الطريق من اورومجي إلى غولجه؛ وأولوت Olot في وديان نهري تكس وكاش في منطقة إيلي، وهذا النظام المعقد من الأحلاف والعشائر تظهر فعالية السياسة التي تمارسها الدوائر المانثورية؛ لإضعاف الوحدات السياسية بين المغول.

وقد نقل الصينيون المغول جاهار من مراعيهم القديمة التي تعرف بمقاطعة جاهار من منغوليا الداخلية إلى جونغاريا بعد



الغزو المانشوري في القرن الثامن عشر، ولأنهم غرباء  
ويصعب تعاملهم مع المغول الغربيين فقد وضعوهم إستراتيجيا  
للتحكم على الطريق الرئيس بين أوروبا وروسيا، وكذلك  
قبائل اوريانغاي الذين يقال إنهم من المغول الغربيين في  
سنكيانغ كما يشير إليه اسمهم، فهم في الواقع ينتمون إلى  
قبائل تقطن منطقة اوريانغاي أطلق عليهم اسمها و تسمى  
الآن تانو توبا Tannu Tuva التي ضمت إلى الاتحاد  
السوفييتي أخيرا، وكانت لغتهم الأصلية التركية ثم تحولت إلى  
المغولية في القرن التاسع عشر.

وجميع مغول سنكيانغ من المغول الغربيين ينتمون من حيث  
اللغة والترابط التاريخي مع القبائل في منغوليا الخارجية  
(جمهورية منغوليا الشعبية) ومع مغول كوك نور أو جنغهاي  
Chinghai على الجهة الشمالية لهضبة التبت، أو  
بالقالموق على نهر فولغا السفلى في روسيا، والأصل أن  
المغول الغربيين عموما هم من قبيلة تسمى اويرات Oirat  
التي هاجرت إلى سنكيانغ في القرن الرابع عشر من نهر  
انغارا Angara الذي يجري من بحيرة بيكال إلى نهر ينسي،  
وتوجد عدة احتمالات تشير إلى انتماء أكثرية المغول الغربيين  
إلى سلالات القبائل التي كانت أصلا قبائل جبلية، هاجرت فيما  
بعد إلى السهوب حيث تحولت إلى قبائل رعوية.

وقد كون المغول الغربيون اتحادا فيدراليا أخيرا، عرفت في  
المصادر الصينية باتحاد اويرات، ويعرف أيضا باتحاد اولوت  
(الصيغة المغولية لرسم اولوت " اوغليت Ughelet ").

وفي القرن السابع عشر حاول الجونغار<sup>(1)</sup> وقد عرفت  
المنطقة باسمهم جونغاريا (يشكلون الجناح الأيسر لهذا

1 - وفي اللغة المغولية المكتوبة جيعون غار jeghun gar تعني " اليد اليسرى"  
وترجمت بالجناح الأيسر، وفي المغولية اليسار يعني الشرق.

الاتحاد ) التسلط على بقية الاتحاد، ولم تخضع بقية قبائل الاتحاد وهم: قبائل تورغوت وخوشوت، وشقت طريقها نحو الغرب عبر الأراضي التركية حتى وصلت إلى نهر فولغا السفلى، حيث عرفت هناك باسم "القالموق" وهي مشتقة من الكلمة التركية التي تعني "الباقى"، وبعد ثمانين عاما أباد المانشور الجونغاريين تقريبا عند احتلالهم سنكيانغ، ودعا الإمبراطور المانشوري أولئك القالموق على العودة إلى مناطقهم السابقة فعاد بعضهم، ومنهم عشيرة تورغوت إلى سنكيانغ بينما بقي الآخرون في روسيا.

ويمثل مغول سنكيانغ في حياتهم الاقتصادية القازاق، وأما في التكوين الاجتماعي يتمتع الأمراء المغوليون بنفوذ أوسع وحقوق أعظم من سلاطين القازاق، ومن مظاهر هذا الاختلاف أن المغول الفقراء أكثر فقرا من فقراء القازاق، بالإضافة إلى أن اللاما (رجل الدين البوذي) يملك حق تكوين إقطاعية تسمى إقطاعية الكاهن، وكما أدى فرض الضرائب التي تدفع إلى الأمراء ورجال الدين وكان السبب الرئيسي على تدهور حياة المغول الاقتصادية بالنسبة إلى القازاق.

وحتى الثورة الصينية عام 1911م كان أمراء المغول يتمتعون بحكم وإدارة مناطقهم وقبائلهم ذاتيا، وبعدها دعمت السلطات الصينية ذلك الوضع، وفي نفس الوقت زادت من السيطرة الصينية على الأمراء أنفسهم، وكان من هذه السياسة زوال الإقطاعية المغولية بالإضافة إلى تلاشي العداء ضد الصينيين.

وعملت الإدارة الصينية على زيادة الخلافات بين المغول والشعوب الأخرى، وفي عهد حكم يانغ تسنغ هسين Yang Tseng-hsin تم تسليح القازاق، ومنحهم حق الاستيطان في منطقة التاي؛ كي يتم عزل مغول سنكيانغ عن ثورة إخوانهم المغول في جمهورية منغوليا الشعبية، ومن جهة أخرى تم تسليح مغول تورغوت قراشهر المنعزلين جغرافيا عن المغول الآخرين؛ بسبب أنهم المتجاورون مع الأكثرية القازاقية،

وتجهزيهم بسلاح الفرسان المتطور وتدريبهم من طرف القوازي الروس المهاجرين من سيبيريا بعد الثورة الروسية، وأما الآن مع تزايد القومية والثورة الوطنية في سنكيانغ بدء بعض المغول والقازاق يتعاونون معا في قضايا عامة، وتدفقت وفود من المغول والقازاق لمساعدة حكومة ثورة غولجه الائتلافية ونظامها، وأما أكثر العناصر الثورية من مغول سنكيانغ يتطلعون لعلاقات أكثر مع جمهورية منغوليا الشعبية، ولا توجد دلائل على وجود شخصيات وطنية مغولية بين زعماء سنكيانغ الوطنيين.

### الإيرانيون: (ساري كول- تاجيك):

في أقصى الركن الجنوب الغربي من سنكيانغ تقطن مجموعة من الناس الذين يتكلمون اللغة الإيرانية، ويتمركزون في وادي ساري كول وتاشقورغان ويشكلون الأكثرية السكانية فيها، ويتواجدون بقلّة في المناطق المجاورة، ويقدر عددهم 8 800 نسمة، ويوصفون عادة بشعب ساري كول، ولكن الحاكم شنغ شيه تساي صنّفهم بالتاجيك ضمن قائمة شعوب سنكيانغ، كما أن الباحثين الروس الحاليين يسمونهم أيضا تاجيك، ولكن ليس من الواضح أي منهم اقتبس التصنيف من الآخر.

ويقع وادي ساري كول حيث تتقابل الحدود الروسية والصينية والأفغانية، ولكن هذه الحدود لم يتم رسمها بشكل رسمي، وقد كانت مثار النزاع في الماضي، ولعلها تكون منطقة اضطراب مرة أخرى.

وشعب ساري كول مستاء جدا من الحكم الصيني الذي يستعمل الرجال والحيوانات بدون مقابل أو لقاء ثمن زهيد، حتى يبقي الطريق الجبلي المرتفع بين سنكيانغ والهند مفتوحا يستعملها المسافرون الرسميون والتجار، وقد أدى ذلك إلى زيادة الاستياء ومحاولات الانفصال عن الحكم الصيني، ولكن لا يبدو

واضحا لمن يرغبون الانضمام إليهم من الشعوب المجاورة.  
وهناك لغتان إيرانيتان في المناطق المجاورة، أحدهما لهجة  
بامبير المتداولة في وادي واخان في أفغانستان، والأخرى هي  
التاجيكية في منطقة بدخشان الجبلية الذاتية في جمهورية  
تاجيكستان السوفياتية المجاورة، وهذا السؤال الهام: ما إذا  
كان شعب ساري كول يتكلم التاجيكية أو لهجة بامبير الإيرانية؟  
ولا يوجد جواب واضح.

ويقول كرنراد: Grenard أن شعب ساري كول هم من بقايا  
سكان خوتن القدماء الذين وجدت وثائقهم مكتوبة في لغة ساكا  
من اللغات الهندو-أوروبية في الفترة من 400-200 ق.م.  
وفي المصادر الصينية لعائلة تانغ المالكة ذكر أن شعب ساري  
كول يشبه في مظهره الخارجي ولغته سكان خوتن، وفي ذلك  
الوقت كانت ديانتهم البوذية ولهم ما لا يقل عن عشرة معابد  
في مملكتهم الصغيرة، ويرجع أول غزو صيني لها إلى عهد  
عائلة تانغ التي أسست فيها مركزا عسكريا حتى نهاية  
الاحتلال العسكري الصيني لآسيا الوسطى.

وقد تحول الشعب تدريجيا إلى الإسلام واعتنق المذهب  
الإسماعيلي الذي يعترف بزعامة آغا خان ومقره في مومباي،  
وأما من الناحية الثقافية فهو أميٌّ تماما، وما زالت لغتهم غير  
مكتوبة.

ويعيش معظم الناس مستقرين يعملون في الزراعة، بالرغم أن  
وادي ساري كول لا ينخفض أبدا عن عشرة آلاف قدم عن  
سطح البحر، ويزاولون الري، ومحصولهم الرئيس الشوفان  
والشعير والليغوم Legumes، وعلى الرغم أن الأوضاع  
صعبة إلا أن الأراضي تبدو أنها تستطيع استيعاب سكان أكثر  
من الحاليين.

وفي عهد عائلة تانغ كان من السكان خمسة الآف راهب وقوة  
عسكرية لا تقل عن ألف رجل، ولكن في القرن الماضي هبط  
عدد السكان بسبب غارات عصابات تجار العبيد من شعوب

شمال الهند في الفترة قبل وبعد حكم يعقوب بك. أما في الوقت الحاضر يعيش السكان بجوار قبائل القيرغيز الرعوية، وتبدو العلاقة بينهما ودية، ومن جهة ثانية فإن علاقة سكان تاشقورغان مع الحكومة الصينية عدائية خاصة في السنوات الأخيرة، وقد تكونت هيئة عرفت بـ "جماعة الخيام الحمر" من القيرغيز والإيرانيين، توحدت جهودهم في مقاومة حكومة المقاطعة الصينية وناصرت نظام ثوار غولجه، ولا يمكن التأكيد من أن هيئة الجماعة قررت الجدية في سياستها.

## قوميات بدون مناطق أساسية لها

### الصينيون:

من الملاحظ في سنكيانغ وهي مقاطعة صينية لا توجد فيها منطقة معروفة بالأكثرية الصينية، مع أن السياسة الصينية تخللتها منذ القرن الثاني قبل الميلاد، ووجد الصينيون ضمن مجموعة الشعوب المتناثرة في المقاطعة، ولا يشكلون مستوطنين أصليين أو أغلبية سكانية في مساحة من الأراضي، وفي الفترات ما بين قدومهم وبقائهم أقلية أجنبية عاد كثير منهم إلى بلادهم، كما اختفى بعضهم في مذابح هم في الغالب سبب حدوثها بسبب سوء حكمهم.

وفي النصف الثاني من القرن الماضي هرب الصينيون تقريبا بسبب اندلاع الثورات الوطنية التي هزت كل الجزء الشمال الغربي للإمبراطورية المانشورية، ثم بدء قدومهم بعد ذلك، وبلاستثناء من المنفيين المجرمين الذين ترسلهم حكومة المانشور من الصين إلى سنكيانغ أبان حكمهم.

ينقسم الصينيون القادمون إليها في الفترات الأخيرة حسب ارتباط المقاطعة بالتاريخ السياسي:

الهُونانيون، وجماعة من وادي يانغتسي Yangtze السفلى ويشكلون طبقة البيروقراطيين منذ وقت طويل، وجماعة من ولاية تينتسين Tientsin ويحتلون مراكز هامة في التجارة، وهناك رجال من شانسي Shansi يزاولون قيادة القوافل التي تحمل البضائع بين منغوليا وسنكيانغ وشمال الصين، وأما مقاطعة كانسو فقد أتى منها المزارعون.

وعندما دخل المقاطعة تسوتونغ تانغ Tso Tung-tang القائد من هونان الذي خدم المانشور في قمع ثورة التابين Taiping قضى على ثورة المسلمين في سنكيانغ بقوات أغلبهم من الهونانيين، وبقي كثير منهم فيها بعد العمليات العسكرية، وأصبح بعضهم ملاكا للأراضي، وموظفين في حكومة المقاطعة، حيث مارس الهونانيون نفوذا قويا مسيطرا، حتى قيل إن سنكيانغ مستعمرة هونانية.

كما جاءت معه أعداد كبيرة من تجار تينتسين Tientsin الذين يعملون في التجارة مع الجنود في الطريق، ثم استقر بهم الحال في سنكيانغ، والتحق بهم ذويهم فيما بعد، وهكذا ظهر تجار تينتسين في جميع المراكز المدنية فيها.

وخلال حكم يانغ تسنغ هسين Yang Tseng-hsin الذي استمر إلى ما بعد الثورة الصينية في عام 1911م استقدم زملاء له من يوننان؛ لدعم مركزه في سنكيانغ، كما دخلها قلة من الصينيين من مقاطعة كانسو خلال حكم تشن شو جين Chin Shu-jin فيها وأخيرا دخل سنكيانغ عشرة الآف

جندي صيني من مانشوريا خلال تراجعهم من القوات اليابانية في سيبيريا، وسمح لهم السوفييات بدخولهم بعد ما تولى شنغ شيه تساي المانشوري الأصل حكم سنكيانغ، وبعد ذلك قدم اللاجئون الفارون من مجاعة هونان Honan عام 1944م، وأسكنتهم الحكومة الصينية المركزية في مناطق نزعت من القازاق.

وبالإضافة إلى ما ذكر أعلاه من المعلومات توجد جماعات صينية أخرى، منهم الذي يتميزون بعقيدتهم الإسلامية أسكنهم الإمبراطور جين لونغ Chien Lung في سنكيانغ بعد أن قضى على المغول الجونغاريين في القرن الثامن عشر، ثم قدمت جماعات صينية مسلمة بعد ثورتهم الشاملة في شمال غرب الصين ويعرفون باسم "الدونكان Dungan" وباللفظ الصيني "Tung-kan" وأكثرهم من مقاطعة كانسو وآخرون من مقاطعات نينغشيا وشانسي، والعامل الديني مهم جدا في التمييز بين المسلمين الصينيين والصينيين غير المسلمين، وهما يعتبران شعبين متميزين كما هو في تصنيف شنغ شيه تساي، وعادة غير المسلمين منهم يعرفون بالهان Han ويعرف المسلمون الصينيون باسم "خوي Hui"، ويبلغ تعداد الأول 202 ألف نسمة والآخر 92 ألف نسمة.

أما الاسم "خوي" فهو مختصر من الاسم "خوي-خوي Hui-hui" وهو مشتق من الاسم القديم للأويغور، إلا أنه يطلق على جميع المسلمين في الصين، وأما "دونكان" فهو اسم استعمله الروس في عهد القياصرة على مسلمي الصين، وما زالت الكتب السوفياتية تستعمله على المسلمين الصينيين المستوطنين في جمهوريتي قازاقستان وقيرغيزستان، وهو اسم من أصل تركي ولكن معناه غير واضح، وقد يعني "العائد"، ويتأكد هذا المعنى من الأدب الشعبي أن الصينيين المسلمين هم أحفاد القوات التي دخلت الصين واستوطنتها

وتزوجت من نساء صينيات، وعند ما عاد هؤلاء إلى الغرب في سنكيانغ في القرن الثامن عشر سموهم العاندون "دونكان" لأوطانهم الأصلية.

ومثل بقية الصينيين يتواجد هؤلاء المسلمون الصينيون في كثير من المدن في سنكيانغ، ولكن بشكل أكثر في المدن الشمالية من المقاطعة وهم يزاولون تجارة القوافل ويديرون الخانات ويعملون في القوات المسلحة وبعضهم أصحاب العقار.

ويحتكر الصينيون غير المسلمين إدارة المقاطعة وهم من الطبقة البيروقراطية المسيطرة، ولكن جزء من طبقة الحكام الصينيين في سنكيانغ غير متعلمة، وترتفع نسبة الأمية خاصة بين المسلمين الصينيين، وبواعثهم للتعليم هو نيل القدرة على قراءة القرآن الكريم بالعربي فقط، ويظهر أن تعاليم الإسلام أقل تأثيرا بين النساء المسلمات الصينيات، والنساء المسلمات عموما في سنكيانغ أكثر تحررا من أخواتهن في البلدان الإسلامية في الشرق الأوسط، فمثلا لا ينتشر الحجاب بينهن كثيرا.

وأهم مظهر للإسلام بين الصينيين هي القوة السياسية التي توحد عموم المسلمين ضد الصينيين غير المسلمين، فالمجتمع الصيني المسلم قوي في علاقته بالسلطة الدينية، وبالإخلاص القبلي أكثر مما هو في المجتمع الصيني غير المسلم، والقاعدة أن الأفراد الأغنياء في القبيلة يتحملون مسؤولية مساعدة أقربائهم الفقراء لإظهار عنايتهم مما يؤدي إلى سلطتهم في المجتمع المسلم الصيني، شعورا بأنهم أقلية يجب أن تكون متماسكة الأعضاء، بينما يعتبر الصينيون غير المسلمين أن ما يقدمونه هو تكرم دوما وليس من واجب الضمير، وفي الحرب الأهلية وثورة الفلاحين يقوم القائد المسلم لجيشه عادة بالجمع بين النظام الحربي والولاء الجماعي، وهم في الواقع ليسوا جنودا وقوادا، بل رؤساء



قبائل يتعاملون مع أفراد قبائلهم، وحتى في فترات انتشار ثورة الفلاحين يتمكن زعماء جماعات المسلمين الصينيين من قيادة الفلاحين المسلمين ضد الفلاحين وملاك الأراضي غير المسلمين .

وغالبا ما تبدأ ثورة الفلاحين المسلمين يستغلها ملاك الأراضي المسلمين فتتحول إلى حركة عارمة تشمل كل المجتمع المسلم تكتسح الوحدات غير المسلمة فيمنع تسلل دعاة الوطنية الصينية أو دعاة الثورة الشيوعية.

والعامل اللاديني الرئيس في التعاون الحربي بين طائفتي الصينيين في سنكيانغ وبصرف النظر عن الواجب الإسلامي في توثيق العلاقات مع المسلمين الصينيين يتضح من فشلهم في تأسيس تحالف أكثر من مؤقت مع إخوتهم في العقيدة من القوميات الأخرى، وخلال الثورة الكبرى في الربع الثالث من القرن الماضي استعان المسلمون الصينيون برهة بإخوتهم في العقيدة من الأويغور والقرغيز ضد النظام الصيني-المانشوري، وفجأة حدث النزاع مع الأويغور رفقائهم في السلاح، ومع تلاشي الثورة أبادتهم القوات الإمبراطورية تماما، كما أن في الثورات في أوائل عام 1930م، ظهرت فيها نفس مظاهر التحالف الأولي، ثم وقع الانفصال بين الأويغور والمسلمين الصينيين.

وهذه الأمثلة تشير بوضوح على عدم أهمية العلاقات الدينية بين المسلمين الصينيين وغيرهم ممن يشتركون معهم في العقيدة في سنكيانغ. والعلاقات الودية التي تطورت فيما بعد في ثلاثينات القرن العشرين بين المسلمين الصينيين والصينيين غير المسلمين توضح أنهما تحت ظروف معينة يتمكنان من معالجة اختلافاتهما لعمل مهم.

يظهر مما مر أن السكان الصينيين في سنكيانغ يواجهون احتمالين من التطور: أحدهما يتمركز على المفهوم الديني

للمصالح المختلفة حتى تتطور نتائجها في تكوين قوميتين منفصلتين. والثاني: أن يتم إخضاع اختلافاتها إلى الدرجة التي لا يكون الدين عائقاً لقومية مشتركة كما هو في شعوب أمريكا والإنجليز وغيرهما.

وفي الماضي عند ما كان تشتعل الثورة بين المسلمين الصينيين وغير المسلمين في سنكيانغ كانت التعزيزات تصلهم من خارج المقاطعة، وفي كل ثورة كانت الجماعات المسلمة من كانسو ونيغشيا وجنغهاي (كوكونور) تغزو سنكيانغ، ويلتحق بهم المسلمون الصينيون من سنكيانغ، وهم يساعدونهم ليس لأنهم إخوة في الدين، بل كأنهم أقرباء، ويقاثلون الصينيون غير المسلمين معا ويذبحون الجماعة كلها، وإذا تلقى غير المسلمين التعزيزات فهم لا يقتلون وحشية عنهم في اضطهاد الدونكان، ومن ذلك ما قامت قوات الجنرال تسو تسونغ تانغ Tso Tsung-t`ang بأكبر عملية لسفك دماء المسلمين الصينيين، ومذابح جماعية حيث ذبح النساء والأطفال والرجال؛ لأنهم لم تكن في نظرهم ثوار سياسيين فحسب بل خونة؛ لأنهم صينيون متحولون إلى الإسلام، بينما تم معاملة الأويغور ثوارا سياسيين.

وبعد نهاية الحرب اليابانية- الصينية كانت التعزيزات العسكرية المرسلّة إلى سنكيانغ تضم جنودا غير مسلمين مع وجود فرقة من الفرسان المسلمين على الحدود المتاخمة لجمهورية منغوليا الشعبية، في منطقة بايتيك بوغدا Baitik Bogda المتنازعة عليها، وأما زعماء الحرب المسلمين في الشمال الغربي فقد انهمك أكثرهم على منع التسرب الشيوعي إلى مناطقهم، والعمل في نفس الوقت على زيادة نفوذهم لبيسط الحكم الذاتي، وإن لم يكن ذلك قويا يمنع الحكومة المركزية من إرسال القوات، أو جمع الضرائب، كما أن قواتهم غير كافية للمغامرة بالاستقلال في سنكيانغ، ولكن حكومة الصين الوطنية في المقابل فقدت سلطتها على المسلمين في

شمال غرب الصين الإسلامي نجحت في السيطرة عليهم في سنكيانغ، حيث لعبت على التعصب الاجتماعي القومي لمسلمي الصين، ونجحت في النهاية على إثارتهم ضد القومية التركية، وخاصة ضد ثوار غولجه ( الائتلاف القومي).

وقوات حكومة الصين الوطنية التي يقدر عددها أكثر من مائة ألف جندي مدرب تدريباً جيداً، ومجهز بالأسلحة الأمريكية، ويدعمها المسلمون الصينيون، لم تتمكن من تحقيق فرض سيطرة الصينيين غير المسلمين على كل سنكيانغ في السنوات الأخيرة لحكم الكومنتانغ Kuomintang، ومع أن قواتهم كانت قوة رادعة ضد أي عصيان مسلح، ولكن لم تكن قوة كافية لسحق الوطنية التي تزايد انتشارها في كل المقاطعة، والقرارات السياسية والحربية يمارسها الموظفون الصينيون الكبار، ولم يكن أي واحد منهم من مواطني المقاطعة، ولا يشتغل هؤلاء في الدفاع عن المهام المناط بهم، ولكن في الأغلب لكسب منافع شخصية جديدة.

وفي هذا الوضع يتضح أن من أهم مظاهر التفكير لطبقة البيروقراطيين في عاداتهم، الذي ينسب للموظفين المتكلمين باللغة الإنجليزية لشعوب غير صينية للمقاطعة الذين هم مواطنون أصلاء، أن الموظفين السياسيين يعتبرون سنكيانغ بطيخاً لذيذاً يجب تشريحه، كما جاء في ذلك في تصريح لأحد الموظفين الكبار السابقين في إدارة المقاطعة:

قد يقال إن الصين مثل أسرة مفلسة عانت كثيراً من التدهور الاقتصادي، وأصبحت الحياة صعبة لها، ولكن من حسن الحظ أن ترك الأجداد لها ممتلكات في الغرب، وإذا اضطر الأمر هناك البلد الشاسع الذي يقدم الدعم<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - Aitchen K. Wu, "Will China Lose its Far west?" Asia XXXIX, (1939) p.675

وفي هذه الفترة كان توجه السياسة الصينية هو التغاضي عن إمكانية ضم سنكيانغ إلى الصين بموافقة شعوبها، بل بممارسة القوة التي قد تكون مرعبة اليوم، ولكن قد لا تكون كذلك في المستقبل إذا لم تدعمها بالتعزيزات الممكنة.

## الروس:

ويقدر عدد الروس 13 400 في سنكيانغ، وهم في الأغلب من المهاجرين إليها بعد الثورة البلشفية عام 1917م، وأكثرهم من القادمين إليها خلال الأعوام 1919-1921م. كما أن بعضها عائلات كانت فيها أثناء الثورة الروسية، وتعرف هذه الفترة بعهد الحروب الداخلية الشديدة في منطقة سميرتشي Semirechie التي هي الآن جزء من جمهورية قازاقستان السوفياتية، حيث قاد تولى انينكون Annekov ودوتوف Dutov وباكيج Bakich جماعات الكوساق الروسية لسيطرة مواقع على طول الحدود، حيث فشل الأدميرال كولجاك Kolchak فأمر إحدى المجموعات على اجتياز الحدود، ثم تلتها المجموعات الأخرى إلى سنكيانغ، حيث نزعت أسلحتهم مخيرين على البقاء في المقاطعة أو الاتجاه إلى الشرق.

ويقيم كثير من الروس في المراكز المدنية مثل غولجه وجوكوجاك واورومجي، لأنهم أكثر الجماعات حظا بالتدريب الفني والعلمي في المقاطعة، وكان الروس يفيدون في حالتهم السلم والاضطرابات الداخلية، وقد عمل منهم في سواقة السيارات وفي الميكانيكا وتدريب قوات المقاطعة، واشترك بعضهم محاربين في بعض المعارك إلى جانب شنغ شيه تساي، وكان العامل الهام لإحراز النصر على ما تشونغ بينغ Ma Chung-ying في عام 1934م، وعكست مشاركتهم في هذه الأحداث أن الرحالة والصحفيين والباحثين الزائرين يظنون أو يؤكدون أن هؤلاء ليسوا من الروس البيض، بل من الروس السوفيات الذين لهم التأثير على الوضع في المقاطعة.

وخلال حكم يانغ تسنغ هسين Yang Tseng-hsin كان الروس في حالة طيبة، ثم واجهتهم صعوبات في الفترة من بعد موت يانغ عام 1928م، حتى قيام سلطة شنغ في الفترة 1933 - 1940م، ثم تغيرت بعد ذلك حين زوال حكمه عام 1943م، وكانت حياتهم مثل الجماعات الروسية الأخرى في الصين، تقوم على تجمعاتهم الخاصة، لهم صحفهم ويعملون على الاحتفاظ بثقافتهم المتميزة، وفي الغالب يتكيفون بالتغيرات السياسية التي لا تهدد وجودهم، وفي أثناء الاضطرابات المحلية ساند كثير منهم نظام ثوار غولجه ضد الإدارة الصينية.

وبالرغم أن الجماعات الروسية في سنكيانغ لها موقفها الخاص ضد الشيوعية، إلا أن هذه النظرة تغيرت مع مرور الزمن، وخاصة أن الجيل الحديث الذي لم يشترك في الحروب الأهلية شخصيا في روسيا بدء يعترف بالشيوعية ويناصرها، وعلى نمط التغيرات التي حدثت في الجماعات المهاجرة في كثير من البلدان في العالم تزايد أعداد الروس في سنكيانغ، وفي المقابل ظهرت سياسة سوفياتية جديدة تجاه المغتربين لتمييزهم عن الروس في جمهوريات الاتحاد السوفياتي.

والآن هناك سؤال: هل يعتبر الروس في سنكيانغ مواطنين صينيين أو سوفياتيين، والمشكلة أن الروس الذين يعيشون في الخارج ويحملون جوازات سوفياتية لا يعني أنهم احرار في العودة إلى الاتحاد السوفياتي عندما يقرر ذلك بنفسه، في الماضي منحهم السلطات السوفياتية في الصين جوازات سوفياتية والحماية لهم بعض الوقت، بدون أن تسمح لهم بالعودة إلى الاتحاد السوفياتي، وأما الوطنيون الأتراك مثل مسعود صبري يعتبرون الروس مواطنين سوفياتيين، وعلى هذا لا يمكن تعدادهم ضمن القوميات في سنكيانغ، ومن هذه النظرة يعني أن المواطن السوفياتي لا يحق له الإقامة في

سنكيانغ، ولكن من المحتمل أن كثير من الروس يرغبون الاحتفاظ بالاثنين، وتمكينهم من استعمال كفاءتهم العلمية التي يتمتعون بها يساعد على تطوير المنطقة، وهذا ما يفضله الكثير منهم وإن كان يمثلون جزءا يسيرا من السكان.

## المانشور Manchu:

المانشور في سنكيانغ من ثلاث فئات: المانشور Manchu و سولون Solon و سيبو Sibو، ولكنهم لا يتكلمون اللغة المانشورية الصحيحة، وينتمي جميع هؤلاء الثلاث إلى وحدة القبائل المانشورية التي غزت الصين ثم تلاشت جميعها من المسرح السياسي بعد زوال نظامهم في عام 1911م، ولم يتمكن المانشور من الاحتفاظ بسماتهم إلا في سنكيانغ حيث يختلفون عن الشعوب الأخرى، ويقدر عدد جميع هؤلاء الثلاث 12 362 نسمة في سنكيانغ.

وقد قدمت أول جماعة من المانشور إلى سنكيانغ في النصف الثاني من القرن الثامن عشر مع الحملات العسكرية ضد المغول الجونغار، وبعد الانتصار تمركزت القوات في الإدارات المدنية في المواقع الإستراتيجية، وشيدت مدينة في وادي إيلي الإستراتيجي مركزا لإدارة جميع المقاطعة وتوجيه القوات المانشورية إلى أنحاءها، وفي الكثير من الحاميات في المراكز المدنية التي كانت تضم عددا من الجنود المانشور، والنظام العائلي المانشوري منعهم من الاشتغال بالزراعة والتجارة، مما أدى إلى ظهور مستعمرة عسكرية في منطقة إيلي، وإحدى هذه الحاميات تضم جماعة السولون التي كان أصل موطنها في أعالي نهر نوني Nonni في شمال غرب منشوريا، وهم مشهورون بالرماية، واعتبروها من أهم القبائل المساندة مع أن لغتها المتداولة في موطنها الأصلي تختلف عن المانشورية، وإن كانت تنتمي إليها.

وهناك حامية أخرى تضم جماعة السيبو وموطنها الأصلي وسط منشوريا، وتعمل في الأعمال الكتابية والتجارية في المقاطعة، ولا يعتبر السيبو من المانشور الخالص، ويبدو أنهم من الأسرى الحربيين أو أشباه العبيد في الأصل، وقد يكونون من أنسباء المانشور الذين ساعدوهم على التوسع المانشوري في القرن السابع عشر، ويشتهرون بصلابتهم ضد النفوذ الصيني وبالمحافظة على لغتهم وتقاليدهم، وقد احتلت الجماعتان الأراضي الغنية في وادي إيلي، فالسولون في ضفة النهر اليمنى والسيبو في الضفة اليسرى.

وخلال ثورة عام 1911م، تعرض المانشور إلى المذابح في المدن، ولكن من كان منهم في القرى تمكن عن الدفاع ومقاومة الإبادة، وفي الوقت الحاضر يبلغ عدد السولون 500 2 والسيبو 9 200 من مجموع المانشوريين ما عدا 1 700 منشوري تقريبا في منطقة جوكوجاك، وأكثر المانشور يتواجدون في وادي إيلي في عدد من القرى على جانبي النهر الذي يسيطر عليه القازاق والأويغور.

وأكثر المانشوريين يعيشون على الزراعة، بالإضافة إلى رعي الأغنام والصيد، وتمسكهم بتقاليدهم ساعدتهم على وجودهم وقدراتهم العسكرية، ولكن واجهتهم أيضا بعض التغييرات التي حدثت في المقاطعة، وكثيرون منهم يتكلمون عدة لغات منها الروسية إلى جانب لغتهم الأصلية، وفي وقت ما كان هناك نقاش بينهم على استعمال الأبجدية اللاتينية بدلا من الحروف المانشورية، وقد نالت جماعة السيبو التقدير والشكر لتزويد ثوار غولجه بالحبوب والخضروات.

ومع أن شتغ شيه تساي قسم هؤلاء الناس إلى ثلاث مجموعات متميزة: المانشور والسولون والسيبو، ولكن الاختلاف بينهم طفيف جدا، ويمكن اعتبارها قليلة الأهمية؛ لأن الاختلاف في الأساس في لهجاتهم، وقد تلاشى ذلك عندما

استعملت اللغة المانشورية لغة رسمية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، والجماعات الثلاثة في سنكيانغ يتفاهمون تماما، واللغة الأدبية لهم المانشورية، ومن جوانب كثيرة تعتبر هذه المجموعات شعبا واحدا، ومع قتلهم العديدة إلا أن قدراتهم العسكرية ومهاراتهم الإدارية جعلتهم قوة يمكن الاعتماد عليها كما ظهر ذلك من مساعدتهم لثوار غولجه ضد السلطة الصينية السابقة، ومن المؤكد أن استمرار وجودهم كشعب سيكون في خطر؛ ذلك لأن مستقبلهم القريب قد يجعلهم جزءا من الأغلبية المجاورة إذا لم يشملهم قدر من الحكم الذاتي المحلي.

## الأوزبك:

الأوزبك منتشرون في المراكز المدنية على طول الحدود مع جمهورية أوزبكستان السوفياتية، ويقدر عددهم 8 000 نسمة، ويقيم أكثر من ثلاثة أرباعهم في كاشغر وغولجه وجوكوجاك، وهم من الهاربين من الشيوعية ويعملون في التجارة.

والشعب الأوزبكي يتكون من طبقتين: المجموعة الإيرانية القديمة التي سكنت واحات آسيا الداخلية، ثم القبائل التركية التي عرفت بالاتحاد الأوزبكي الذي غزا المنطقة في القرن السادس عشر، وبتأثير من ثقافة السكان الإيرانيين في الواحات تخلى الأوزبك عن حياتهم الرعوية إلى حياة زراعية مستقرة.

تعتبر العناصر الثقافية الإيرانية الأولية هي الغالبة إلى درجة أن اللغة الفارسية كانت لغة الأدب التي يتبارى بها الشعراء في البلاط، ولكن اللغة التركية أوزبكية سيطرت على الإيرانيين لغة شعبية.

وفي القرن التاسع عشر غزا الروس كثيرا من ممالك الأوزبك



وبقيت بعض خانياتهم مستقلة اسمياً، بينما كانت في الحقيقة في علاقات تبعية لروسيا، وبعد الثورة السوفياتية أسس الأوزبك أولاً جمهورية تركستان السوفياتية التي عرفت فيما بعد بجمهورية أوزبكستان السوفياتية ضمن جمهوريات الاتحاد السوفياتي، ويشكل الأوزبك الأكثرية في جمهوريتهم ويعيشون متناثرين في جمهوريات تاجيكستان وقازاقستان وقيرغيزستان وفي شمال أفغانستان بالإضافة إلى سنكيانغ.

والأوزبكية لغة تركية ولكنها اختلطت كثيراً [الإيرانية في المدن، وتوجد في الواقع لغتان أوزبكيان: الأوزبكية الإيرانية في المدن، والأوزبكية التركية في القرى].

والأوزبك مسلمون سنيون إلا أن التعاليم الصوفية ذات أثر كبير في حياتهم الدينية.

## التتار:

يبلغ عدد التتار في سنكيانغ أقل من خمسة الآف نسمة يتمركز أكثر من أربعة أخماس منهم في مدينتي غولجه وجوكوجاك، وبعضهم من سلالة تجار التتار القادمين إليها في عهد القيصرية في روسيا، والباقيون من الهاربين من الشيوعيين الذين كان دخولهم إليها بعد عام 1917م، ومع أنهم جماعة صغيرة، ولكن لهم تأثير كبير ذلك لأنهم المجموعة التركية الوحيدة ذات التعليم العالي.

وقدم كثير من التتار من منطقة الفولغا حيث لهم جمهورية تتارستان الذاتية السوفياتية، وهم من سلالة ممالك إمبراطورية البلغار القديمة سكان خانبة قازان التي ظهرت بعد زوال مملكة القبيلة الذهبية في عام 1438م، وكانت دولة موسكو قد غزت خانبة قازان في عام 1552م، ومن هذا التاريخ وقع التتار تحت السيطرة الروسية، ثم في عام

1920م، كان لهم حكم ذاتي في جمهورية تتارستان الذاتية السوفياتية، حيث يكونون فيها الأغلبية السكانية، كما يتواجد أعداد منهم في جمهورية باشقردستان الذاتية السوفياتية، وفي مناطق مالتوف Molotov وغوركي Gorki وساراتوف Saratov من جمهوريات روسيا الاتحادية السوفياتية وكذلك في سنكيانغ.

وقبل الثورة الشيوعية كان اقتصاد التتار الرئيس يقوم على الزراعة، ويعمل كثير منهم في التجارة، وخاصة في سمسرة المنتوجات الروسية في المناطق التي تتكلم التركية في آسيا الداخلية الروسية والصينية.

ولغة التتار لغة تركية تنتمي إلى مجموعة عائلة اللغة التركية في الشمال الغربي في آسيا، وهم مسلمون سنيون منذ دخولهم إلى الإسلام في القرن العاشر الميلادي، وبعد الغزو الروسي لمنطقة نهر الفولغا حاول المستعمر الروسي تحويلهم إلى المسيحية بمكافآت اقتصادية لمن تحول منهم، ولكن كانت النتائج ضئيلة جدا.

والأدب التتاري القديم يمثل نوعا ما من الأدب الديني الأول، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأثر الوطنيون والعلماء والكتاب بالثقافة الروسية، وكان الأدب التتاري في القرن العشرين مثل الأدب الروسي يتناول المواضيع السياسية والمذاهب الأدبية التي صبغت بالمفاهيم السياسية أكثر منها بالحركات الفنية، فاليوم في الاتحاد السوفياتي يملك التتار أدبا زاهيا متأثرا بالأشكال الغربية متأثرا قويا، والأبجدية العربية التي كانت حاجزا في طريق مكافحة الأمية، استبدلت بالأبجدية اللاتينية التي حل مكانها الأبجدية السلافية في الثلاثينات القرن العشرين.

## الفصل الخامس

### الجغرافيا والتطور الاقتصادي

#### الجبال والصحارى والسهول والشعب:

لا توجد منطقة في العالم يظهر فيها التأثير الجغرافي على الناس أكثر كما هو في آسيا الداخلية، وتقع سنكيانغ في قلب القارة بعيدة بقدر الإمكان من الرياح الرطبة الآتية من المحيطات، وتحيط بها من الجهات الثلاثة جبال عالية، وفي جهة الشرق تمتد هضبة قاحلة واسعة، وترتفع الجبال السماوية تيان شان (ذات القمم الثلجية إلى 23 000 قدما) وتقطع هذه الجبال المقاطعة من الغرب إلى الشرق وتقسّمها إلى جزئين غير متساويين، والجزء الجنوبي يكون ثلثا المقاطعة، وتقع فيه حوض تاريم الذي يضم ألواح الصحاري، وأما الجزء الشمالي ويضم حوض جونغاريا ويكون ثلث المقاطعة، وهي منطقة رعوية طبيعية، ومجموع مساحة المقاطعة 600 000 ميل مربع أو ضعف مساحة ولاية تكساس.

وحوض تاريم منطقة صحراوية أجزاءها المنخفضة فعليا تحت مستوى البحر، وهنا لا يستطيع الإنسان أن يعيش ويزرع على

سقوط الأمطار التي تقل نسبته من أربع بوصات في السنة، وأما الماء يأتيه من الجبال العالية التي تحيط بالصحراء من الشمال والغرب والجنوب ويرتفع بعض قممها أكثر من عشرين ألف قدم، وتتكون الأنهار من ذوبان الثلوج التي تشق طريقها إلى وسط الصحراء الطيني حيث يصل كل نهر إلى حواف التلال، ويشق الناس القنوات لتوزيع الماء في الواحة، وهكذا أطراف الصحراء على طول حواف الجبال في سلسلة من الواحات، والطريق التجاري حول الصحراء يربط هذه الواحات مثل حبات اللؤلؤ في خيط منظم على شكل (U) بنهاية مفتوحة من الشرق.

وتسقط الأمطار في جونغاريا بمقدار أكثر من الجزء الآخر، وتصل نسبتها إلى أكثر من عشر بوصات في السنة في أفضل الأماكن الجيدة، والصحراء هنا ليس كبير، كما أنه غير محصور مثل حوض تاريم، وتنتشر المراعي على سفوح جبال التاي في الشمال وتيان شان في الجنوب وفي الجبال الأخرى في الغرب، والقطعان تتجول كثيرا في هذه المنطقة، وبالتالي يتجول معها ملاكها ضمن حياة رعوية خاصة، وقد تعلم الإنسان الحياة في هذه المنطقة الفقيرة بالاعتماد على الأمطار، وبالسيطرة على الحيوانات التي تقتات على الأعشاب وهو لا يأكلها، بالإضافة إلى الزراعة الرعوية توجد في جونغاريا الزراعة في وديان الأنهار على طول الحدود السوفياتية التي تخترقها ثلاثة أنهار رئيسة تخرج من سنكيانغ وتجري في الأراضي السوفياتية وهي: قرا ايريتش نهر سنكيانغ الوحيد الذي يصب في البحر، ونهرا ايميل وإيلي وهما من أهم طرق المواصلات المائية بين الأراضي الصينية والسوفياتية، وينحصر وادي إيلي الخصب الواسع الزراعي بين جبال تيان شان مع انفتاح نحو الغرب في الأراضي السوفياتية، فتكون منطقة متميزة ترتبط جغرافيا بالأراضي السوفياتية أكثر من ارتباطها بسنكيانغ نفسها، وغاباتها

ومناجمها وجبالها الغنية بالمراعي وأراضيها الخصبة تساعد على التطور الاقتصادي لشمال حوض تاريم، ولكنها لم تتمتع مطلقاً بفترات كافية من السلام والإدارة المستقرة التي تنعمل على استغلال مصادرها الغنية، بل تعرضت لهجرات هائلة خلال الحروب التي دارت عليها، مما أدى إلى طرد أكثر سكانها في القرن الثامن عشر، ويعيش الآن في الوادي فلاحون ورعاة يقل عددهم عن نصف مليون نسمة.

وقد تميزت الحياة الزراعية في الواحات والحياة الرعوية في المراعي، تتميز كثيراً عن بعضها في طرق الحياة عبر تاريخ آسيا الداخلية، بحيث لم يتمكن الإنسان من الجمع بينهما، وكان المزارعون والرعاة يتقاتلان مع بعضهما ويتعاملان ويحكمان بعضهما ولكنهما لم يندمجا في مجتمع مستقر.

وبدء عامل التصنيع يتخلل الآن حياة المزارعين والرعاة، حيث ساعدت الأجهزة الآلية على جلب الماء إلى واحة المزارعين الذي كان يُستعمل في جلبه فأس عريض مسطح معروف في آسيا الداخلية، كما ساعد التصنيع الحديث من تحسين نسل الحيوانات المنتجة للأصواف والجلود لم يكن ذلك ممكناً من قبل، بالإضافة إلى استغلال الوسائل المدنية التي جمعت مناطقها المتناثرة في أنحاء سنكيانغ، وخلقت كثيراً من المجتمعات الزراعية والرعوية والمدنية والصناعية والتقنية، ورفعت من مستوى التعليم عن ذي قبل، وكانت مواد التصنيع الأولية مثل الزيت والفحم والحديد تفيد إلى وجودها بكميات كبيرة معروفة في سنكيانغ، كما أن بها مصادر الطاقة المائية ومن المواد الصناعية النادرة الذهب والنحاس.

ودخلت الحضارة الصناعية إلى سنكيانغ من جهتين في وقت واحد، من الصين حيث جاءت الطائرات الأمريكية التي حلقت أحياناً على سنكيانغ، ودخلتها بعض العربات والسيارات كما أن التركتورات الأمريكية التي عبت الطرق إليها، ومنها

الطريق من هضبة التبت إلى ألواح الجنوب، والجيولوجيون الأمريكيون القادمون للتنقيب عن المعادن، كما أن القوات الصينية التي دخلت سنكيانغ في السنوات الأخيرة كانت مجهزة بالأسلحة الأمريكية.

وأما الجهة الثانية فهي مراكز التصنيع السوفياتية التي تتاخم حدود سنكيانغ، فقد عمل الروس في منطقة آسيا الداخلية السوفياتية في المناجم والمصانع وعمليات الري الحديثة والسدود ذات القوى الكهربائية، واستحدث كثيرا من التسهيلات لرفع مستوى التدريب الصناعي مما لا توجد لها مثيل في داخل الصين كلها، والتجارة السوفياتية مع سنكيانغ كانت أساسية، وشعوب سنكيانغ التي ترغب التعليم الجامعي الحديث تناله في الأراضي السوفياتية لا في الصين، وكانت الصناعة مهمة في سنكيانغ، والأسلوبان الرئيسيان في الاقتصاد هما الرعي وزراعة ألواح، وتقع أكثر هذه ألواح الزراعة في حوض تاريم حيث يجلب الإنسان الماء للري في الصحراء، وأما مواطن الرعي فهي في جونغاريا حيث كيف الإنسان نفسه مع الطبيعة، فتخلّى عن الزراعة وتبنى رعي الحيوانات.

### الحياة الرعوية:

وقد ظهر في إحصائية سنكيانغ لعام 1943م أن عدد الأغنام والخرفان (11 720 000) والمواشي (1 550 000) والخيل (870 0 00) والجمال (90 000)<sup>1</sup>، ويتواجد أكثر هذه القطعان في جونغاريا حيث ترعى في السهوب الرعوية التي يمتلكها قبائل القازاق والمغول، وعدد قليل يملكها القيرغيز في المرتفعات الرعوية، وسكان المدن في المناطق الزراعية تملك بعض الأغنام والبقر والثور وهي من أهم الحيوانات التجارية، كما أنهم يتاجرون بالصوف والجلود،

<sup>1</sup> -Chung Chih-yi; Unpublished field notes

وتأخذ حكومة المقاطعة الصينية الخيول من القبائل الرعوية مقابل مدفوعات الضرائب، ويعرض بعضها للبيع، وتربى الجمال لاستعمال القبائل نفسها في تنقلاتها أو سلعة تجارية تباع إلى قوافل تجار الصين.

وتختلف عمليات رعي الحيوانات، ولكل من المواشي والخيول والجمال مناطق رعوية خاصة مختلفة، والمراعي الجيدة لأحد هذه الأنواع قد لا تصلح لتربية الأنواع الأخرى، وهناك اختلافات ملحوظة بين تربية الحيوانات التي تتشابه مثل الياك والبقر أو الغنم والخروف.

والأغنام في السهوب الرعوية ترعى في كل مكان وتشكل عنصرا مهم في الملكية؛ لأن الأغنام سلعة ثمينة في الأسعار بالنسبة للأنواع الأخرى، والسبب الرئيس أن الأغنام تجد في السهوب ما تأكله من الكثير من الحشائش أكثر من الحشائش الملائمة لأكل الحيوانات الأخرى، وقد لا تستطيع الحيوانات الأخرى الرعي<sup>(1)</sup>.

ولكن بمهارة الراعي في اختيار المرعى تستطيع مختلف الحيوانات الرعي معا، والأمر يعتمد كثيرا على اختيار المرعى والمدة التي يبقى فيها، متى سيتحرك وكم سيسير، لأن الراعي لا يترك معسكره ويتحرك لأجل اللهو، لأن السير لمسافة طويلة أو كان في مناطق غير ملائمة فإن حالة الحيوانات تتبدل أو تضعف، علاوة أن الحيوانات الهزيلة لا تستطيع أن ترعى جيدا، وعلى هذا تغيير كل معسكر يجب أن يكون بطريقة يؤدي إلى الاستفادة من المراعي الخصبة بدلا من السير الذي يؤدي إلى الضرر، علاوة على ذلك فالأوقات المفضلة أو الملزمة لرعي الأنواع وبعدها عن البعض مهمة.

1 - وفي تقرير لمنطقة السهوب في تانو توبا Tannu-Tuva التي تتشابه مع منطقة جونغاريا يوجد فيها 600 نوع من النباتات، يأكل منها البقر 56 نوعا، والخيول 82 نوعا، والأغنام تأكل أكثر من 570 نوعا.

ويزاول الرعاة دائما نوعا من الزراعة التي تعتمد على سقوط الأمطار أو الري، وفي الماضي عندما كانت سلطة الرعاة قوية في فترات مجدها كان التابعون أو المستأجرون يزرعون هذه الأراضي لصالح الرعاة، وحديثا عندما تحولت السلطة إلى دولة مستقرة في سنكيانغ كما كان في الفترات السابقة تطور نوعين من العمل: في النوع الأول تم أخذ الرعاة الفقراء إلى الزراعة، وأصبح بعضهم مزارعين دائمين و قطعت صلاتهم بالمجتمع الرعوي متحررين من سلطته، وقضى الآخرون بعض أيام السنة يزرعون الحشائش والحبوب للأغنياء من عشائريهم أو قبائلهم، والنوع الثاني قامت سلطات الحكومة المستقرة بدفع المزارعين إلى أراضي الرعاة لأهداف استراتيجية أحيانا وأحيانا لمجرد الربح.

وعندما سيطر المانشور على مغول جونغاريا في أواخر القرن الثامن عشر، كانت المستعمرات الزراعية وسيلة لإجلاء الرعاة، واستمر هذا الوضع في عهد جمهورية الصين ولا يزال مستمرا، وهذا مكسب اقتصادي تسفيد منه السلطات الصينية بمصادرة الأراضي من الرعاة وبيعها إلى المستعمرين، كما اعتبر مكسب سياسي عندما أدى إلى المعارك بين الأويغور المزارعين والقازاق والمغول الرعاة، وكذلك تم إحضار اللاجئين المزارعين من هونان من وسط شمال الصين لإيجاد مكان لهم في هذا المعترك وتزويدهم بالعربات والبنادق لهدم معسكرات القازاق ( معلومات شخصية من مراقب أمريكي).

وحدث بعض التطور الزراعي بين الرعاة، فقد مارس المغول في باتيك بوغدا الزراعة إلى جانب الرعي<sup>(1)</sup>، كما ظهرت الزراعة بين مغول تورخوت على طول جينغو Chingho في غرب مناس في بداية القرن العشرين<sup>(2)</sup>، وفي عام 1943م حفر القازاق قناة الري من ضفة نهر كونغز Kunges أحد أغنى روافد نهر إيلي، كما حدث

<sup>1</sup> - Douglas Carruthers, Unknown Mongolia, London 1913, Vol.II, p.462

<sup>2</sup> - Sung Po-lu, History of Sinkiang, 1913, Chuan 2, p.8 (in Chinese)



نوعان من التغيير في جنوب حواف تيان شان، فقد انتقل الأويغور ملاك الأغنام بقطعانهم من الواحات إلى مروج القيرغيز الجبلية، و قدم القيرغيز من مراعي باي واوج تورفان لممارسة الزراعة في وادي تاوشخان و قراباغ (1).

## الزراعة في الواحات:

وفي سنكيانغ هناك نوعان من الواحات: واحات الجنوب التي تبتعد عن بعضها بصحراء شاسعة، وواحات الشمال التي تقع في مناطق خضراء يمكن زراعتها بالأمطار أو مناطق خضراء واسعة تساعد على الرعي، وعلى هذه الصفات فإن حياة الواحات النموذجية تتمركز أكثر في الجنوب، ومن المحتمل أن حياة مستوطني الواحات الأوائل على ضفاف الأنهار في الصحراء قامت على صيد السمك والحيوانات وجمع الثمار، واللوبلوقيون Lopliks وهم أكثر الجماعات البدائية التي تسكن منخفض لوب Lop تعتمد حياتهم على المحصول الرئيس من الصيد في المستنقعات، وقد ظهر الري أولاً في المناطق المنخفضة قرب الأنهار حيث التربة اللينة التي لا تحتاج على عملية الري إلا على حفر بسيط لعمل الجدول من الضفاف، ومع تقدم الزمن تطورت المعرفة الهندسية وصار الاتجاه في الواحات هو مد الجداول إلى أعلى النهر نحو الصخور المنحدرة على طرف حواف التلال، وليس إلى الخلف حيث الكتل التي تسد المجرى ويصعب معالجتها، وهناك ثلاثة أسباب لتغير أعلى المجرى: بطئ سرعة الماء من السهل لتراكم الطمي في القنوات، فالأرض المسطحة لا تساعد الماء على الجريان الكافي من الحقول مما يؤدي بالتدريج على تراكم الأملاح، فالجماعات في أعلى النهر يحصلون على الماء أولاً. وقد

<sup>1</sup> - R.C.F. Schomberg, "The Habitability of Chinese Tuekestan "The Geographical Journal, Vol.LXXX, No.6, Dec. 1932, p.510

كان جفاف آسيا الداخلية السبب الرئيس لهجر ألواحات القديمة التي تكونت في الصحراء، ولكن من المحتمل أن الأسباب التي ذكرت أكثر أهمية من أي تغيير مناخي حدث في الفين السنوات الماضية.

ومازال تشييد ألواحة بسيطاً في وسائله، والنموذج المهم هو إيجاد قنال رئيس من النهر يتفرع إلى قنوات صغيرة ثم إلى مجاري تصب الماء في الحقول، ويتم كل هذا الترتيب بحيث يندفع الماء بقوة الجاذبية من مرتفع إلى منخفض بدون ضخ أو نزح الماء بجهاز مثلما هو منتشر في الصين وفي تركستان السوفياتية لرفع الماء من مناطق منخفضة إلى أخرى مرتفعة<sup>(1)</sup>.

ويعتبر نهر ياركند من أهم أنهار الري في سنكيانغ ويعرف روافده

<sup>1</sup> - و يظهر نوعان من السدود استخدمت لتحويل المياه من النهر إلى القنال، من الملاحظات أن الميدانية لبعثة سينكا الأمريكية وصفت سد صلباً على نقطة نهر أقسو يتفرع منها إلى نهرين: كونا درايا أي النهر القديم و ينكي درايا أي النهر الجديد، ومثل هذا التفريع غالباً ما يتكون عندما يتراكم الطمي في مجرى النهر ويندفع بعده ماء قوي في المجرى مما يخفه و يجعل الماء تندفع بقوة من احد جوانب النهر القديم ويعمل نهراً جديدا يخرج منه، ولأن النهر القديم يروي واحات أقسو واوات Avat فقد تم إقامة سدا قويا لإعادة بعض المياه من النهر الجديد إلى القديم، وفي عمل هذه السدود استعملت جذوع أشجار توغراق أو أشجار الصحراء في وضع بعضها على البعض وعمل سياج عليها من الأغصان والحشائش ملئت بالأحجار والحصى، والسد من مثل هذا النوع قليل الكفاءة ذلك عندما يبلغ النهر مستوى الفيضان في شهري يوليه وأغسطس، فإن السد ينهار والمياه المتدفقة من أقسة درايا يأخذ مجره إلى النهر الجديد ومحاصيل ألواحة التي تم تغذيتها من النهر القديم تتعرض للخطر، والسدود الصلبة عادة تبنى على الأنهار الكبيرة و أما الأنهار الصغيرة حيث يمكن التحكم في تدفق الماء بحواجز متحركة عملت بفتحات أو بوابات متحركة، وفي بعض المواقع مثل قارغاليق بدلا من بناء بوابات ثابتة للتحكم في تدفق المياه او وضع ألواح يتم باستعمال الدبش للاغلاق المؤقت.

## العليا باسم زرافشان Zarafshan<sup>(1)</sup>.

وأنهار خوتن وكونجه Konche وقايدو كول Kaidu Gol تمد من الماء ما يكفي قنواتها المتفرعة والمستوطنات على طول مجاريها، ونهرا أقسو وموزرات تجريان إلى واحة كوجار ونهر قيزيل سو تجري عبر واحة كاشغر، وكلها تمد بالماء الكافي ألواحاح التي تقع في مجاريها السفلى.

وكمية المياه في أنهار نظام تاريم أقل بكثير عن نهري سيرداريا واموداريا النهرين العظيمين في آسيا الداخلية السوفياتية<sup>(2)</sup>، ومجموع كميات المياه التي تجري في كل أنهار سنكيانغ يصل إلى 3 400 متر مكعب في الثانية ومنها 70% في حوض تاريم. وفي تقرير في عام 1943م، ذكر أن طول قنوات الري يبلغ 36 000 كيلومترا في سنكيانغ وهناك كثير من العجز في تقنية الاستفادة من هذه القنوات، ومن ذلك التخلص خلال الجريان من رواسب الأملاح التي تتراكم بالري الذي سبق ذكره، ونقص وجود البحيرات والخزانات حتى الصغيرة منها التي يمكن خزن الماء فيها مما يؤدي إلى أن ثلث أو نصف الماء يذهب هدرا، وفي الحساب المعياري الذي يقدره المهندسون عادة لري مترمكعب من الماء في الثانية هو أكثر من 6000 فدان إلا أن هذا الرقم يكون 2530 فدانا في سنكيانغ.

وعددا من أعمال الري الخاصة تستحق الذكر، ومن ذلك كاريز Kariz وهو من أهم قنوات الري من تحت الأرض، وهو من مظاهر

1 - لقد غير نهر ياركند مجراه عدة مرات، والعالم الصيني المشور هسو سونغ Hsu Sung وصف كيف أن رافدين من نهر ياركند اجتمعوا في العقد الثاني من القرن التاسع عشر ليكون واحة مركيت، ولكن خريطة السير اورال شنائين Sir Aurel Stien تظهر مكان اجتماع الرافدين في الوقت الحاضر بعيد عن مركيت، ومن المحتمل أن هذا التغير تسبب في نقص الماء الشديد في مركيت التي كانت مشهورة سابقا بزراعة القطن في سنكيانغ.

2- A.N. Kuropatkin , Kashgaria , Calcutta, 1882, p.22

واحة تورفان، ويحفر الكاريز بدءاً من مستوى الأرض التي يراد ريها متجهاً نحو أكوام الحصى التي تنتشر على حواف التلال التي يحتمل وجود الماء تحتها، ويستمر الحفر حتى يصل إلى جدول ماء تحت الأرض، وعلى طول المنحدر الذي يجري تحته النفق يتم عمل فتحات لمرور الهواء، وعندما يجلب الماء من تحت الأرض إلى السطح المنبسط يتم توزيع الماء إلى الحقول الأخرى بالقنوات العادية، وتختلف أطوال الكاريز من أقل من ميل إلى عدة أميال، وبالإضافة إلى تورفان يوجد الكاريز في بجانغ Pichang وكوما Guma وبذلت الجهود لحفر الكاريز على منحدرات جبال تيان شان الشرقية في شمال باركول بواسطة عمال مهرة من تورفان، وقد يكون الكاريز صغيراً كما هو ملاحظ في واحة قمول، حيث يروي الواحد منه ست ونصف فدان فقط، وأحدث الأرقام تبين الأحصائية التالية:

اسم الواحة      عدد الكاريز      متوسط المروي      مجموع الفدان المروي

من الكاريز

(1) تورفان	370	76	28 000
توقسون	166	65	10 700
(2) قمول	495	7	3 700
المجموع	1 031	0	42 400

وحفر الكاريز يحتاج إلى ميزانية كبيرة، وقبل أربعين عاماً قدر شتاين

<sup>1</sup> -Ni Chao, Report on Sinkiang's Irrigation" Shui-li Wei-yuan-hui yueh-k`an (monthly of the Conservation Administration) August 1945 (in Chinese)

<sup>2</sup> -Huang Yu-hsien, Irrigation in Hami" Ching-chi Chien-she chi-K`an (Quarterly Journal of Economic Reconstruction) Vol, III, No. i, July 1944 (in Chinese)

Stein تكلفة حفر كاريز واحد في تورفان بأكثر من 300 جنيه<sup>(1)</sup>، وحديثاً تم حفر كاريز بلغ كلفته 50 000 دولار في سنكيانغ، وحيث إن مخاطر الفشل في إيجاد الماء مما يثير مخاوف الفلاحين للاشتراك في حفر الكاريز وتهيئته، فالأغنياء من ملاك الأراضي يستأجرون العمال لإنجازه، وعندما ينجحون في عملهم يحتكرون الماء ببيعه إلى الفلاحين الذين يقومون ببيع المحصول لهم. وهذا النوع من المشاريع مربحة لبعض ملاك الأراضي الذين يبيعون أملاكهم لاستثماره في الكاريز<sup>(2)</sup>.

وهناك نقاش عن أصل الكاريز ذات الجذور التاريخية والمعرفية المتنوعة التي عبرت آسيا الداخلية إلى الصين ومنها، ويؤكد هونتینگتون Huntington أن الكاريز قدم إلى سنكيانغ من إيران أو عبر مناطق القزوين Transcaspia حوالي 1780م، ويتفق معه في الرأي كل من بليو Pelliot وشتاين Stein، وأما المؤرخ الصيني وانغ كو-وي Wang Kuo-wei يعتقد أنه قدم إليها من الصين عندما تم فتح المناطق الغربية في عهد عائلة هان المالكة، ولكن هذه المعلومات لا تحل المشكلة، لأن نظام الكاريز استعمله اليونانيون في ساموس Samos كما استعمله أتروسكان Etruscans في إيطاليا في القرن السادس قبل الميلاد، ويعرف في العربية الوسطى باسم الساقى وفي المغرب باسم فوغارا، واستعمل شعب انكاس الري بقتوان المياه الجوفية في البيرو.

وجريان الينابيع والمياه الجوفية مصادر إضافية للمياه في بعض الواحات، ونحو 50 في المائة من مياه الري في قمول تأتي من

<sup>1</sup>- Aurel Stein, Ruins of Desert Cathay , 1912, Vol.II, p.361

<sup>2</sup> - هذا المنهج الرأسمالي في حفر الكاريز ربما تطور موحراً، وربما في القرن الثامن عشر عندما حكم الخوجات تورفان، وتم حفر الكاريز باستعمال القوى الإقطاعية للملاك في استخدام العمال بدون أجر.

الينابيع في المقابل 25 في المائة من الكاريز والأنهار، وفي غولجه وعدد من ألواحات الكبيرة تستخدم مياه الينابيع لري حقول الرز التي تحتاج إلى جريان ماء دائم، وفي واحة قوميش الصغيرة في جنوب توقسون نبع سعته ثلاثة أمتار مكعب في اليوم يروي ثمانية فدان من الأرض، ويلى في الأهمية بعد الينابيع الجداول التي تختفي تحت التلال ثم تظهر ثانية في الواحة أو يعدها وجريان مثل هذا الجداول تسمى ساي Sai ولكنه غير مستقر، وعندما يحفر عليه الكاريز يكون مصدرا هاما للماء، ولكن لا يتم الاستفادة الكاملة منه.

والخزان Tanks كما تسمى في الهند، وهي حفرة صغيرة تستعمل لخن مياه الشرب في المدن وألواحات، ولكن لا تستخدم لحفظ مياه الري، فيما عدا في الواحة المعرضة للعطش مثل مارالباشي. معظم مياه النهر تستخدمه الواحة من مجراه الأعلى في مارالباشي، مما يضطر معه الفلاحون لخن الماء لوقت الحاجة إليه، ومع الأسف الشديد فالخزان الرئيس متصدع حاليا، وإذا لم يتم إنشاء خزان جديد فألواحة آجلا أو عاجلا ستصبح مهجورة.

وقد استعمل الحاكم الصيني تشانغ ياو Chang Yao وسيلة ري فريدة في قمول في القرن التاسع عشر، إذ جلب الماء في قناة خشبية مبطن باللباد عبر الصحراء رملية تربتها مسامية لعدة أميال، ولكن كلفتها كانت باهظة.

ومع أن الزراعة تقوم على الري في شمال سنكيانغ، إلا أن الزراعة فيها لا تنحصر تماما في ألواحات، كما في الجنوب، ومياه الري الرئيسية تأتي من أنهار إيلي ومناس وقررا ايرتيش، ومن بين هذه الأنهار فإن نهر إيلي يتكون من التقاء ثلاثة أنهار هي: كاش Kash، وكونغز Kunges و تكس Tekes، وتدفق مياه هذه الأنهار الثلاثة يأتي من نهري كاش وتكس 100 مترا مكعبا في الثانية ومن نهر كونغز 30 مترا مكعبا في الثانية.

ومناس نهر بطيئ في جريانه، ولكن عندما يفيض يسبب كثيرا من المشاكل، فيقطع فيضانه القنوات ليأخذ طريقه إلى أسفل واحة مناس حيث يكون مصبه بحيرة تلي نور Telli Nor في السهل ثم يصير إلى

## الجفاف.

ومنابع المياه لنهر ايرتيش يقع في التاي حيث مستوى الثلج أقل مستوى مما هو في جبال تيان شان، وجريان ماء النبع يكون متقدما بستة أسابيع في ايرتيش مما في نهر مناس ويكون مفيدا لزراعة الربيع.

وحيثما يمارس الري تكون حقوق الماء أكثر أهمية من امتلاك الأرض، وفي سنكيانغ نوعان من القواعد والعادات بالنسبة للماء، أحدهما يرتبط بالكاريز، والآخر ينتشر انتشارا واسعا مع الماء، وتاريخه معقد ومتنوع.

لا شك أن الحقوق والواجبات والعادات التي تتصل بالممارسة البسيطة في جلب الماء في جداول من الأنهار يرجع إلى الشكل القديم للعمل في مشروع جماعي، ولم يكن الماء يوزع للأفراد بموجب الأملاك الخاصة لهم، ولكن على مجموعة المزارعين أملاك الحقول الذين يعملون بعنوان جماعي.

في المجتمع الذي لا يملك رأس المال الكبير الخاص ليس من المستغرب أن العمل يبدأ فعليا بالاعتماد على الجهد العام الذي يبدأ بالاجتماع وبتوجيه وممارسة السلطة العامة، ومن المثال النموذجي لمثل هذا العمل في حفر قنال الري في واحة جيرا Chira الصغيرة فقد اجتمع 300 رجل من ستة قرى تحت سلطة رؤساء القرى، وعلى أي حال كان بالإمكان إدارة هيئة القرى من قبل سلطة عليا للموظفين الصينيين، والقاعدة الرئيسية أن يقوم المحليون برئاسة كبار القرى أو رؤسائهم وإشرافهم بالتعاون في العمل إذا كان محدودا، وأما إذا كان مجال العمل أكبر فالأمر يحتاج إلى تدخل السلطة الصينية الرسمية، ومن حيث تدخل الموظفين الصينيين.

فقد أظهر متابعة الممارسات القديمة من البحث الميداني في قرية في واحة كوجار أظهر أن (كتمان Ketman) العمل وهو مصطلح يعبر عن وحدات العمل والأرض والماء، والكتمان: معول ذو نصل عريض تستخدم في الزراعة في آسيا الداخلية، ومازال يستخدم إلى اليوم

بشكل أوسع من المحراث، وعمل كتمان يعني عمل رجل واحد ساهم في حفر قنال ماء يكفي للري من عشرة فدادين إلى أربعة عشر فدان، واستحق معه لقب "كتمان ماء".

مهما يكن في هذه القرية فإن تطابق المفهوم يبرهن أنه لا يعكس بالضرورة التطابق في حقوق الماء، مثلاً 80% من مجموع السكان هم ملاك الأراضي والفلاحون الأغنياء، ولكن هذه النسبة تملك نصف كامل الماء الآتي، وفي الطرف الآخر فإن 17% من السكان لا يملكون حقوق الماء، وعليهم شراء الماء بجزء من محاصيلهم، وبين هذين الطرفين فإن سكان المنازل يملكون 75% من الماء، وهؤلاء يصنفون على أنهم متوسطو الدخل وفقراء الفلاحين ولكل مالك المنزل منهم في المتوسط ثلث "كتمان ماء".

والمشكلة التي تحدث بين العمال المساهمين، وتقسيم حقوق الماء ترجع إلى أمور كثيرة، وبالنسبة للقاعدة الإسلامية للموات *mavat* الأرض الذي يسقي لأول مرة له الحق في الماء والأرض أولاً، ولكن بالتفكير المنطقي لن يكون من الصعب متابعة الحق التقادمي المشاع لرجل يساعده عمله لجلب الماء إلى الحقل، الذي قد يدعي عليه رجل آخر نظم العمل وأدار المشروع.

وفي عام 1940م في آقسو أواحة الكبيرة أمر الحاكم الصيني للمنطقة بحفر قنال لفتح مستوطنة جديدة في ساجينتز *Sachintze* على بعد 40 ميلاً في جنوب المدينة، ومنح كل صاحب منزل تقدم للاستملاك في المستوطنة الجديدة قطعة من الأرض مساحتها مائة قدم على ضفة القنال الرئيس، ثم تم السماح له أن يأخذ من خلف القنال من الأرض ما يستطيع أن يستغلها ويحتاج إليها من الماء، وهكذا نال حق الأرض والماء، وترك الاستغلال من الفرص على قدرة وترتيب المستوطن، وليس من المستغرب أن هذا الوضع أدى إلى النزاعات المستمرة حول حقوق الماء، لأن الأقوياء وذوي النفوذ في المجتمع يحصلون على الماء الدائم والكثير، ويضطرر غيرهم على الجدل، ومنذ أكثر من 100 عام عندما كانت الإمبراطورية المانشورية تمارس سلطتها في سنكيانغ كانت تمارس حكمها في



سياسة الأمور العليا، ولا تتدخل في الأزمات المحلية إلا نادرا، ورصد كاتب صيني انتهاك البكوات والنبلاء المحليين والجهود التي تبذلها الإدارة الصينية لدفعهم على التنازل بعضا من حقوق الماء للفلاحين الفقراء.

وفي القرن الثامن عشر فقد لاحظ كاتب مانشوري أن البكوات أو طبقة ملاك الأرض يملكون الحق على أصحاب المنازل الذين لديهم خدم أو عبيد ويجبرونهم على العمل في حرث الأرض لهم<sup>(1)</sup>، ومع ادعائهم بحق استخدام عبيدهم فالبكوات بدعوى أحياء أرض الموات يدعون بحقهم في استعمال القنوات التي حفرها أولئك العبيد<sup>(2)</sup>، الذين يجبرون على العمل هنا وهناك، وعند دراسة الحقل مثلا في كوجار فإن أحد ملاك الأرض استخدم أكثر من مائتي عبد لصاحب منزل بدعوى أن له حق خدماتهم أو أجورهم.

وعندما يصل الماء إلى الحقل يتم حساب حصته للمزارع بمعايير تدفقه لعدد من الساعات حسب عرض وعمق القنال، وأما أصحاب الطواحين يحق لهم استعمال الماء لإدارة عجلات الطواحين ثم إعادته إلى القنال، والإشراف والتسجيل والتنظيم على هذه الأمور يتم تحت سلطة رجل يسمى ميراب Mirab الذي يتم انتخابه محليا، ويلعب في انتخابه الأسر المحلية ذات النفوذ القوية لاختياره، ورجال الدين الإسلامي لهم حقوق تقليدية معينة وخاصة في التقاضي.

ومن المشاكل التي تحدث بين الأهالي عادة على الماء، عندما يصر كل مزارع أن يحصل على الماء لأرضه، وهذا يحدث دائما بين الأهالي الذين في أعلى مجرى الماء وبين الذين في أسفله، وقد

<sup>1</sup> -Sung Yin, A Sketch of Sinkiang, written in the 18<sup>th</sup> century, published in 1821, Ch.3, p.28 (in Chinese)

<sup>2</sup> - E. Zalkhina, Outlines of the Agrarian Problem in Central Asia, p.9 (in Russian)

استمر النزاع لخمسة وعشرين عاما بين ياركند المدينة الكبيرة والقوية وبين مركيت البلدة الصغيرة، ولكنها غنية بزراعة القطن، والنزاع يمكن أن يكون من الإدارة الأدنى إلى الإدارة العليا.

والنزاع بين قريتي بوناك Punak وماليهالي خان Malihalihan في ضاحية جيرا رفع إلى إدارة منطقة خوتن، التي قررت أن يسحب الماء من بوناك لمدة يومين في كل من شهر فبراير وأبريل ويؤنيه إلى ماليهالي خان، وتدخلت السلطة العليا لحل النزاع، وكان فرصة للموظفين الصينيين لأخذ الرشاوي.

ألواح قد تختلف كثيرا في حجمها ولكنها تتشابه كثيرا في بنائها، وكل واحة قد تكون قرية أو مدينة يحيطها السور، وألواح الكبيرة قد تكون لها بلدات عديدة، ويدعى هذه أسواق Bazsrs ويوجد فيها الصانعون مثل الحدادين والنجارين والنحاسين والإسكافيين وصانعي العربات، وفي الأسواق الصغيرة التي لا تكون فيها متاجر ثابتة ويكون سوقها اليومي في مختلف أيام الأسبوع، ويتردد إليها التجار وأصحاب المهن والصناعة.

وتوجد حول الأسواق المزارع الملحقة بأصحاب المساكن التي تملكها، والعمل المهم لأسواق ألواح هو توزيع مخلفات الليل لاستعماله سمادا في المزارع، وما يكون قريبا من الأسواق تستقبل الكثير من مخلفات الليل مما يساعد على ظهور الحدائق التي تنتج الفواكه والخضروات لبيعها لغير المزارعين من السكان، وفي كوجار وهي واحة كبيرة إلى حد ما يستعمل السماد بوفرة ضمن قطر قدره خمسة أميال تبعد من منطقة المدينة، وفي هذا النطاق توجد حديقة قدرها خمسة وسبعون فدان تنتج فاكهة المشمش وهي سلعة رائجة في السوق.

وخلف هذا النطاق ينخفض استعمال السماد سريعا، وبعدهما نطاقين آخرين مختلفان بالسماد، فالأقرب لمزارع الأرز والذرة والقمح، كما يمكن زراعة القطن، وأما القمح والذرة يمكن زراعتها بالتناوب، وفي النطاق الثالث عادة لا يصل إليه السماد وتزرع المحاصيل الصلبة مثل الدخن والسرغوم (Kaoliang) والبطاطس ثم يترك

للممارسة القادمة، وعندما تترك بعض الحقول خاليا للمتابعة القادمة، يكون الحقل الصغير في التنافس مع الحقل الكبير، وفي هذا الحال فإن نفقات النقل إلى السوق ترتفع سريعا وينخفض سعر الأرض.

وخلف هذا النطاق الثالث يكون الصحراء حيث لا يجد الماء، ومع ذلك يوجد في بعض الأوقات على حواف الواحة منطقة رعوية صغيرة ترعى فيها الأغنام كما ترعى على جوانب الطرق، وفي الأراضي التي لا تصلح للزراعة في الواحة، كما ترعى في الأراضي الصحراوية التي تتلاشى فيها الأنهار الجافة.

والدولاني Dulani وهم شعب رعاة غير معروف، ولكنه في الأصل رعوي يعيش حياة تشبه العجر منعزلا عن الأويغور سكان واحات تاريم، ويربي الأويغور والدولان الأغنام لجودة لحمها أكثر من أصوافها.

ومعظم الطعام يستهلك في الواحات التي تنمو فيها، وقد يفيض في بعض الواحات، ويتم بيعه إلى الواحات التي تعاني النقص وتحتاج إليه، وغذاء الأويغوري القروي يقوم عموما على الحبوب، واستهلاك السكر والسمن واللحم قليل، ماعدا الأغنياء، وعادة لا يستعمل الحليب في الطعام، وقدر السعر الحراري اليومي لقروي بالغ في قارغيليق ب 1215 من دقيق القمح ومن الذرة 1215 ومن لحم الضأن 150 في عام 1943م.

وطبقا لأرقام المسح الميداني الحديث التي ساعد في التقديرات التقريبية مما لم يمكن وضع جدول الإحصائية الدقيقة، يفيد أن محصول القمح السنوي يبلغ 253 000 طنا في سنكيانغ، مما يمثل 44% من مجموع محاصيل الحبوب والبقول والبنذور، و محصول الذرة يبلغ 331 000 طنا أو 28%، والرز 71 000 أو 6%، والشعير والشوفان والبازلاء والتي تصنف جميعا وتستهلك على أنها حبوب الغذاء، وتزرع جميعها في جونغاريا في الحقول التي تروى بسقوط الأمطار، وتباع لغذاء قوافل الجمال التي تسير مسافات طويلة في تجارتها وقت السلام إلى جمهورية منغوليا الخارجية عبر منغوليا

الداخلية إلى شمال الصين عبر الممر الصحاري في شمال غرب الصين. ومجموع المحصول يبلغ 119 000 طناً، أو 10%، وأما الدخن وفول الصويا والفول الأخضر يزرع بالتناوب في نفس الحقل ويصل الإنتاج إلى 71 000 طناً، أو 6%، والسهم والشلم وبذر الكتان فيقدر 71 000 طناً أي 6%.

ومن المحاصيل الثانوية زراعة الشامام في جميع الواحات، وشرائح الشامام المجفف يصدر بالقوافل من قمول إلى الصين على أنها من الحلوى اللذيذ، وينافسها زبيب تورفان في الشهرة، وفي ممرات التلال في طرف تورفان وفي خوتن يزرع العنب ذو الشهرة المحلية.

وأغصان الصفصاف الذي ينمو على طول ضفاف القنوات يحصد عادة لاستعمالها وقوداً، والنوع الآخر من الوقود الذي يؤدي استعماله إلى تناقص السماد هو روث الحيوانات، التي يجمعها كبار السن والأطفال، الذين يلاحقون الحيوانات في المراعي والطرق، ومن أهم مصادر الوقود شجرة الطرفاء Tamarisk الصحراوي التي تجمع من وراء الواحات.

ومن بعض خصائص سنكيانغ الزراعية أن قمح الشتاء ينمو في شمال تيان شان ذا الطقس البارد حيث يحمي الثلج البذور، ولكن في جنوبها يمكن زراعة قمح الربيع فقط، حيث يقل غطاء الثلج وتعرض البذور للتجمد بالأرض، ويميل الفلاحون إلى استبدال القمح بالرز في الحقول التي تصير قلوية بسبب كثرة الري، ومن جهة أخرى فإن إنتاج الرز أقل من الذرة لأن الفلاحين الأويغور لا يعاملون مشاتل الرز الصغيرة كما يفعل الصينيون، مع أن نسبة العمل التي يستنفد في خدمة قطعة الأرض في سنكيانغ تقريبا نفس النسبة في الصين ولكن الإنتاج قليل.

والقطن محصول زراعي تجاري هام في سنكيانغ، وقد عرف زراعته في تورفان منذ أوائل عهد عائلة تانغ T`ang المالكة (618-907)

كما استخدم لدفع الضرائب في ياركند في عام 1750<sup>(1)</sup>، كما كان بالدرجة الثانية في الأهمية بعد القمح في المحاصيل الصادرة إلى روسيا في عام 1776م(2)، ومنذ عام 1890م، يتركز زراعته في جنوب تيان شان و تورفان ومركيت (على الطرف الشمالي لواحة ياركند) من أوائل منتجي القطن، وتليها ياركند وخوتن وكاشغر واقسو.

ويزرع نوعان من القطن محلي وأمريكي، وبعد أن فشل تجربة زراعة قطن بحر الجزيرة Sea Island في تاشكند في سبعينات القرن التاسع عشر نجح تاجران روسيان بلياكوف Belyakov لاختين Lakhtin بزراعة قطن المرتفعات Upland في عام 1883م، وبعد عام 1885م بدأت الأنواع الأمريكية تحل محل الأنواع المحلية في فرغانة وسمرقند، وبعد ذلك بسنوات عمل العملاء الروس على تحسين النوع الذي يزرع في سنكيانغ بتوزيع البذور الأمريكية على مزارعي القطن فيها<sup>(3)</sup>، وحتى عام 1942م تم استيراد كميات كبيرة من البذور سنويا من الاتحاد السوفياتي، خاصة نوعي الأصلي الأمريكي وهما "شردر Shredder" و "نوفرزكي Novrozki" من الأنواع الأمريكية ذات التيلة الطويلة من 25-29 مم، التي تساعد على غزل نسيج 32، بينما أنواع التيلة القصيرة في آسيا الداخلية لا يساعد إلا على نسيج 24، وفي عام 1943م تم زراعة مائة ألف فدان من القطن منها 73% من النوع المحلي و23% من الأنواع الأمريكية.

ويأتي الحرير المحصول التجاري في الأهمية منذ القدم، ومن الواحات

<sup>1</sup> - Kuropatkin, p.126

<sup>2</sup> - Chuan Yuan, Geography of the Western Regions, written 1776, published 1818, chuan I, p.1 (in Chinese)

<sup>3</sup> - Economy in Sinkiang , Chinese Weekly Economic Bulletin , Chinese Government Bureau of Economic Information, pp.16,109: April25,1925

المشهورة خوتن وياركند، ويصنع جزء من الحرير محليا منسوجات، وقد هبطت كثيرا من قيمتها وجمالها في السنوات الأخيرة، وكان يصدر منها إلى الاتحاد السوفياتي والهند، وتربى دودة القز على أوراق أشجار التوت التي تنمو على أطراف الطرق، كما توجد بعض حدائق أشجار التوت البري، وفي السنوات الأخيرة حاول بعض الروس على تحسين دودة القز بجلب البيوض من بغداد واورو Oro واسكولي Ascoli، وبلغ إنتاج الحرير 350 000 كيلو في عام 1942م، ولكنه هبط بشكل قاس إلى 100 000 كيلو في عام 1943م.

والوحدة الرئيسية المنتجة في ألواحة الزراعية هي الأسرة التي يعيش أفرادها تحت سقف منزل واحد، وهذه الأسرة غالبا ما تضم أبناء متزوجين، مما يجعلها أكبر في المتوسط عن الأسرة الزراعية في الصين، وفي وسط الصين (ووكيانغ Wukiang) متوسط الأسرة

يتكون من أربعة أشخاص<sup>(1)</sup>، وفي شمال الصين (باوتينغ Paoting

من ستة أفراد)<sup>(2)</sup>، وفي شمال غرب الصين (كانسو Kansu)

فالأ أسرة من 6.87 أشخاص<sup>(3)</sup>، وحسب مسح ميداني في خوتن

فالأ أسرة من 7.95، وفي كاشغر فالأسرة تتكون من زوجين كبيرين

وولدين وثلاث كنان، وفي واحة قوميش الصغيرة فالأسرة تتكون من والدين وثلاث أولاد وكنتين وابنة مع زوجها ومجموعهم تسع.

بينما متوسط المزارعة في حوض تاريم يتراوح من 4.5 فدان إلى 6

فدان، أي: أكبر من نسبتها في عموم الصين، حيث تكون نسبتها 4,2

فدانا<sup>(4)</sup>، والأسرة الكبيرة مثلا في خوتن تعني 58 فدانا للرأسمال،

بينما في عموم الصين 68.

وبالطبع يوجد كثير من المزارع الصغيرة التي يقل متوسطها عما

<sup>1</sup> - Fei Hsiao-tung, Peasant life in China, New York ,1939, p.29

<sup>2</sup> -Farm Survey Conducted by Institute of Social Sciences, Academia Sinica

<sup>3</sup> -Farm Survey Conducted by the National Resources Commission of China

<sup>4</sup> - Geo>B. Cressey, Asia, Lands and Peoples, New York 1944, p.84

سبق، والمسح الميداني لخمس وستين أسرة في قريتين في واحة خوتن أظهر أن المزرعة الصغيرة تكون من 1.08 فدان، وأن المزرعة الأكبر 18 فداناً، ومن تحليل الأرقام لـ 65 من الأسر يتضح أن متوسط حصة كل أسرة غنية هو 11.1 فداناً، وأن متوسطي الفلاحين 5.7 فداناً، وأن الفلاحين الفقراء 2.8 فداناً<sup>1</sup>، ومزارع الفلاحين الفقراء صغيرة لاستعمال حيوانات الحراثة فيها، والمشكلة كيف يمكن لأسرة أويغورية كبيرة الاستفادة بكفاءة من مثل هذه المزرعة الصغيرة.

## التجارة وموارد المال:

واليوم كما كان في جميع أدوار التاريخ إن أكبر قسط من تجارة سنكيانغ هي مع الممالك التي تقع في الغرب، وليس مع الصين التي تقع في الشرق، وقد حظي الاتحاد السوفياتي في تجارته مع سنكيانغ بعوامل جغرافية حيث تقع الأجزاء الغنية منها على طول الحدود الغربية، ويتم نقل البضائع بينهما بطرق قوافل التجارة السهلة، ومن الصعب تغيير سير التجارة حتى بتشديد طرق القطارات وتهيئة طرق المواصلات مع الصين؛ لأن على الطرق الجديدة أن تقطع مئات الأميال من الأراضي القاحلة التي لا تتوفر فيها الأسواق والعمال

1 - ومهما يكن فقد تبين أن الفلاحين الأويغور لا يقيسون أراضيهم بحجمها ولكن مصطلح يحدد مقدار البذور التي يمكن أن تنتشر فيها المقياس الأويغوري لمثل هذا الموضوع يسمى " جارك Charak" الذي يختلف من مكان لآخر طبقاً لمقياس البذور، في كاشغر الجارك يساوي 24 رطل من القمح و25 من الشعير أو 26 من الذرة، والرقم الناتج من هذا المسح الميداني يظهر أن متوسط المزرعة التي يزرعها أسرة واحدة تكون 25.8 جارك، والأكبر يزرع 100 جارك والأصغر ست جارك، وتبين من هذا المقياس أن الجارك الواحد من البذور يزرع 18. من الفدان وعلى هذا إن متوسط حجم المزرعة في هذه القرى هو أربعة ونصف فدان.

الذين يمكن استئجارهم لحمل الأمتعة.

ومحاصيل الزراعة والرعي تساهم في تجارة سنكيانغ، ونظريا يمكن كل من المزارعين في ألواحات أو الرعاة في مراعي السهوب الحياة بدون تجارة، وطريق حياة كل منهما يساعد على توفير ما هو ضروري لما يطلبه المجتمع، وتاريخيا كما يلاحظ لم يستمر طويلا مثل هذا الانغلاق، وهناك دلائل على وجود التجارة في العصر الحجري الحديث، وفي الواقع الفقراء من الفلاحين والرعاة فقط لا يجدون ما يبيعونه من الفائض، وعندما جاء الصينيون إلى سنكيانغ في عهد عائلة هان لأول مرة ذكرت السجلات التاريخية وجود تجارة بين ألواحات: مملكة شان شان الصغيرة (قريبة من لوب نور) بولي Pu-li وأيناي I-nai كانت تجلب القمح من ألواحات الكبيرة، جرجن Charchen و ياركند وكاشغر، ونظرا لأن واحات جارخيليق وتورفان كانت أحيانا تحت حكم الهون "هسيونغنو Hsiungnu" الرعوية كانت هناك فترات لتجارة ثلاثية بين الصينيين والرعاة وألواحات مع التوقف في فترات الحروب.

ومن الصعب فصل التجارة القديمة عن الدبلوماسية القديمة، ومن ناحية أخرى كانت تجارة طريق الحرير عبر آسيا الداخلية لمسافات طويلة بسلع فاخرة تعبر ألواحات بدون أن يكون ذا أثر في الحياة الاقتصادية، وفي نفس الوقت عمل حكام ألواحات في التجارة بأسلوب مغاير وذلك بإرسال السفراء بالهدايا إلى البلاط الصيني، وبالمقابل أرسل الصينيون هدايا قيمة، مادام ذلك يكلف أقل من إرسال البعثات الحربية لاحتلال ألواحات ومحاربة الهون "هسيونغنو Hsiungnu"، كما تم إرسال الحرير هدايا دبلوماسية من قبل حكام ألواحات إلى الممالك الروسية في آسيا الداخلية وأفغانستان وإيران، وفي المقابل تلقى هؤلاء هداياهم، لأن ألواحات كانت محصورة بين الرعاة (الهون) وبين الصينيين، وهما يتنافسان في القوة والسيطرة، وممالك ألواحات الصغيرة تعمل لاسترضائهما.

والأشكال الأخيرة من التجارة أخذت أشكالها العادية: عندما يمكن معرفة قيمة السلع التجارية عندئذ يمكن التنازل عن التمسك بالاقتصاد



وشراء الطعام وغيره من الضروريات، وفي الوقت الحاضر هناك تجار القمح بين الواحات التي لا تكون فيها مدن كبيرة مع التي تكون فيها، مثلاً: من جيرا إلى خوتن، من قراقاش إلى كاشغر، وحتى من ياركند حيث سكانها أصغر بالنسبة إلى الأراضي الزراعية إلى كاشغر، وهي أكبر مدينة في المقاطعة، وقمول التي تعاني نقصاً سنوياً بقدر 50 000 مكيال وتشتري الحبوب من موليهو Muleiho وكوجنغتز Kuchengtze. وتورفان التي تعتبر منطقة زراعة الغذاء تستغل ذلك لزراعة العنب وتشتري الحبوب من واحة توقسون، وحركة الحبوب في جونغاريا تستغرق مسافة كبيرة، حيث تأتي الحبوب إلى أرومجي من غولجه التي تبعد عنها 400 ميلاً، وقد تستغرق الرحلة عدة شهور في فصل الشتاء الذي تتساقط فيه الثلوج بكثافة مما يعيق حركة العربات وتكلف الأجر الكبير، والتاي تجلب الحبوب من كوجنغتز Kuchengtze ومن بعدها حيث تكون أجرة النقل بالجمال أرخص؛ لأنها تتغذى على الأعشاب في السهوب في طريقها.

الحبوب والأقمشة والتبغ سلع رئيسة في التجارة بين الواحات والقبائل، وبالمقابل مواد التجارة منهم تحتوي على الأغنام والخرفان والبقر للمسالخ والذبح والثيران والخيول للعمل والخيول الجيدة للركوب والصوف والجلود مواد خامة لأصحاب المهن والصناعة.

وأحدى مميزات التجارة الخارجية لسنكيانغ الضرورية تجارتها مع الصين؛ لأنها تتميز بالعناصر الاقتصادية والسياسية في التجارة مع بلد أجنبي على الرغم من السيادة الصينية، وإن سنكيانغ أصبحت مقاطعة إدارية منذ عام 1884م، والولاة الصينيون لحكومة المقاطعة يعتبرون أنفسهم دائماً حكاماً مستقلين، وفي عهد الحكم المانشوركانت سنكيانغ تتلقى ميزانية ملكية من بكين، وكان هذا دعماً سياسياً أكثر أهمية من أنها عملية التجارة، ومنذ عام 1911م في عهد الجمهورية كانت سنكيانغ في الأغلب تعتمد على نفسها، وحكامها يحتكرون كل التجارة حتى مع الصين، ليس بهدف بناء اقتصاد المقاطعة، ولا برغبة إيجاد التوازن التجاري بين سنكيانغ

وبقية الصين، بل للإغتناء الشخصي في تراكم الثروة بطرق يمكن التفاوض عليها؛ لأنهم جعلوها في مناطق خارج الصين.

وكذلك تعيق العوامل الجغرافية تجارة سنكيانغ مع بقية الصين؛ لأن صحراء سنكيانغ الشاسع يفصلها عن أطراف الصين، والمسافة بواسطة قوافل الجمال مثلاً من كوجينغتز Kuchengtze عبر منغوليا الداخلية إلى مركز قطار الحديد في مقاطعة سويوان Suiyuan لا تقل عن 1200 ميلاً، والمسافة ستكون أكبر بالعربات والقوافل من قمول عبر الصحراء إلى ممر كانسو ثم بالعربات من كانسو إلى محطة القطار في مقاطعة شنسي Shensi، والنقل بالعربات أكثر كلفة من النقل بالجمال، وعلى هذا ليس من المستغرب أنه قبيل ثلاثينيات القرن العشرين وقبل سنوات الحرب كانت نسبة تجارة سنكيانغ الخارجية مع الصين بنسبة 12.5 % فقط.

تاريخياً بعد عصر طريق تجارة الحرير وبعد تجارة العصور الوسطى كان الشاي السلعة التجارية الهامة بين الصين وكاشغرمند عام 1750م<sup>(1)</sup>، ولاتزال سنكيانغ تستورد منها الشاي والحرير والبضائع القطنية المصنعة التي تنافس الغزل المنزلي، والسلعة المربحة ولكنها ضرورية مثل الخزف والسجاجير والكشافات الضوئية والقبعات الغربية، وأما صادراتها الثمينة إلى الصين فهي الزبيب واليشم والفراء، وأكثر الصادرات تأتي من جلود الأغنام والجمال وأمعاء الأغنام (الصناعة السجق)، وكميات الصادرات إلى الصين تعتمد على السوق الروسي؛ لأن قرب المسافة إلى مركز القطار في الاتحاد السوفياتي يجعله منافساً قوياً لما يمكن تصديره إلى الصين.

والتجارة مع جمهورية منغوليا الشعبية قليلة الأهمية دوماً؛ لأنها بلاد رعوية وتتصل بالمناطق الرعوية في سنكيانغ، وما يمكن أن تصدره إليها هو الحبوب ويمكن نقلها على الجمال بسعر رخيص.

والتجارة مع الهند قليلة، فقد وصلت نسبتها 5% في أوائل الثلاثينات

<sup>1</sup> - Kuropatkin, op>cit

من القرن العشرين، وذلك بسبب مشكلة الطريق الرئيسية التي تعبر خمس ممرات جبلية، لا يقل ارتفاعها عن 17 000 قدما، من قراقوروم إلى ليه، ومنها تتحدر عبر ممرات جبلية إلى كشمير. ومتوسط فقدان حيوانات القوافل فيها تصل إلى 40%، ومع أن السياسة البريطانية عملت على تشجيع التجارة مع سنكيانغ إلا أنه في السنوات الخمسين الأخيرة لم يتحقق غير الهدوء، وقد استقر التجار الهنود في واحات الجنوب الغربي يستثمرون مدخراتهم جزئيا في المعاملات البربوية التي أدت إلى محاكمات واستيلاء، وعمل بعضهم حتى السنوات الأخيرة في زراعة القنب الهندي Charas وهو نوع من النبات ينتمي إلى الماري جونا Marijuana المخدر، ذات القيمة العالية ونقلها عبر الممرات إلى الهند ويزيدهم ربحا، وقد وصلت نسبة تجارة المخدرات إلى الهند 42% في عامي 1937-1938م، وكانت من الأسباب التي قضت على مصالح بريطانيا في سنكيانغ، وذلك خلال حكم شنغ شيه تساي Sheng Shih-ts'ai الذي عرف بشعار "ضد الأمبريالية".

وهذه القيود التي حددت تجارتها مع جهات أخرى سهلت التجارة مع روسيا، وكانت الجهة الوحيدة التي تبث النشاط في الحياة الاقتصادية في سنكيانغ، وكانت التجارة معها قد وصلت نسبتها إلى 82.5% من تجارتها الخارجية في أوائل ثلاثينات القرن العشرين، وأكثر المناطق السكانية والإنتاج في سنكيانغ تقع بالقرب من روسيا من أي سوق آخر، وهذا الوضع هو الذي مكّن السياسة السوفياتية من احتكاره كاملا وإن لم تخلقها.

وكان القطن أهم سلعة مصدرة إلى روسيا من ألواح من منذ عام 1890م، وسجلت الجمارك السوفياتية 2676 طن متري من القطن المستورد من سنكيانغ في عام 1926-1927م، بينما نسبة القطن المصدر يقل عن 10% من مجموع صادراتها إلى الاتحاد السوفياتي، وتظهر أهميتها التجارية أن أكثر من نصف محصول واحة تورفان، وهي من أكبر ألواح إنتاجا يباع عادة إلى الاتحاد السوفياتي،

وعندما منعت السلطات الصينية التجارة مع الاتحاد السوفياتي في عام 1943م، وتدهورت العلاقات السياسية تأثر الإنتاج وهبطت الأسعار كثيرا.

ومن المناطق الرعوية كانت المواشي أهم الصادرات إلى الاتحاد السوفياتي، وتليها منتوجات المواشي من الصوف والجلود، ولأن دوائر الإحصاء الروسية لا تعطي الأرقام لهذه الصادرات فمن الصعب تأكيد قيمتها الفعلية، ولكن من الشاهد أنها تتجاوز كثيرا قيمة صادرات الواحات، وقبل الحرب العالمية الأولى والثورة الروسية قدر عدد الأغنام فقط التي بيعت إلى روسيا بـ 300 000 رأس في عام 1913م، ويمثل 10% من عدد الأغنام الموجودة في منطقتي غولجه وجوكوجاك، ثم تدهورت التجارة كثيرا إبان الثورة والحرب الأهلية، ولم تتحسن إلا في عام 1925م، فقد تم تصدير 90 000 رأس من الغنم في عام 1926م، وأحد الكتاب الروس ذكر أنه في النصف الأول من عام 1926م، بلغ قيمة مشتريات الروس من الأغنام ما نسبتها 32% من جملة المشتريات من سنكيانغ، وأن مجمل الواردات من المواشي منها بلغ نسبة 48%<sup>(1)</sup>، وذكر كاتب روسي آخر أن قيمة المواشي ومنتوجاتها التي اشتراها السوفيات من سنكيانغ، بلغ نسبتها ما بين 79-93% فيما بين 1930-1933م<sup>(2)</sup>.

وهذه التجارة كانت مفيدة إلى الطرفين، وعندما انخفضت التجارة إلى أدناها فيما بين 1918-1924م، عانت سنكيانغ كثيرا، حيث بيع القطن بأقل سعر، لتقابل نفقات نقله بالقوافل لمسافة 1500 ميلا من تورفان إلى محطة القطار في سوييوان Suiyuan ومنه بالقطار إلى تينتسين Tientsin ومنها بالسفن إلى شنغهاي، حيث ينافس القطن

<sup>1</sup> - N. Stefanov, The Foreign Trade of the U.S.S.R. in Central Asia, in Planned Economym Moscow, Oct.1926(In Russian)

<sup>2</sup> - P.M. Fesenkoand Others, Iran, Afganistan and Sinkiang, Moscow,1936, p.346 (in Russian)

الأمريكي، وخلال الانحطاط وتدهور الأسعار قَدّم بعض رجال الأعمال الأمريكيان والألمان وتجار صينيون من تيننتسين Tienstin لاحتكار تجارة منتوجات الأغنام وتصديرها مع الصوف والجلود إلى الساحل البحر البعيد واستيراد المنسوجات اليابانية والأحذية الأمريكية والسكر وغيرها من المصنوعات، واستمر الحال إلى أن بدأت التجارة تتحسن مع روسيا وارتفعت الأسعار، ثم لم يتمكن هؤلاء الرجال من المنافسة طويلا.

وقد أشار الباحثون الروس إلى أن نمو المدن الاستهلاكية في آسيا الداخلية السوفياتية كانت تعمل على زيادة طلب اللحم من سنكيانغ (1)، ومناطق زراعة القطن السوفياتية هم تجار يشترون الرخيص (2)، وعندما تم التحول من الزراعة المتنوعة إلى الزراعة المتخصصة، وخاصة في أوزبكستان، صاحب ذلك عمليات التصنيع في آسيا الداخلية السوفياتية كلها، وارتفع الطلب على الحيوانات من سنكيانغ، وأدى هذا إلى رفع العمليات التجارية في الاقتصاد الرعوي لقبائل الرعاة في سنكيانغ.

وواحاحات سنكيانغ مع كثافتها السكانية نسبيا كانت تضطر لشراء كثير من مواد الاستهلاك من الاتحاد السوفياتي أكثر مما تبيعه، ولكن من جهة أخرى إن شمال سنكيانغ الذي سكانه قليل ولكن ثرواته من المواشي كثير كان يبيع إلى الاتحاد السوفياتي أكثر مما يشتري منه، وهم بفائض أموالهم يشترون من الواحاحات، وهكذا فالتجار بين السوفيات وسنكيانغ تعمل في دائرة متحركة - من جونغاريا إلى الاتحاد السوفياتي، ومنه إلى الواحاحات ومنها إلى جونغاريا تكتمل الدائرة، والنتيجة عندما تتدهور التجارة مع الاتحاد السوفياتي، فالتجارة تعاني كثيرا في سنكيانغ.

<sup>1</sup> - Stefanov, op.cit

<sup>2</sup> - O. Buskshtein, "The Trade of the U.S.S.R. with sinkiang "New East, 1928< no.10-21 (in Russian)

وفي الأوقات العادية عندما تكون دورة التجارة نشطة يتعزز الميزان التجاري لصالح سنكيانغ، ولكن لسوء الحظ لا يمكن تقرير مقدار الفائض التجاري؛ لأن دائرة الإحصائيات في سنكيانغ لم تنظم إداريا أبدا، علاوة أن الإحصائيات السوفياتية تنقصها الكثير من الوضوح، والروبل المستعمل في الإحصائيات السوفياتية يتم تقييمه أكثر من مرة، بالإضافة إلى أن الصادرات الروسية تكون بسعر مكانها، والمبالغ المحصلة خالية من تكاليف الشحن، بينما المستورد يتم تقييمه مع تكاليف الشحن، لذلك فإن تكاليف الشحن والتأمين تضاف إلى تكاليف قيمة البضائع.

ومما يذكر أيضا أن تجارة الأراضي الحدودية لروسيا مع منغوليا، وسنكيانغ كانت تفوق كثيرا من تجارتها مع الصين في أوائل عام 1905م<sup>(1)</sup>، ومن المحتمل جدا أن تكون على نفس المستوى حاليا، وفي عام 1932م كانت منغوليا وإيران هما الأولى والثانية في تجارة الاتحاد السوفياتي مع بلدان آسيا، بينما كانت سنكيانغ الثالثة وتلتها تركيا وأفغانستان.

وانتهجت التجارة السوفياتية مع سنكيانغ النموذج الاستعماري بشراء المواد الخام، وبيعها بضائع مصنعة، وفي عام 1932م بلغت نسبة المنسوجات القطنية 72% من جملة مبيعاتها لسنكيانغ، تلتها بالأهمية المعادن والمصنوعات الحديدية والأجهزة الكهربائية والأواني والزجاج والنفط والكبريت ودودة القز، وقد مارست السياسة المالية السوفياتية سحب ثروة المستعمرة بالشراء رخيصا والبيع غاليا، وفي عام 1923م في المؤتمر الثاني للمفوضيين الوطنيين للتجارة الخارجية تقرر تخفيض أسعار المصنوعات السوفياتية المصدرة إلى بلدان آسيا<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>- H.B. Morse , Chinese Imperial Maritime Customs "Returns of Trade and Trade Report m 1905, Shanghai, 1906,Part I, vii

<sup>2</sup> -Violet Conolly, Soviet Economic Policy in East, London, 1933, p.141

ولعل السعر وليس النوع كان هو سبب الانتشار، مما يفسر قول الكاتب السوفياتي الذي قال في عام 1926م: "إن منسوجاتنا في كاشغر نافست كثيرا البضائع الهندية البريطانية في الأسواق لجودة نوعها"<sup>1</sup>، ومنذ عشرين عاما لا يوجد بلد صناعي يوافق على جودة البضائع السوفياتية، ولكن في الواقع أن المشتريين والمستعملين لها في سنكيانغ لا يفضلون لبس المنسوجات السوفياتية فقط، بل يستعملون العربات الروسية القوية التي اعتبرها سائقو العربات في سنكيانغ وشمال غرب الصين أجود من العربات الأمريكية للعمل الشاق.

وفي السنوات الأخيرة نهجت سياسة التجارة السوفياتية أسلوبا جديدا لزيادة التجارة، حيث قررت منح مكافأة قدرها 20% في مقابل مقايضة المواد الخام بالمصنوعات السوفياتية، والمثال الفعلي لهذا القرار: أن كرتون سجائر سوفياتية جعلت مساويا لقيمة كاتي واحد (كاتي يساوي 1,3 رطل) من الصوف في المقايضة، بينما كانت أسعار كرتون سجائر بقيمة 8,40 دولار سنكيانغ وسعر كاتي الصوف 7 دولار سنكيانغ.

وبالرغم من هذه الاتفاقية، يجب القول إن الحياة الاقتصادية في سنكيانغ عام 1948م كانت تعاني أزمة شديدة، وقد توقفت التجارة مع الاتحاد السوفياتي تماما، وبلغ التضخم في المقاطعة درجة مهلكة، ويمكن توضيح الوضع ببحث تاريخي مختصر.

فقد كان الروبل القيصري الروسي مقبولا في سنكيانغ ومفضلا في الدوائر المالية الصينية، كما كان فروع البنك الروسي الآسيوي يعمل في اورومجي وكاشغر وغولجه وجوكوجاك، وكانت التجارة الخارجية والاستثمارات المحلية تعتمد به، وكان الروبل يعادل 8 تيله في عام 1913م، ولكن مع الثورة الروسية في عام 1917م هبطت قيمة الروبل إلى 63 تيله، ولكنه لم يختفي تماما؛ لأن جميع فروع البنك

<sup>1</sup> -Stefanov, op.cit

الآسيوي الروسي وضع تحت الحماية الفرنسية لعدة سنوات، ومع ذلك بلغ قيمة الروبل القديم 10 تيله، وبعد ذلك بسنة أو سنتين أصبح لا يسوى شيئا والعملة السوفياتية الجديدة كان غير مرغوبا فيها.

فقد شجع الحاكم الصيني يانغ تسنغ هسين Yang Tseng-hsin تعدد العملات في سنكيانغ، وعدم التوسع في التجارة والحسابات كما ذكر ذلك سابقا في الفصل الثالث، وكان من سياسته عدم إصدار ورقات نقدية أكثر من 20 000 000 تيله، وفي نفس الوقت طبق أنواع من الضرائب، وفرضت الضريبة على الأرض، وكانت تدفع بالنقود، وكانت النقود تدخل الخزينة وتخرج منها بدون أن تسبب التضخم.

وفي هذه الفترة سمح الحاكم بفتح التجارة مع الاتحاد السوفياتي، وكان معظم الأوائل التجار المسلمين بشكل رئيس من التتار المسلمين من مواليد روسيا، وهم يأخذون البضائع عبر الحدود السوفياتية ويبيعونها لوكلاء مشتريات الدولة السوفياتية، ثم يشترون البضائع من وكلاء الحكومة التجارية، ويعودون بها إلى سنكيانغ، ثم في عام 1926م أجاز لوكيل تجارة السوفيات - سنكيانغ أو سوفسينتورغ Sovsintorg بالعمل من خلال مكاتب أقامه في سنكيانغ، واستعادت التجارة والرفاهية فيها حتى تم اغتيال الحاكم العجوز المحافظ الذي كان متمكن في إدارته في عام 1928م.

ثم بدأت فترة جديدة ولكنها لم تدم طويلا، إذ تلاشت في عام 1934م، وقد تميزت هذه الفترة بثورات المسلمين ودخول المسلمين الصينيين من كانسو، وأخيرا بتدخل السوفيات كما تم توضيحه في الفصل الثالث، وألواحات المهمة مثل قمول وخوتن وكاشغر احتجزت ضرائبها التي كانت تدفع لخزينة المقاطعة التي اضطرت إلى طبع النقود، وأدى ذلك إلى التدهور السريع لعملة سنكيانغ، وبينما كانت 3 تيلات اورومجي تساوي دولارا صينيا في عام 1928م، انخفضت إلى 40 تيله اورومجي في عام 1934م.

وفي عام 1934م نجح شنغ شيه تساي Sheng Shih-ts`ai بمساعدة من السوفيات في السيطرة على الحرب الأهلية، واستعادت



التجارة نشاطها بمساعدة الاتحاد السوفياتي، ولكن استقرار العملة احتاج إلى بضعة سنوات، ثم في عام 1939م أصدر بنك المقاطعة التجاري عملة ورقية جديدة، نقدا قانونيا وحيدا غير قابل التحويل، وكان الاعتقاد السائد في سنكيانغ أن هذا الإصلاح المالي لم يكن بالإمكان تنفيذه بدون قروض غير ربوية من الاتحاد السوفياتي.

وفي عام 1942م وصل الحاكم شنغ شيه تساي إلى استنتاجات ظن أن الاتحاد السوفياتي قد يخسر الحرب مع ألمانيا، وقد لا يستعيد قوته السابقة، وأن عليه أن يقوم بإصلاحات سياسية واقتصادية، وبدء بجمع التضخم النقدي المطبوع مع احتكار التجارة وجمع ضرائب الأرض وضرائب المواشي عينا، رافضا قبول النقود الذي أصدرته خزينة مقاطعته في ذلك، ثم أسس شركة المقاطعة التجارية التي كانت وكالته الشخصية في الأعمال التجارية، ولكن حتى هذا الوقت كانت التجارة الخاصة تنافسها، فمثلا في كاشغر تعاملت فقط بنسبة 28% من التجارة، أي أقل من حصة مؤسسة الأويغور المسمى "شركة الاتفاق" ومع ذلك تولت شركة المقاطعة التجارية احتكار تجارة المقاطعة في عام 1942م، وكان رأسمالها 2 500 000 مليون دولارا أمريكيا، ومن خلال هذه الشركة كانت الحكومة تشتري الصوف والمواشي والقطن والفراء وغير ذلك بأسعار إجبارية أقل من سعرها في السوق، ويحملها البائع على عرباته ويبيعها إلى "سوفسينتورغ Sovsintorg" ويستبدلها بالمصنوعات السوفياتية، وحتى عام 1943م استمر شراء المواد الخام بأسعار إجبارية ودفع قيمتها بالبضائع المصنعة، ولكن حدث التضخم من دفع قيمة المشتريات جزئيا بالبضائع وجزئيا بالعملة الورقية، وفي فرع الشركة في خوتن مثلا كانت 15% من قيمة الفراء و20% من قيمة الحرير والشرانق تدفع بالبضائع المصنعة، وأدى هذا إلى استياء كبير، مما جعل الجنرال تشانغ تشيه جونغ Chang Chih-chung إلى تصفية الشركة في عام 1946م.

وفي عام 1943م بدأت فترة جديدة عندما قلب الحاكم شنغ ظهره

للاتحاد السوفياتي؛ لسوء حساباته وتقديراته، واتجه إلى تحسين علاقاته مع حكومة الصين الوطنية، بدأت العملة الوطنية المتدهورة تصب في المقاطعة لتزيد من التضخم فيها، وفي عام 1943م استقبل بنك المقاطعة التجاري وحده من العملة الوطنية ما مقداره مليون دولار يومياً، مما رفع سعر دقيق القمح من 100 في يونيو 1940م إلى 865 في ديسمبر 1942م، ثم ارتفع إلى 75 000 في عام 1954م، ثم إلى 517 500 في سبتمبر 1947م.

وقد صاحبَ هذه التضخمَ بعضُ الأزمات الأخرى التي كانت منذ فترة طويلة تكبر وتتطور لتصل إلى حد الانفجار، ومن أوائل ذلك التزايد الكبير في السكان، فقبل أربعين عاماً كان عدد سكان سنكيانغ 931 003 نسمة<sup>(1)</sup>، والرقم الرسمي الأخير بلغ 3 730 051 نسمة، ومع أن هذه الأرقام لا يمكن الاعتماد عليها كما يجري في إحصائيات الدول المتطورة، ولكن الحقيقة أن السكان قد تزايد على الأقل بما مقداره الثلث أو أكثر، وهذه الزيادة تعني كثرة الفلاحين في أراضي ألواحات وكثرة الراغبين للاستيطان في مناطق الرعاة، مما يزيد في نزاعهم مع قبائل الرعاة، وتزايد عمال المواسم في الصيف الذين يهاجرون من واحات تاريم إلى جونغاريا وحتى إلى الجمهوريات السوفياتية في آسيا الداخلية.

وزيادة الطلب على الأرض تسبب كثيراً من الأضرار السيئة، وكان الفلاحون يعملون على زراعة جميع الأراضي في كل سنة، ولا يتركون شيئاً منها لاستعادة قوتها، ونتج من ذلك مثلاً أن إحدى القرى في ياركند الذي كان إنتاجه من القمح 15 قطعة انخفض إلى خمس قطع من الأرض، ولعل المثال شديد في خطورته ولكنه يمثل الواقع.

كما أن تزايد الضغط على الأرض أدى إلى تفاقم المشاكل؛ لأن تزايد التجارة مع روسيا منذ عام 1890م، أدى إلى التغيير، فالزراعة من

<sup>1</sup> -Wang Shu-nan, Hsinchiang T'u Chih, Ch.1, pp.5-7

العمل على الاكتفاء الذاتي تحولت إلى الزراعة التجارية، وبعد عام 1884م أجبر ملاك الأراضي القديما ( ملك دار) المعفيون من الضرائب على دفع أراضيهم ضرائب لسلطات المقاطعة الصينية، وهذان العملان أديا إلى ظهور طبقات أصحاب المال التي حلت مكان الطبقات التي كانت مميزاتها بالوراثة، وملاك الأراضي القديما ذوو الحقوق الإقطاعية، الذين يسمون "البكوات" في الاصطلاح الأرستقراطي حل مكانهم طبقة جديدة تسمى "باي" إلا أن هذا كان يعني ببساطة "الغني" المعنى المتطابق تماما مع "بلوتوقراط Plutocrat" الذي شاع استعماله في إنجلترا في فترة التغيير الاجتماعي السريع الذي جاء مع إصلاح بيل Bill في عام 1932م، و نتج من هذا تطابق أن كثيرا من الأثرياء الجدد Bais هم في الأصل بكوات سابقين، كما حدث تماما في إنجلترا أن كثيرا من مديري الشركات المساهمة هم من ملاك الأراضي القديما.

وفي الواقع تحكمت على حالة الفلاح الذي يعيش في نظام أصبحت القيم المالية تتحكم على حياته بتزايد، بينما تقيد قوة النظام القديم مثل التزامه بتقديم خدمات العمل لمالك أرضه، وعلى ضوء المال فقد تم حساب أن دخل العامل المزارع في خوتن لمدة سنة كاملة يساوي فقط في المتوسط من قيمة 1 من 12 من قيمة فدان واحد، وهناك مشاركة بالأقساط التي أصبحت تسيطر حياة الفلاحين، وإذا كان مالك الأرض يزوده بمياه الري فقط فعلى الفلاح أن يدفع له نصف المحصول، وأما إذا كان يزوده بحيوانات الحراثة والحبوب والآلات عندها عليه أن يدفع له الثلثين من المحصول أو أكثر، ثم بالإضافة على هذا قد يتحمل الفلاح الضرائب وغيرها من الالتزامات التي قد تبلغ الثلث الباقي من المحصول، وفي النهاية لا يجد الفلاح ما يحصل عليه من عمله قانونا إلا أن يعطيه المالك بما يظنه كافيا لإبقائه حيا، وهكذا يستمر اعتماد الفلاح على المالك يأخذ شكل الاقتراض الذي يخول المالك التحكم الكامل على الفلاح.

والأزمة الاقتصادية في سنكيانغ في الواقع نتجت من تعقد الأمور

واستمرار الضغوط بدون أن توجد صمامات أمان تعطي التسوية لمعالجتها.

واستغلال المناجم والصناعات القائمة على المعادن لم تؤد إلى حل المشاكل الزراعية، وقد ظهرت من تجربة الصين بأنه إذا لم يوجد إصلاح زراعي، فالمشاكل الزراعية تسوء أكثر، كما حدث في مراكز الصناعة المجاورة مثل شنغهاي، وفي نفس الوقت تجد الطبقة المدنية أن مستواها ينخفض بالعاطلين القرويين بدلا أن يكون هناك حافز على تحسين مستوى معيشتهم، وفي سنكيانغ كما في جميع أنحاء آسيا تستطيع الطبقات ذات المستوى العالي في المعيشة من تحسين القوى الشرائية، كما توجد حوافز التصنيع، ولكن التصنيع لوحده لا يضع حدا للمشاكل الزراعية.

## الفصل السادس

### البناء الاجتماعي: الماضي

## إرث الاقطاع:

منذ نصف قرن تقريبا عندما كان الرحالة الأوروبيون يترددون إلى سنكيانغ كثيرا، كانت مظاهر الجمود تسود أكثر المجتمعات المستوطنة في الواحات والرعاة في السهوب، وهنا في قلب آسيا يبدو أن عجلة الزمن متوقفة، وأن المجتمعات الإنسانية لم تنته من تكرار حياتها القديمة ولم يصل إليها التطور.

ويشير الاركيولوجيون من الرحالة الأوروبيين أن الاكتشافات الأثرية الرائعة للماضي التي تظهر من الصور الحائطية والمخطوطات يعكس تاريخ سنكيانغ الاجتماعي، مثل تاريخه الثقافي معقد جدا، ومنذ عشرين قرنا من التاريخ المدون كانت حضارات الهند وإيران والصين تتقابل فيها، ولم يتوقف التأثير والتأثر بينها وبين ثقافات الشعوب المستوطنة والقبائل الرعوية، وقد عاشت بها جملة من الديانات الأوروبية والآسيوية متجاوزة لفترات طويلة، واليوم لا توجد مقاطعة صينية مثل سنكيانغ يتنوع فيها البشر واللغات والأديان ذات الأهمية السياسية والنظم الاقتصادية المختلفة التي تتصل ببنائها المجتمعي.

## دورات المركزية واللامركزية:

وفي سنكيانغ كانت المجتمعات عبر تاريخها الطويل تتسلق سلم التطور في الواقع، ولكن قد تنحدر في بعض الفترات بعض الدرجات إلى الخلف مثل غيرها من المجتمعات البشرية، وهذا التغيير بين التطور والجمود يمكن أن يوصف ببساطة بمصطلح يفيد أنه تغيير بين المركزية واللامركزية في البنا الاجتماعي والسياسي.

فالعوامل الجغرافية تميل إلى المركزية، لأن السكان منعزلون في ألواحات المنتشرة التي تفصل الصحراء بينها، وحياتهم تعتمد على الاكتفاء الذاتي عموماً وتتشابه مع بعضها، وتميل إلى التطور الاجتماعي المحدود بدون بناء اجتماعي شامل يوحدتها في دولة كبيرة، وبالمماثل في السهوب الواسعة كانت الضروريات القبلية لرعاة المراعي يتم تأمينها بتكوين وحدات اجتماعية صغيرة، والتطور للأكبر يعني وحدات مركزية أكثر تتطلب حوافز للتعامل مع المجتمع الرعوي مع المدني والزراعي، وفي سنكيانغ أهم عامل في حفظ ميزان التغيير الاجتماعي هو فترات التحول التي تحدث بين المركزية تحت حكم الإمبراطوريات وبين اللامركزية في فترات غيابها، والعودة إلى الوحدات الاجتماعية الصغيرة.

وهذا التناوب بدوره قد تأثر بالظاهرة المتكررة: الرغبة في استعمال القوة لهزيمة نتائج القوى في سبيل الاندماج الاقتصادي والإدارة بالكفاءة العالية، والإمبراطوريات العظيمة بدلاً أن تصبح أكثر اندماجاً مع دورة التجارة، وجدت أنها من الصعوبة من تنظيم ترابط منتوجات مربحة في مختلف المناطق، ذلك أن ميكنة الإدارة كانت سيئة جداً حيث إن جزءاً من الضرائب كانت تذهب لتكاليف جمعها، وكانت تكاليف ومخاطر النقل عالية جداً دائماً في التجارة ولم تكن مربحة إلا إذا كانت صادرة من المنتج الأصلي.

وإلى حد كبير فالتجارة قديماً أو في العصور الوسطى كانت تقوم على الصانع الأصلي أو المزارع وصاحب المعادن أو الصائد الذي يأتي بالفراء الثمين، الذين لا يقدمونها بطلب الربح بل يدفعونها ضريبة بموجب قوانين إجبارية، والإمبراطوريات التي تقوم على الاقتصاد الاجباري تسقط وتتجزء ويفقد الجميع قوة التنافس؛ لأن الأجزاء المكونة في المجتمع يكون اهتمامها هو توفير الاقتصاد الضروري لحياتها.

وفي فترات المركزية واللامركزية كانت مجتمعات ألواحات في سنكيانغ تتطور فيها ببطء بسبب المظاهر المختلفة للإقطاعية، ولا يوجد لدينا وصف تاريخي حقيقي لمجتمع بدائي في سنكيانغ، مع أن

مكتشفات العصر الحجري أكدت وجود شعوب بدائية كما كان في الصين، ولكن ممالك ألواح التي وصفها السجلات الصينية قبل ألفي سنة أكدت أنها كانت إقطاعية أكثر من كونها بدائية أو قبلية في بناء طبقتها وقوتها التي تتصل بالحرب وجمع الضرائب، ولا تصف التواريخ الصينية الحياة الرعوية في السهوب بالمستوى البدائي الحقيقي، ولكن بمستوى تكوين هيئات الحروب وتطور الأعراف الأولية؛ لتنظيم الولاء الشخصي بما يمكن تسميته "الإقطاعية المبكرة" أو "ما قبل الإقطاعية"<sup>(1)</sup>.

وعموما يمكن القول إن مجتمع ألواح والمجتمع الرعوي في السهوب كانا يتطوران نحو الأنظمة الإقطاعية العليا في فترات المركزية، وبالتراجع إلى الأنظمة القديمة في فترات اللامركزية، والاختلاف الرئيس بين مجتمع ألواح ومجتمع الرعاة أن الرجوع الأخير إلى نظامه القديم تميز بالشدة وبالعودة إلى حالة الحرب المتطورة في شكلها البدائي الإقطاعي، ووصف المجتمعات في سنكيانغ بالإصلاح الغقطاعي يجب أن تكون محل دراسة لنظريات الإقطاع، وفي نظر كثير من الباحثين الغربيين عن الإقطاعية أنه لا يوجد مجتمع في آسيا يمكن أن يوصف بالإقطاعي، ونقص المواد عن آسيا في الدراسات الغربية عن الإقطاعية نسبيا على أي حال هو السبب الرئيس في نقص الدراسات الغربية في العلوم الاجتماعية عن

1 - قام الدكتور أس. يوشكوف S. Yushkov بمحاولة مفيدة لشرح ما يسمى "تطور نشوء الإقطاعية" في مقاله: مسألة دولة الإقطاعية الأصلية (البربرية)

The Question of the pre-feudal "Barbarian" State" in Questions of History, No.7 of 1946 Moscow 1946.pp. 45-64 (in Russian)

والمقالة ذات أهمية خاصة لأنها محاولة معاصرة في نظري تونبي Toynbee~s Sense محاولة معاصرة في نظري تونبي Toynbee~s Sense وذلك بمواد من القرنين التاسع والعاشر من كيفا روسيا Kievan Russia ومود من القرن السادس إلى القرن التاسع من الانجلو ساكسون إنكلترا ومن القرنين 11 و12 من منغوليا

آسيا كلها.

والمشكلة الحقيقية في الواقع فقدان المعيار الإقطاعي الذي يقبله جميع طلاب الدراسات الاجتماعية على السواء، هذا والدكتورة هيلين ماود Helen Maud Cam الكاتبة الإنجليزية عن الإقطاعية تشير إلى ( أن المؤرخ الاجتماعي والاقتصادي والقانوني والدستوري يبحثها بفكر افتراضي مختلف، فالمؤرخ الاجتماعي يركز على المساواة أو مقاومة الخضوع، والمؤرخ الاقتصادي يبحث تنظيم الأرض الزراعية بممارسة الحقوق على الأفراد، والمؤرخ القانوني ينظر في العقد القانوني الذي يضمن الأرض وقرار مالكيها، والمؤرخ الدستوري في امتلاك الأرض هو مصدر القوة السياسية وأعمال الحكومة مرتبطة بملك الأرض.

وتستنتج الدكتورة هيلين قائلة: هكذا في دراسات الفترات المختلفة من قبل هؤلاء المؤرخين الاجتماعيين والاقتصاديين والقانونيين والدستوريين، من خلال استخدام كل منهم أسلوبه يقرر أن الأشياء التي يجدها يمكن أن تكون أو لا تكون أساس الإقطاعية الحقيقية، ويمكن مناقشة ذلك من قبل الآخرين الذي يستعملون معايير مختلفة<sup>(1)</sup>.

ومن جهة أخرى فإن معظم الدراسات الحديثة عن آسيا الداخلية بالإضافة إلى سنكيانغ هي باللغة الروسية، وحتى في عهد القيصرية الروسية كانت مفردات الإقطاعية مستعملة من قبل العلماء الروس لبحث المجتمعات الآسيوية، ومع قدوم الباحثين السوفيات إليها صار ذلك التطبيق عام، وأما بالنسبة لسنكيانغ فالمصادر الصينية أكثر أهمية في تاريخ العصور القديمة والوسطى، ويعمل العلماء الصينيون بنشاط عملاً هاماً في تحليل المعلومات التاريخية والمشاكل المعاصرة، والمعلومات عن الإقطاعية في عمل هؤلاء العلماء

<sup>1</sup> - Helen Maud Cam, The Decline and Fall of English Feudalism, in Liberties and Communities in Medieval England, Cambridge 1944, p.203

وقد قرأ الأصل في مؤتمر التاريخ العالمي في زيورخ في عام 1938



الصينيين مهمة جدا بدرجة أهميتها في الدراسات الروسية. وفي الصين اليوم ينقسم العلماء بخلافات مشابهة لما كان في جدال القرن التاسع عشر الشهير بين "الغربيين" و"السلافيين" في روسيا، وجوهر النقاش: ما إذا كانت الثقافة الصينية شيئا منفردا بحيث لا يتلائم استعمالها في مناقشة الثقافات الأخرى؟ أم يمكن مقارنة مظاهر التاريخ الصيني بمظاهر تاريخ الشعوب الأخرى؟ وبناء على ذلك يمكن وصفها بالمصطلحات العالمية المقبولة، والعلماء الغربيون حتى عندما يتعرضون لمقاطعة بارزة مثل سنكيانغ يجب أن تكون دراساتهم متناسقة مع الأبحاث التي قام بها العلماء الصينيون الاجتماعيون.

### بقايا التاريخ:

خلال التدخل الصيني الأول لآسيا الداخلية في عهد عائلة هان المالكة قبل مائتي سنة من قبل الميلاد وبعده بمائتي سنة، كان اهتمام الصينيين هو الدفاع عن المناطق الحضارية الصينية ضد هجمات البرابرة من منغوليا وآسيا الداخلية، وكانت الدولة تتحمل نفقات ثابتة في الدفاع عن هذه الحدود، ولم يكن توسعا مربحا، إلا أنه حدثت التجارة والاعتناء الشخصي، ولم يكن الصينيون إمبرياليين يعملون في طريق التجارة، ولم تكن غزواتهم على جلب مواد الخام الرخيصة؛ لأن تكاليف النقل كانت مرتفعة جدا، ولم تكن فيها منتوجات فائضة تبحث عن الأسواق<sup>(1)</sup>.

1 – Frederick J. Teggart, in his Rome a China: A Study of Correlations in Historical Events, Berkeley 1939

يؤكد على أهمية (توقف التجارة) على طول طريق الحرير عبر آسيا الداخلية لاشتعال الحروب على الحدود الرومانية الصينية، ولكنه لم يتطرق إلى مسألة الاختلاف بين التوسع الهاد لتجارة مربحة، وبين العمل السياسي الذي يهدف السيطرة على البرابرة المحاربين من استنزاف البلد المتحضر وتأمين المواد الاستهلاكية للبرابرة.

وأما التحف ووسائل الترف التي جلبت إلى الصين عن طريق تجارة آسيا الداخلية كان البلاط يتفاخر بها، ومن جهة أخرى فالسلع التي كانت تدخل آسيا الداخلية من الصين كانت تحتوي على الإتاوة التي جمعها النبلاء وأفراد الحكومة من الشعب قبل أن تصل إلى أيدي التجار المختصين، وهي في الواقع ضرائب على الشعب، ولم يمكن بالتأكيد معرفة قيمة هذه البضائع التي تغادر الصين بالنسبة للقوى الشرائية في آسيا الداخلية؛ لأن السجلات الصينية تظهر أن مقدار التجارة كان السماح به قد نظم سياسياً.

وفي هذه الفترة كان هدف السياسة الصينية التأكيد من أن قبائل السهوب لا تأخذ ألواح المستقرة مراكز لها، ولا تستغل مصادرها الغذائية والبشرية، فتأسست حاميات صينية في ألواح بالإضافة إلى دعوة أمراء ألواح السذج لزيارة البلاط الصيني، وفي بعض الأوقات تعاقبهم إذا نالت القبائل الرعوية مساعدتهم، وذلك عندما تكون الصين قوية تستطيع تنفيذ العقاب عليهم، والعلاقات التي من هذا النوع كما نعرف من تاريخ الأقطار الأخرى هي جزء من الأصول الإقطاعية، وكان أمراء ألواح الذين يسمونهم الصينيون ملوكاً لأنهم يمارسون سيادتهم الوطنية في ممالكهم الخاصة، ولكن عندما يتحولون إلى أداة في السياسة الصينية أو يتحملون مسؤولية جمع الضرائب لقبائل الرعاة يفقدون سيادتهم الخاصة، ويتحولون إلى أداة للآخرين يمكن أن يسموا عندئذ أتباع.

والتوازن في سياسة الصين يهدف إلى إثارة الحرب بين القبائل، كي تمنع من وحدتها ضد الصين، وبالرغم من مساعي الصين لكل ما يمكن عمله من السيطرة على الأمور، ولكن القبائل الرعوية كانت تنجح أحيانا لمهاجمة الصين وألواح معا، وتأخذ جزية كبيرة من ألواح وتطلب بجزية أو معونة مالية كبيرة من الصين، ومن هذه الظروف والعلاقات تنشأ الإقطاعية، و أمراء الحدود يتحملون مسؤولية صد البرابرة في مقابل رواتب مالية أو بهدف احتكار تجارة المنطقة، وهم في الواقع منفذون للأشكال الإقطاعية القديمة، ويتميز قوة الإقطاع بالوضع الشخصي وبالالتزامات الشخصية.

وعندما لا تستطيع الصين السيطرة على أمراء الحدود وفرض التبعية عليهم، فالإقطاعية اللامركزية تنجح بالسيطرة على الإقطاعية المركزية، ويتنافس أمراء الرعاة فيما بينهم على فرض الإتاوة على أجزاء الصين الشمالية، وخلال الأربعمئة عام من الاضطرابات التي صاحبت سقوط عائلة هان في الصين في عام 220-ق.م. وقيام عائلة تانغ فيها في عام 618 م سيطرت الإقطاعية اللامركزية بدون قوة إمبريالية على المناطق الشاسعة من السور العظيم إلى داخل الصين.

ومن جهة أخرى في القرون السابع والثامن والتاسع عندما كانت قوة الصين في عهد عائلة تانغ كان نفوذها أكثر انتشارا من عهد عائلة هان في آسيا الداخلية، وتوجهت الإقطاعيات المحلية في آسيا الداخلية نحو مركز الإمبراطورية الصينية بالخضوع أو بالاعتراض.

وهكذا كان مجتمعات أتراك الأورخون في منغوليا الخارجية في ذات الوقت قبلها خلال فترتي الخضوع لحكم الصين في الفترة 630-680م، وعندما بدأت سيطرتهم على قبائل الرعاة الأخرى، ودخلت ألواحاحات في حكمهم، بدأت نظمهم تحدد التزامات الرعية وحقوق الحكام بوسائل توضح ظهور الإقطاعية<sup>(1)</sup>.

وفي هذه الفترة كما ذكر عن تورفان الحاج الصيني هسوان تسانغ Hsuan Tsang في أوائل القرن السابع: (كان كبار موظفيها يجتمعون صباح كل يوم لإصدار القرارات الإدارية، ولكن لا يحتفظون بسجلات، مما يشير إلى أنها حكومة بيروقراطية بدائية، ويتوجب على الموظفين الاهتمام بالأرض والري والإحصاء، وفي كوجار

1 - أكثر البحوث تفصيلا لمعرفة مجتمع أتراك الأورخون والشعوب ذات الصلة بهم، أعده: أ. برنشتام A. Bernsham في كتابه (البناء الاجتماعي والاقتصادي لأتراك الأورخون وينسي فيما بين القرن 6-8)

يجتمع الملك بالموظفين الكبار في مجلس الشورى في وسط ونهاية كل الشهر ويبحث مع الرهبان قرارات المجلس قبل نشره (1).

وفي القرن الثامن الميلادي في بلدة لوكجون قرب تورفان، سجل الموظفون رسميا جميع أصحاب المنازل ممن دفع الجزية أم لم يدفع في عام 716م، وفي دان دان اويك قرب خوتن اكتشف السير اورال شتاين Sir Aurel Stein وثيقة مؤرخة في 23 مارس 768م، ذكرت فيها الجزية التي كان يدفعها الفلاحون من محاصيلهم (2)، وقد يكون هؤلاء الفلاحون أفرادا من عبيد الأرض أو الذين يدفعون ممن يجمع الجزية من النوع الذي وصفهم فينوغرادوف Vinogradoff في بحثه عن أصول عبيد الأرض:

في الدولة المتخلفة في الزراعة والاقتصاد الطبيعي يكون أكثر ربحا للغزاة والمغلوبين أن يترك السكان في منازلهم وأراضيهم يديرون شؤونهم ويفرض عليهم في نفس الوقت الضرائب الثقيلة، يدفعونها في الجزية والخدمات... لذلك لن نستغرب عندما نجد في الدول الهيلينية في آسيا أن السكان الفلاحين يبذون في وضع الخضوع الوراثي والالتزام بالآسياد أو بالطبقة الاجتماعية العليا لملوك سيلوسيد Seleucid أو بالطبقة الاجتماعية العليا لملوك سيلوسيد Seleucid (3).

ويعتقد فينوغرادوف أن هذا النوع من النظام يمكن ملاحظته منذ عهد الملكية الفارسية القديمة "في أي حال يمكن أن يكون هؤلاء

<sup>1</sup> - Hsuan Tsang in the Edition entitled: The Tang Dynasty Record of the Western Regions, Shanghai 1922, Vol.I, also Li Kuan, Research on Sinkiang, Chungking 1944, p.191 (Both in Chinese)

<sup>2</sup> -Obata, History of Civilization in Western Regions in Chinese translation from Japanese by Cheng Yuanofang, Shanghai 1934, pp.60-61.

<sup>3</sup> Paul Vinogradoff, article "Serdom" Encyclopaedia Britannica, 11<sup>th</sup> ed. Cambridge 1911, Vol.XXIV, p.664

الفلاحون بالتأكيد عبيدا، بينما من جهة أخرى فهم مقيد بزراعة الأراضي التي يعيشون عليها".

والفترة الثانية الكبرى من اللامركزية كانت في القرون 10-11-12 عندما لم تكن هناك إمبراطورية تحكم الصين أو آسيا الداخلية، وفي هذه الفترة تحولت السلطة على العموم من الشعوب المستقرة إلى الرعاة أو الشعوب الرعوية الأصل في شمال الصين وشمال غرب الصين وآسيا الداخلية، ومع ذلك استمر الاتجاه نحو إقطاعية المجتمع المتطورة، وفي فترات الإمبراطورية الصينية القوية كما رأينا نجد أمراء الحدود أتباعا لها، واجبههم صد القبائل، وبالعكس عندما يسيطر الرعاة على المستوطنين يأخذون بعض حقوق الطبقة الحاكمة في خدمتهم ويتقدمونهم لجمع الجزية.

وفي هذه الفترة أسست قبائل الأويغور ذات الأصل الرعوي التي تفرعت عن قبائل أتراك الأورخون في منغوليا الخارجية دولة قوية في سنكيانغ، وكانت واحات قمول وتورفان مراكز الأويغور الرئيسة، ثم صار للأويغور أهمية خاصة بعد أن غزاهم المغول في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، حيث كان منهم المعلمون لتعليم القراءة والكتابة، والموظفون في تنظيم جمع الضرائب ومشاكل الري في الزراعة.

كما أن وجودهم في جيش المغول ساعد في انتشارهم نحو الشرق في الصين ونحو الغرب في روسيا، ويشير فيرنادسكي: Vernadsky أن الأويغور كان لديهم أنواع من الأملاك العقارية: أراضي النبلاء المحليين، وأراضي أفراد أسرة الخان أو الطبقة الحاكمة، أراضي الخان نفسه، والأراضي الأخرى، يبدو أنها تمنح للقوات ومقدمي الخدمات الأخرى، ويتمثل الإقطاع في أوروبا، ويعتقد فيرنادسكي أن هذا النوع من منح الأرض استعمله المغول في روسيا، وكان له أثر في تطور نظام بومستي Pomestie الروسي<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - G. Vernadsky, "Feudalism in Russian" in Speculum, Cambridge, Mass.

وبعد الغزوات المغولية في القرن الثالث عشر ظهرت أعظم إمبراطورية مركزية سيطرت على الصين وآسيا الداخلية، وبين أجزائها، وبين صعود عشيرة الذهبية لجنكيزخان ومحاولتهم لإيجاد مركزية محكومة بالبيروقراطية فإن التحكم بالأجزاء أدى إلى إرث الإقطاعية، وتجارها كلها توجهت الى تطوير سريع للإقطاعية، وكل من الانفجار السريع في غزواتها الأصلية وعجزها السريع في البناء الإداري، تظهر أن الإمبراطورية المغولية يمكن أن تكون مثالا جيدا يعكس أن التعارض بين سلسلة التأثيرات الجغرافية في الغزو العسكري والتكامل الاقتصادي والتجاري يلعب دورا مهما في دورة التغيير بين المركزية واللامركزية.

وعجز المركزية البيروقراطية في الإقطاعية، يمكن ملاحظته من فشل مفهوم جنكيزخان نفسه في الإمبراطورية؛ لأنه عمل لممالك إقطاعية وإقطاعات صغيرة تتجمع حول المركز الإمبراطوري مع حكام تم تعيينهم بيروقراطيا، وهم في كل منطقة يمثلون مصالح الإمبراطورية وسلطتها، ولكن القوة الحقيقية في الحال تحولت إلى السلطة المحلية<sup>(1)</sup>، وخلال خمسين عاما بدأت أغلبية الممالك والإمبراطوريات المغولية تستقل عن بعضها، مع أنها كانت تحترم ذكرى جنكيز خان لفترة طويلة، ثم في خلال 150 عاما سقط النظام كله إلى أجزاء.

وتلت هذه الفترة فترة 300 عام ثانية من اللامركزية، وذلك من

1939, Vol.14, No.3 (4 July) p.312

<sup>1</sup>- B. Vladimirstov, Le Regime Social des Mongls, Le Feodallisme omads, French translation from the vRussian original by Michel Carsow, Paris 1948, p.129, See Also V.V. Bartold, Sketch of bthe History of Semirechie, p.43 of the Frunze (Kighizistan 1943) reprint of a study first published in Notebooks of the Provincial Civil Commission of Semirechie, H. Vernyi 1898 (in Russian \_)

منتصف القرن الرابع عشر إلى منتصف القرن السابع عشر، وفي الصين كان هذا عهد عائلة مينغ Ming ومع أنها كانت قوية إلا أن حضورها في آسيا الداخلية كان ضعيفا جدا<sup>(1)</sup>، كما أن سنكيانغ وقلب آسيا كانت في هذه الفترة بعيدة جدا عن أي مركز قوة إمبريالية، وقد ظهر استعداد مجتمع الرعاة إلى الانقسام في مجموعات صغيرة قبلية بعد أن شارك في بناء نظام إمبراطوري واسع، وهذه العملية الانحدارية كشفت على أن المرونة اللامحدودة في المجتمع الرعوي ذات قدرة بتلاعة على تطبيق وحدة البقاء صغيرا في الأسرة أو العشيرة يضمن لها الحركة والهجرة في فلك جغرافي منحصر نسبيا، تحافظ على ثروتها الحيوانية بحالة جيدة خلال تبدل فصول السنة.

وفي ذات الوقت تراجع مجتمع ألواحة المستقر إلى وحدته الأساسية - واحة الاكتفاء الذاتي، وكما كان في الماضي فالإكتفاء الذاتي في ألواحة، إكتفاء اقتصادي للإنتاج، ووحدة اجتماعية للتنظيم والإدارة، وتتشابه ألواحاحات مع بعضها وتشجعها التماثل الثقافي، وفي هذه الفترة من الاضطراب واللامركزية انتشر الإسلام ويعمل على تعجيل تماثل ثقافة عالم ألواحاحات.

وقد بدء ظهور الإسلام في آسيا الداخلية قبل قيام الإمبراطورية المغولية، واستمر انتشاره في أثنائها حتى زمن التجزؤ السياسي، وقد فتح العرب بقيادة قتيبة تركستان الغربية ولعله وصل إلى كاشغر في بداية القرن الثامن<sup>(2)</sup>، ومع منتصف القرن العاشر عندما كانت

<sup>1</sup> - D. Pokotilov, History of the Eastern Mongols During the Ming Dynasty from 1368-1634, St. Petersburg, 1893, Part I, Translation of the Russian text by Rudolph Loewenthal, Chengtu, Studia Serica Monographs, Series A., No.1, 1947

<sup>2</sup> - W. Barthold, Turkestan Down to the Mongol Invasion, translated from the original Russian (1900) and revised by the author with the assistance of H.R. Gibb, London, 2<sup>nd</sup> ed.1928, especially Chapter II

البوذية والمسيحية النسطورية والمانوية والزرادشتية تنتشر في ألواح المستقرة، تحول ساتوق بوغرا خان الترك القراخانية الذي كان يحكم كاشغروألواح الأخرى إلى الإسلام<sup>(1)</sup>، وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر تحول حكام آسيا الداخلية الذين يدعون انتسابهم إلى سلالة المغول الحاكمة إلى استعمال اللغة التركية وثقافتها واعتناق الإسلام، كما تحول في نفس الوقت أتراك الأويغور في منطقتي اورومجي وتورفان إلى الإسلام، كما استمر وجود البوذية والمسيحية النسطورية فيها خلال القرون 11- 16.

ومع بداية القرن الخامس تطورت الأنظمة الإسلامية في سنكيانغ بقدم خوجه مخدوم أعظم إلى كاشغر، وهو من علماء بخارى ومن سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم)<sup>(2)</sup>، ومنحه خان كاشغر بعض الأراضي، وأخيرا استولى على الحكم، حينئذ ظهر نوع جديد من الساسة الذين يعرفون بالخجوات، وأسس نجلي الخوجه الأول مذهبين متنافسين، وهما في نفس الوقت حزبان سياسيان: أحدهما آق تاغ = الجبل الأبيض، والآخر قرا تاغ = الجبل الأسود، وفي البداية التحق حكام ألواح الكبيرة بزعماء أسرة الخوجه وناصروهم ومنحوهم الأراضي فيما يعرف اليوم بسنكيانغ، كما منحوهم سابقا في تركستان الروسية، وفي النهاية تولى هؤلاء الخجوات الحكم بأنفسهم، ولكن تنازع السلطة الدينية والتنافس على الحكم أدى إلى الصراع بين المذهبين، اللذين لم ينجحا على الاتحاد والاستمرار في الحكم،

وكانت الأراضي المملوكة لعائلة الخوجه وعقارات الممنوحة للمساجد تمثل المؤسسات المشتركة، وتكشف بعض صكوك الأراضي الممنوحة

<sup>1</sup> - طبقا لما ذكره بارتولد (ص 254-255) قد يكون هذا الحدث خطأ بين التاريخ والأسطورة، ولكن سرعة انتشار الإسلام بين أتراك آسيا الداخلية في هذا الوقت مما لا يقبل الشك.

<sup>2</sup> - A.N. Kuropatkin, Kashgaria: Eastern or Chinese Turkestan, Translated from Russian by Walter E. Cowan, Calcutta, 1882, p.102



لهم وجود امتيازات تخول لهم الألقاب والحقوق، بالإضافة إلى الأراضي الممنوحة للمساجد المعروفة بالأوقاف، وقد أدى عقارات الأوقاف إلى ظهور طبقة جديدة من المشرفين ممن لهم القوة والمصالح الخاصة، مما يعني ظهور الإقطاعية الدينية التي تماثل الإقطاعية المدنية<sup>(1)</sup>.

وفي النصف الأول من القرن السابع عشر بينما يعد المانشور العدو لغزو الصين من الشرق، كانت واحات جنوب سنكيانغ تحت حكم الخجوات كاملا، وفي عام 1622م تمكّن ملا فاضل زعيم جماعة آق تاغ بمساعدة خوجه خوقند من السيطرة على كاشغر، وبعد ذلك بفترة قصيرة أصبح الخوجه هدايت الله المعروف بحضرة آباق- الذي لا يزال ضريحه في كاشغر محطة الزوار- حاكما على جميع واحات حوض تاريم، ومع أنه كان زعيما مسلما إلا أنه تعاون مع الدلاي لاما في لهاسا، وعقد معه معاهدة ضد مغول الجونغار في شمال سنكيانغ<sup>(2)</sup>، وكان لهذا الخوجه أثر غريب في الشعب، فعند ظهوره بينهم يسبب مظاهرة غير عادية من الحماس، بعضهم يبكي فرحا، والبعض يغني سرورا، وآخرون يرقصون حوله، وآخرون يفقدون وعيهم، بينما يغمر الجميع جاذبية قوية نحوه بنشوة الإخلاص بالحب الروحي<sup>(3)</sup>.

1 - بالنسبة لأراضي الخوجه الممنوحة في ياركند في سنوات 1587 و1592 و1602 وفي كوجار في عام 1608 فقد جمعها في القرن التاسع الرحالة الإنجليزي شاو Shaw

Journal of the Asiatic Society of Bengal, Extra No. Calcutta 1897  
Vol.66.part1, pp.2-3

وبالنسبة للأوقاف في فترة الخوجه ينظر في:

G. Turkestans, Lunds Universitets Arsskrift, N.F., Avd. 1, Bd.26, Nr.2.

<sup>2</sup> - Kuropatkin, op.cit. p.105

<sup>3</sup> - Ney Elias, in Journal of the Asiatic Society of Bengal, 1897, pp.6-7

ولدينا بعض الدلائل عن الإقطاعية الثيوقراطية للخجوات من الرحلة التي قام الأب اليسوعي البرتغالي بنتودي غو Bento de Goes الذي وصل إلى ياركند عاصمة مملكة كاشغر في نهاية عام 1603م، وفي فبراير 1604م وصف ياركند بالسوق الكبير على طريق التجارة بين الصين وأوروبا، وكان حكم المسلمين شديداً، فمثلاً حالما تنتهي صلاة الجمعة يغادر الجامع اثنا عشر رجلاً يحملون الأسياط لمعاينة من لم يشترك في الصلاة.

وقد نظمت أمور التجارة والتعدين بالعرف الإقطاعي بمنح الامتيازات والاحتكار، فالملك يبيع حق تكوين وقيادة القافلة إلى كبير المشتريين، الذي يصبح سفيراً بمطلق السلطة على رحلة هذه القوافل، ثم يستعيد جزءاً من استثماره ببيع مراكز من سلطته إلى أربع مساعدين، يتلقون لقب سفير ثم يدفع 72 من الرحالة ذات الامتياز لأخذ أماكنهم في القافلة، وبالمثل يتم احتكار استغلال يشم خوتن المشهور، إذ يبيع الملك حق البحث إلى بعض التجار، وبدون موافقة منه لا يحق لأي شخص نقل أي حجر تنتهي مدة الاتفاقية<sup>(1)</sup>.

وبعد أكثر من قرن من احتلال الصين غزا المانشور سنكيانغ عام 1755م، وكانت حملاتهم تستهدف الجونغار أو الجناح الشرقي للمغول الغربيين، الذين يسميهم شعوب آسيا الداخلية الناطقين بالتركية والروس بالقالموق، وفي هذا الوقت كان الجونغار يتقاتلون فيما بينهم بضراوة تحت قيادة زعمائهم العسكريين، ويمارسون حكمهم في فترات متقطعة على التبت وواحات حوض تاريم، وفي النهاية تعرض لهم المغول الشماليون أو الخاخاس يمارسون حكمهم في فترات متقطعة على التبت وواحات حوض تاريم، وفي النهاية تعرض لهم المغول الشماليون أو الخاخاس Khalkhas في منغوليا

<sup>1</sup> - C. Wessels, Early Jesuit Travellers in Central Asia, 1603-1721, The Hague, 1924, pp.24-25 and 28

الخارجية مما أضعف قوة الجونغار، ومنح إمبراطورية المانشور الفرصة في سيطرتها على منغوليا الخارجية وسنكيانغ والتبت.

وتوجد حالتان متميزتان لهذا الغزو، ففي الشمال زالت قوة الجونغار بالمذابح الرهيبة، حيث قتل ومات 20% بالمرض، وهرب 20% إلى السهوب في جنوب سيبيريا، وبقي 10% منهم منتشرون في المناطق، وهذه الأرقام التي جاءت من القرن الثامن عشر لا تمثل الأرقام الصحيحة، ولكنها تشير مع عدم دقتها إلى ضخامة التدمير الذي أصابهم<sup>(1)</sup>.

وأما في الجنوب فقد جرت المذابح في ألواح الصغيرة وإجلاء الأهالي من ألواح الكبيرة بهدف تقليص القوى العسكرية فيها، ومن منطقة كاشغر تم نقل 12 ألف شخص إلى وادي إيلي، وأسكنوهم في أراضي الدولة، ويأتي من أحفاد هؤلاء المنفيين المعروفين باسم (ترانجي يعني الفلاح)<sup>(2)</sup>، وعلى أي حال مشكلة حوض تاريم كانت أسهل من جونغاريا في معالجتها إداريا وعسكريا، حيث أنشأ المانشور حاميات عسكرية ثم فرض طبقة إمبريالية على رأس النظام الاجتماعي الموجود.

وفي جونغاريا بعد أن نفذت المذابح وانخفاض السكان اضطر المانشور إلى جلب سكان جدد تحت إشرافهم، مما تنوع سكان جونغاريا تنوعا كبيرا جدا، مما استلزم إدارة الجونغاريا في ذلك الوقت بحث المشاكل التي نتجت عن تنوع مصالح المختلفين، وعملت

<sup>1</sup> -Fan Wen-lan and others, A short General History of China, Shanghai 1947. pp.663-664. See also: Wei Yuan, The Sacred Military Records (an account of the Manchu imperial campaigns) first published in 1842, also Chun Yuan, General Records of the Western Regions, a work written in 1776 but first published in Tientsin In 1818, Ch.3, p.26 another edition of this work is Informal Records of the Barbarian Regions (All in Chinese)

<sup>2</sup> - See Ch. IV

على توطين بعض المغول، ودعت بعض القبائل التي تلوذ بالقرابة لقبائل الجونغار، وهربت إلى روسيا بعد الحرب وسكنت منطقة الفولغا السفلى فيها، ويسموا الروس بالقالموق دعتهم بالعودة، وعامل المانشور أمراءهم العاندين إلى المنطقة أتباعا مخلصين لهم.

وبالإضافة إلى إنشاء المستوطنات في المناطق الزراعية، فقد تم توطين المنفيين من حوض تاريم المعروفين بالترانجي في المستعمرات العسكرية التي تشرف عليها قوات المانشور، وبهذه السياسة الاستعمارية زادت رقعة الأراضي الزراعية في إيلي وجونغاريا مما كان يقدر 240 000 مو (40 000 فدان تقريبا) في نهاية القرن الثامن عشر<sup>(1)</sup>، وقد وصل إلى 700 000 مو (666 116 فدان تقريبا) في نهاية القرن التاسع عشر<sup>(2)</sup>.

وقبل عام في سنكيانغ كما في الصين تولى المانشور السلطة بعد فترة من التدمير الرهيب، وانتهجت السياسة المانشورية استزراع الأراضي بتخفيض الضرائب، وبدء الأويغور في تورفان وقمول يزرعون الأراضي التي منحت لكل رب عائلة، ومقدارها خمسة فدادين مع البذور والآلات وحيوانات الحراثة، ويحتفظ المزارع بعد السنوات الأربع الأول من الزراعة بحوال 60% من المحصول بعد خصم قيمة البذور، ثم يدفع منها 40% إلى الحكومة، ثم ابتداء من السنة الخامسة تفرض الضرائب على الأرض<sup>(3)</sup>.

وكان المستوطنون المانشوريون في إيلي وجونغاريا في نظر الأسر المانشورية من المخلصين الذين لا يرقى إلى إخلصهم شك، ومنح كل رجل منهم ما لا يقل عن ثلاثة فدادين (ربما كل رجل في سن

<sup>1</sup> - Sacred Military Records, as cited, Ch.4, figure for 1795

<sup>2</sup> - Wang Shu-nan and others, Hsinchiang T'u Chih, or Sinkiang Gazetteer. Compiled in 1911. published at Tientsin In 1923, Ch.30, pp.2-3 (figure for the period 1990)

<sup>3</sup> - Hsinchiang T'u Chih as cited, Ch.28, p.11

العسكر) مع البذور والآلات وحيوانات الحراثة، وبعض النخبة من المانشوريين نال ستة فدادين، بينما كان حصة المجرمين الصينيين المنفيين فدانين، وكانت الأراضي المانشورية في الواقع تمثل التملك الإقطاعي؛ نظرا لأن جميع المانشوريين هم من المانشور السولون والسيبو، الذين يخضعون للخدمة العسكرية، وفي عام 1812م صدر مرسوم إمبراطوري يمنح قائد الحامية في غولجه الحق على توزيع الأراضي المانشورية إلى ممتلكات خاصة ثابتة معفاة من الضرائب بموجب نظام المنح، وكانت مثل هذه الأراضي لا تؤجر للآخرين لزراعتها، إذا تم تأجيرها فلا بد أن يكون المستأجر منشوريا<sup>(1)</sup>، ولكن مع توالي الوقت تلاشت هذه النظم، وصار بالإمكان تأجير وبيع الأراضي للمزارعين الصينيين، والموظفين والتجار.

ومع الخطوط الرئيسة في البناء الاجتماعي لمجتمع المستوطنات والرعية في سنكيانغ التي نظمت إداريا من جديد في عهد الإمبراطورية المانشورية، اندلعت ثورات المسلمين الكبيرة في القرن التاسع عشر والثورة الصينية في عام 1911م، وأكدت على أن التطور التجاري في الحياة الاقتصادية خلال المائة السنة الماضية مزق هذه النظم الآن تماما، ووقع الشعب بين الدولة الاشتراكية التي تأسست في الأراضي السوفياتية، والثورة الاجتماعية التي انتشرت في الأراضي الصينية.

وفي هذا التمزق انكشف البناء الاجتماعي عن طبقات متعددة يمكن تصنيفها بالاجتماعية والتاريخية، ومن الناحية الاجتماعية تدرجت من السلطات الاستبدادية ذات الامتيازات العالية إلى الحرمان من حق التصويت والاعتراض، أما من الناحية التاريخية فالطبقة مضطربة، وفي دورة التغيير من الإقطاعية المركزية التي كانت تتميز بالسلطة الإمبريالية القومية إلى الإقطاعية اللامركزية في دول ألواح

<sup>1</sup> - Inditutes of the Manchu Dynasty, edition of 1818, Section "shih Li"  
(Precedents) Ch.842, p.13 (in Chinese)

المحلية وأمراء قبائل الرعاة، والوضع الجديد لم يتمكن من تصفية القديم تماما وإحلال مكاسب المؤسسات والإدارة الجديدة مكانها، وبالعكس عندما كانت ألواحات مستقلة تماما عن بعضها، والقبائل الرعوية ترفض سلطة قبائل رعوية أخرى عليها، لم تختف الجماعات المتسلطة في مجتمع ألواح أو في مجتمع القبائل الرعوية تماما. وفي كلا المجتمعين كان يحل أولا قاعدة البيروقراطية الإدارية الصينية التي تمثل المركزية لها في آسيا الداخلية، وقد تنجح بيروقراطية أخرى مثل الشيوعيين في تولي السلطة في الصين، بينما جمهورية الصين تحكم سنكيانغ اسما منذ قرابة أربعين سنة، إلا أن بيروقراطيتها تشبه أساسا في نشاطها مثل التي مارسها المانشور في القرن التاسع عشر، ومن الناحية الاقتصادية فهي ضريبة على مجموع دخل سنكيانغ، وأما من الناحية السياسية والإدارية كانت تعمل على الاحتفاظ بسنكيانغ بنفس الوضع على الخريطة والاتفاقيات الدولية، بحيث إن مستعمرات الصين في آسيا الداخلية تلاصق روسيا، ولكن لم تدمج سنكيانغ إلى الصين، بحيث تكون حياة وثروة سنكيانغ جزءا من حياة وثروة الصين، وعاد الموظفون الصينيون منها أغنياء، ولكن مساهمة سنكيانغ في دولة الصين كانت ضئيلة.

تجمع الصينيون تحت إدارتهم القوى الإقطاعية لطبقات الحكم المحلي التي حافظت على نفسها، وفي ذات الوقت أجبرت شيخ القرية وزعماء ألواحات وأمراء المغول وزعماء القازاق وغيرهم ممن يعرفون بهذه الألقاب على دفع ضعف الضريبة، أحدها لحفظ البيروقراطية الصينية الإدارية، والأخرى لإغناء أفراد الموظفين الصينيين، ولكي يتمكن هؤلاء من جمع هذا المقدار من الضرائب منحتهم الإمبريالية القوة التي أبقت سلطتهم التقليدية التي مكنتهم من جمع الضرائب من مزارعي ألواح ومن رعاة القبائل.

وبالرغم أن التجارة استمرت بالتدخل في التسويق التجاري في شكل الاقتصاد النقدي، مما حافظ على الأصل الإقطاعي في أنواع الامتياز، فقد منع كلا الموظفين الصينيين ومن يلوذ بهم من الوجهاء المحليين من العمل بحرية في السوق، وتم اختيار أفراد من التجار ومنحهم

حمايتهم ومكنوهم من التهرب من دفع الضرائب، وساعدوهم على الاحتكار محليا في بعض الأوقات وفي نطاق المقاطعة، وبهذه الطريقة قطعت دخل المقاطعة من التجارة، ولكن زاد غناء التجار المحميين، كما زاد ثروة الموظف الشخصي الذي يأخذ الضريبة لحمايتهم.

وأما في المستوى الأدنى فالفلاح والراعي وإن لم يكن يدفع الضريبة شخصيا، وإنما يدفعها في شكل قروض وعمل، حيث يجبر على العمل في مشاريع خاصة أو بالخدمات العادية لأسياده الذين يعطوه طبقة لمكائتهم في الامتياز الطبقي، ومع أنه لا يوجد تشريع لاستخدام هؤلاء القن إلا أن المزارع أو الراعي في الواقع مجبر على العمل بنظام الاستعباد الإقطاعي، ولا يملكون حقوقا ويؤدون خدمات لهم ويمنعون من بيع خدماتهم في السوق الحر، وهذا بقوة السلطة الحاكمة التي تلزمهم بكل ما سبق، حتى يتمكن رؤساؤهم من جمع الضرائب نقدا أو بالإجبار على العمل لهم أو بيع خدماتهم للآخرين، وحتى الممتلكات الخاصة للفقراء من الأرض أو المواشي مرتبطة بالتزامات تمنعهم من استعمالها بحرية.

وعندما يتفكك المجتمع لا ينحل عشوائيا مطلقا؛ لأن لكل مجتمع لديه نوع خاص من وحدات مترابطة، وهذا الترابط والتماسك موزع من غير تساوي على الوحدات الأخرى في المجتمع، وبين هذه الوحدات توجد خطوط الضغط، ويحاول المنشقون الاستفادة منها، وعندما ننظر بعين الاعتبار إلى التأثيرات الآتية من روسيا إلى مجتمعات سنكيانغ، وما قد يأتيها من التطورات السريعة التي تحدث في الصين من ثورة الشيوعيين على تثبيت سلطتهم فيها، ويجب دراسة هذه التأثيرات نفسها وأثرها في موازنة التماسك والانشقاق في المجتمعات التي توجد فيها.

## الفصل السابع

### آسيا الداخلية في مفترق الطرق

خلال الحرب العالمية الثانية والأعوام التي تلتها من التغيرات السريعة تغير الوضع كثيرا في الأراضي التي تتصل بمحيط سنكيانغ أكثر، وفي سنكيانغ نفسها تغير الوضع كثيرا، ولأكثر من نصف قرن وصف الكتاب أن سنكيانغ منطقة فراغ جزئي تتنافس عليها الصين والهند وروسيا، وأما اليوم هي تعج بوطنيتها الخاصة ولا يمكن وصفها بالفراغ، ومن أهم ملامح وضعها الحالي هو موقعها بين



الصين التي يسيطر عليها الشيوعيون والسوفييات التي يحكمها الشيوعيون.

وحتى حدوث هذا التغيير كانت السياسة البريطانية التي توجه جزئيا من لندن وإمبرياليا من القوة التي تحكم الهند، وقد تناول البريطانيون هدفين: تأسيس مجال نفوذ خاص في كاشغر وحوض تاريم، ويحول السوفييات عن تأسيس مجال نفوذ لهم في وادي إيلي وجونغاريا، بالإضافة إلى التعاون مع السلطات الصينية، ودعم سيادتها التي يمنع توسع النفوذ السوفيياتي غير المرغوب فيه، وفي السنوات الأخيرة لحكم الكومنتانغ وبعد المفاوضات البريطانية للانسحاب من الهند وباكستان، مارس البريطانيون الهدف الثاني؛ لأن المصلحة البريطانية تتوقف على أن يكون الحكم الصيني ضعيفا نسبيا على آسيا الداخلية، سواء كان في حكم الكومنتانغ أو الشيوعية الصينية بحيث يمنع من تطور القوة السوفيادية من التحكم عليها أو تعيق مصالحها.

وفي نفس الفترة مرت روسيا ومستعمراتها من الحكم الإمبريالي المركزي في عهد القياصرة إلى اتحاد فيدرالي لجمهوريات السوفيادية الاشتراكية، ثم بدأت التغييرات في الصين إلى الثورة مثل روسيا، ولكنها لم تكتمل إلا مؤخرا، وقبل عام 1911م ضعفت سلطة الإمبراطورية المانشورية في الصين وفي مناطق الحدود، حتى تلاشت سلطتها في عام 1911م، وفيما بين 1912-1926م كانت الصين جمهورية يتقاسم سلطتها زعماء الحرب، ولم تكن هناك سلطة مركزية قوية لا في الصين ولا في مناطق الحدود، ثم صارت الصين بعد عام 1927م جمهورية يحكمها الكومنتانغ التي تزايد سلطتها المركزية في الصين، بينما هبط نفوذها في سنكيانغ ومناطق الحدود الأخرى.

وأخيرا مرت الصين بفترة تزايد فيها الشيوعيون والاتجاه نحو الفيدرالية، ومن المحتمل ضمن هذه النزعة الفيدرالية أن تكون سلطة حكومة الصين المركزية أكثر قوة في مناطق الحدود في منشوريا

ومنغوليا الداخلية وسنكيانغ من أي حكومة صينية مضت منذ فترة طويلة.

ويجب أن يتم تقييم جميع هذه التغيرات ذاتها وعلاقتها وتفاعلها مع بعضها البعض، واليوم لا يمكن وصف سنكيانغ بالفراغ فقد أصبحت على مفترق الطرق، تتقابل عليها جملة من القوميات المتباينة وسياسة دولتين كبيرتين هما الاتحاد السوفياتي والصين، ويتشابه هذان الاتحادان الفيدراليان في نزعتهما الشيوعية، ولكنهما لا يتماثلان في مصالحهما الداخلية.

### الثورة الروسية وأثرها:

حدثت ثورة استعمارية فريدة ضمن الثورة الروسية العامة، فالمستعمرات الروسية التحقت وظهرت ضمن الأراضي الروسية، وكانت درجة التدخل بين الروس والشعوب المستعمرة أكثر احتمالاً من أي مستعمرة فيما وراء البحار، فمثلاً كان جميع البريطانيين منزولين تماماً في الهند كما هم منفصلون عن بريطانيا، والمشرف على مصنع النسيج أو المشرف على زراعة الشاي أو الموظف البريطاني المدني يعتبر نفسه أحد أفراد الطبقة الحاكمة، ويرفض في الحال مطالب الهنود في المساواة، وبالعكس كان من النادر جداً أن يتمكن الهندي الذي يذهب إلى الدراسة الجامعية في بريطانيا أن يحصل على عمل فيها، وإذا عاد إلى الهند عليه أن يقبل العمل مستخدماً بأقل مما يستحقه من درجته العلمية، وتحت رئيس أقل منه كفاءة.

وأما في آسيا الوسطى الروسية عمل الجنود الروس الذين يسكنون المدن مثل تاشكند في بعض الحرف بأنفسهم، كما عمل في السوق وشارك في منافسة غير الروس، والمستوطنات التي أسسها الروس كانت مجاورة لقرى الأوزبك، وفي بعض الحالات قد يكون الروس في مواقع أعلى من المحليين، ولكنهم جميعاً يكونون الشعب الذي يخضع بكامله للحكم الروسي، وكانت أوامر حكومة القيصر تفرض على الشعب، وينفذها الروس وغير الروس على السواء.

والطبقات العليا تداخلت فيما بينها أيضا، فالفرد من آسيا الداخلية إذا استطاع والده أن يؤهله بالتعليم الروسي يتمكن من الالتحاق بالخدمة العامة من عسكرية أو مدنية، وليس شرطا أن يكون في خدمة مستعمرة منفصلة.

وأحد الأمثلة لهذا الحال هو ولي خانوف أحد سلاطين القازاق الذي تخرج من الكلية العسكرية الروسية، قام برحلات استكشافية رائعة لم تكن معروفة سابقا، وكان في عدااء مستحکم مع كاشغر في نهاية خمسينات القرن التاسع عشر، ثم تولى منصب كبير في سانت بطرسبورغ، ولم يكن ضابطا في فرقة عسكرية، كما كان صديقا إلى دوستوفسكي Dostoevsky في سنوات نفيه، وكان زميل دراسة وصديق العمر للمستكشف بوتانين Potanin ولم يكن بالنسبة إلى بوتانين مجرد مواطن يعتمد عليه في بعثاته الطويلة، يعمل مترجما وملازما له فحسب، بل هو زميل مستقل يمارس استكشافاته الجريئة<sup>(1)</sup>.

كما حدث التداخل في الأفكار السياسية بالإضافة إلى التصنيف الإداري، وكانت مستعمرات ما وراء البحار فيها الطبقة المستعمرة ككل، لا تتصل بمجتمع البلد الذي تحكمه، ولكن الوطنية النموذجية للمستعمرة بدأت في التوجه نحو الأفكار الديمقراطية التي تسود البلدان التي يحكمها الأوروبيون، بينما كان الاستياء الشديد من حقيقة أن المؤسسات الديمقراطية لم تصل إلى البلد المحكوم، وطموحه إلى المثل الأعلى نحو الديمقراطية عندئذ، كان جزءا من النقد لأي خطأ في التطبيق الفعلي للمؤسسات الديمقراطية في البلد المحكوم.

ومن طرف آخر في روسيا كان حكم القيصر استبداديا نظريا وعمليا،

<sup>1</sup> - Yu.N. Bessonov and V.Ya. Yakubovich, Through Central Asia, Chapter on "Valikhanov and G.N. Potanin" Moscow 1947 (in Russian)

ولم يكن من المستطاع أن يتطلع الروس إلى الحقوق الديمقراطية والحريات، بدون المطالبة بإصلاح صارم للنظام القائم، وعلى ذلك فإن الشعوب غير الروسية التي تأثرت بالمثّل الديمقراطية العليا الروسية بالطبع سقطت بنقد الديمقراطية الروسية للنظام القائم.

وحاول القياصرة إسكات انتقاد الشعب الروسي بنفي المعارضين إلى المستعمرات الروسية، ولكن الاضطهاد كان شديداً على الديمقراطيين والثوار السياسيين المنفيين هناك، وأقام المعارضون الروس علاقات مع الشعوب غير الروسية، وتكونت مراكز ضغط منهم ومن شعوب آسيا الداخلية، وتوسع نطاق تأثيرهم بعلاقاتهم بالمتعلمين من المعارضين والناقدين، وتكونت حلقات فكرية لهم في سانت بطرسبورغ وموسكو بما يتشابه مع ميدان بلومسبوري Bloomsbury في لندن، ومثّل هذا النوع من الحوافز المشتركة بين المثقفين كان مستحيلاً بين البريطانيين والهنود في الهند، أو بين الأندونيسيين والهولنديين في أندونيسيا.

وعلى هذا فعندما اندلعت الثورة الروسية لم يكن بالإمكان حصرها على الشعب الروسي فقط، ولم تأخذ صيغة استبدال الحكم القيصري على الشعوب غير الروسية بالحكم البلشفي عليها، ومنذ البداية كان الأمر أن يأخذ شكل ثورة وحرب أهلية عامة، حيث كان غير الروس في جانبي المعركة مع الروس، وبينما مرت الثورة من الكفاح السياسي إلى الحرب الطبقي تجمع المنشقون الملاك منهم معا أكثر الروس وغير الروس يحاربون للحفاظ على الأقل شيئاً من النظام القديم، بينما غير الملاك من الروس وغيرهم يحاولون فرض النظام الجديد.

وفي كثير من المناطق التي يكون الروس أقلية كانت الثورة برئاسة غير الروس المنحازين إلى البلاشفة الروس<sup>(1)</sup>، ومع ذلك قبل

في هذا الكتاب الاوّل انظر الفصل - 1

Owen Lattimore, "Yakutia and the Future of the North" American Review on The Soviet Union, New York, Vol.VI, No.2, Feb.1945; reprinted in New

الحصيلة الأخيرة وجدت طبقتان متوسطتان، ومن خلالهما وبعد فوز الثورة البلشفية حدثت هجرات هامة من الأراضي الروسية، التي نجحت فيها تأثيرات الثورة إلى المناطق المتصلة في آسيا الداخلية.

وفي الطبقة المتوسطة الأولى وصل الوطنيون غير الروس إلى الحكم أو على وشك الوصول إليه في مناطقهم، ووجدت مجموعتان من الوطنيين، أحدهما تضم الحكام السابقين مثل أمير بخارى أو ممثلون أقل منه من النبلاء والشيوخ في النظام القديم الذين سيطر عليهم الروس، ولم تلتزم هذه المجموعة بالوضع السياسي بل حاول أفرادها على استرداد قوتهم السابقة بقدر الإمكان، ولما كانت القوة التي نال غير كافية لهم تطلعت إلى الحماية البريطانية التي تدخلت لمقاومة الثورة الروسية من جهتي آسيا وأوروبا.

وأما المجموعة الثانية ينتسب كثير من أفرادها إلى المجموعة الأولى ممن تعلم في المدارس الروسية، وشغل المناصب في الإدارة الروسية، وعندهم بعض المعرفة عن النظرة السياسية والسياسات الحديثة، ولكن طموحاتهم لم تتعد عن الحكم الذاتي وتكوين طبقة من الأعضاء يتولون المناصب الكبرى التي كان يحتكرها الروس، وتطلعت أيضا في بحثها عن الحلفاء من الروس المنشفيك **Mensheviks** وعندما فشل هؤلاء، توجهت نظرهم إلى بريطانيا، وعندما فشلت تدخلاتها هرب الكثير منهم إلى أوروبا وأكثرهم إلى إيران وأفغانستان وسنكيانغ.

وتميزت الطبقة الثانية بتدخلات البريطانية، وبدأت من حيث فشلت الطبقة الأولى، وكانت التدخلات تدار من إيران والعراق، وحجبت أفغانستان؛ لأن مخاوف البريطانية فيها كانت قوية جدا، ولكن نشطت

عملياتها من كاشغر في سنكيانغ بشكل فعال<sup>1</sup>)، ومنذ البداية منع السوفييات سجناء الحرب الألمان والنمسا من دخول تركستان الروسية؛ خوفاً أن تمكنهم من العودة إلى بلادهم، كما منع تدفق القطن الخام إلى ألمانيا بعد معاهدة بريست لتوفسك Breast Litovsk مما أدى إلى منع الثورة الروسية من الاستيلاء على حقول النفط في باكو في محاولة لإكمال الحاجز حول روسيا، ولكن مع فشل هذه العملية حملت بريطانيا نتائج ذلك، إذ تدفق إليها الفارون الروس ومن كل قومية في آسيا الداخلية، ولم تنته الهجرة بفوز البلشفية، بل مع كل تغيير في السياسة البلشفية، وخاصة خلال الحملات القاسية على التجمعات التي كانت بالفعل حرب أهلية جديدة، وكان هناك تدفق جديد من اللاجئين إلى سنكيانغ ومناطق آسيا الداخلية الأخرى التي تحيط بالحدود السوفياتية، وبهذه الطريقة انتشرت تأثيرات الثورة الروسية، بحذر فيما وراء حدود الاتحاد السوفياتي.

ومع ذلك في الحال بدأت تظهر سلسلة من المؤثرات الطويلة التي تطورت من واقعية أن الحدود السوفياتية في جميع أنحاء آسيا الداخلية كانت مصطنعة؛ لأنها وجدت إبان الغزوات القيصرية الروسية وتوقفت حيث توقف الغزو القيصري، وهي تفصل في كل مكان بين شعوب متشابهة بدلا من الفصل بين شعوب مختلفة كما جاء ذكره في الفصل السابق، وهناك لغة واحدة مستعملة في الحدود السوفياتية- التركية والسوفياتية- الإيرانية والسوفياتية- الأفغانية والسوفياتية - سنكيانغ، وفي معظم هذه الحالات تستعمل هذه اللغات أقليات يعيشون في سيادة الدولتين، ويجب دراسة وضع هذه الشعوب الذين يكونون أقليات في الدول التي يعيشون فيها ويتكلمون لغة واحدة، وفي المقابل هناك الثقافة والتقاليد الاجتماعية المشتركة والظروف المختلفة التي يعيشونها على طرفي الحدود التي تفصلهم. والنقاط الخمسة التالية التي تتابعت في النظام التاريخي، قد تظهر

<sup>1</sup> -Lt. Col.F.M. Baily, Mission to Tashkent, London 1046, Also L.V.S. Blacker, OnSecret Patrol in High Asia, London 1921.

بوضوح مؤثرات الثورة السوفياتية على المدى الطويل:

1- كان اللاجئون والفارون من الثورة السوفياتية في سنكيانغ نخبة ممتازة بمهارتهم العلمية والفنية، وبالأخص لوجود أطباء وجيولوجيين وعلماء ومهندسين ومهنيين بين الروس منهم والأوزبك والتتار، وكثير غيرهم من الأدباء والخبراء في التجارة والمهرة في النجارة والبناء والحدادة والدباغة، بحيث صار مستواهم فوق الطبقة المتوسطة السائدة في سنكيانغ، وبعد فرارهم من الاضطرابات والفوضى التي نتجت عن الثورة الروسية وجد هؤلاء البلاد التي دخلوها متأخرة جدا ثقافيا وسياسيا من التي نزحوا منها، مما أدى إلى استنتاجهم أن المهارات العالية التي جعلتهم الصفوة الممتازة، لم توفر لهم الأسس التي تضمن الاستقرار الاقتصادي؛ لأن المجتمع الذي ضمهم كان متخلفا، والجهاز الإداري الخاضعين له حديثا عاجز وفساد.

2- كان فرارهم في الأصل هو لعجز بلدانهم عسكريا في مقاومة الثورة الروسية، ووجد الفارون الآن أنه لا توجد دولة مجاورة تستطيع مساعدتهم لصد عدوان الثورة عن بلادهم، وفي سنوات الحروب الداخلية التي شاهدها في سنكيانغ لم توجد فيها أو في المناطق الآسيوية المجاورة لمواطنهم الأصلية حكومة تستطيع بناء قوة عسكرية وسياسية بسرعة تعادل تطور جمهوريات آسيا الداخلية السوفياتية الجديدة، أو تهية فرص تربوية وعلمية مثلها، وبينما الاضطهاد لا يزال مستمرا في مواطنهم الأصلية، ويصيب التعذيب كل من يتمسك بالنظام السياسي أو بالمجتمع القديم، وبينما تطبيق نظام الثورة يزيد في المعاناة، ومع ذلك وجدت مجالات العمل والتعليم لمن يريد ويتحمل المشقة لصالح مناطقهم، ولكن الاضطراب فيها لم تنته، وفي المجتمعات القديمة والمتخلفة تضع الفرص بدلا من تزايدها، وقد يصبح الرجل الغني فجأة فقيرا إذا كان طعمة

لموظف مرتشٍ، ولا يستغرب تزايد عدد الفلاحين الذين لا يملكون الأراضي الزراعية والمتسولين في المدن.

3- وفي هذا الجو المتغير السريع والاضطرابات العامة التي تلت الحرب العالمية الثانية، تخوّف الفارّون من الاضطهاد الشيوعي من جمهوريات آسيا الداخلية السوفياتية ومن روسيا، تخوفا كبيرا في بعض المناطق وقليلًا في بعضها الآخر، وكان خوفهم كبيرا بسبب تفاقم قوة روسيا؛ خشية أن تحتل الأراضي المجاورة، وبالمقارنة كان الخوف من ذلك أقل في البلدان المجاورة مثل سنكيانغ وأفغانستان وإيران وحتى تركيا، وقد صارت هذه البلدان مراكز استقرار في القانون والنظام، مما ترجوها الإمبراطوريات المستقرة، بينما الجمهوريات السوفياتية لا تقدم ضمانا للاستثمارات بل تقدم نوعا جديد من الضمان لم يكن معروفا من قبل في المجتمعات المتخلفة في آسيا، بمضاعفة عدد المهن خاصة للشباب وبالأخص لمن نال التعليم الجامعي ومدارس التدريب الفني.

4- في الواقع اكتملت الدورة، فقد كانت روسيا القديمة مرة أعظم وأرسخ دولة في آسيا الداخلية، بحيث إن رجال آسيا الداخلية لا يأملون التعليم والتدريب والعمل الحديث إلا في الاستخدام الروسي أو في خدمة القيصر، فقد كان الرجل ذو التعليم الروسي فردا متحررا من تقاليد القبيلة القديمة، أو من حياة ألواحة حتى بعد سقوط الإمبراطورية القيصرية، كان اللاجئون منها المنتشرون في بلدان آسيا الداخلية ينالون الاحترام لثقافتهم ومهارتهم، وفي الدورة الجديدة ضمنت لهم روسيا الجديدة (الاتحاد السوفياتي) هذه المراكز التي نالوها، وتخوف أولئك المتمسكين بتقاليد النظام القديم فيما وراء الحدود السوفياتية على مكاسبهم الاجتماعية والاقتصادية من الأيدلوجية الحديثة، ولكن الكل يعرف أن هذه الأنظمة القديمة شاخت وضعفت، ونفوذ الاتحاد السوفياتي الحديث وتأثيره على ما وراء حدوده في آسيا الداخلية كان يضغط بشدة على



صراع الطبقات في ظروف الانحطاط الاقتصادي التي تضغط على البناء الاجتماعي الضعيف الذي لم يعد يثق أفراده كثيرا بأنفسهم، وكان هذا التأثير علامة انفصام بين الشيوخ والشباب، وتفاقم الخوف بين أولئك الشيوخ الذين يعتقدون بعدم تمكنهم من التلائم بسهولة مع التغيرات العظيمة الجديدة، وأما الشباب الذين يجدون في قدرتهم انتهاز الفرص وارتفاعها بالفرص الجديدة في التعليم والعمل والمهن فقد أثارت فيهم الطموح والمغامرة.

5- تعاضمت هيبة الاتحاد السوفياتي بسرعة؛ بسبب تلاشي القوى الأخرى التي كانت في آسيا الداخلية، وضعفت سلطة الصين في سنكيانغ، وعلى الشيوعيين المنتصرين في الصين معالجة مشاكل مناطق الحدود في آسيا الداخلية الصينية بالمفاوضات وليس بالمراسيم، ومع جلاء بريطانيا من الهند لم يستطع الاتحاد الهندي أو دولة باكستان من تحقيق نوع من القوة التي تكون لها التأثير في آسيا الداخلية، كما فعلت بريطانيا سابقا، وتراجع النفوذ البريطاني في إيران و لكن لم يستبدل تماما بالنفوذ والقوة الأمريكية فيها، ومع أنها بقدره كافية لمحاربة روسيا ولكن لم تكن تلك الدولة التي لديها المهارة - كما كانت بريطانيا سابقا- للاستفادة في نفس الوقت من ضعف الحكومة وتدهور النظام الاجتماعي.

وعلى المدى القصير فإن النفوذ الأمريكي في دعم الحكومة الإيرانية عظيم، ولكن على المدى الطويل كان هناك تشابه مثير للسخرية بين النفوذ الأمريكي والنفوذ الروسي، وكلاهما يحثان على التحديث والتغيرات الاجتماعية الجديدة التي سرعان ما انتشرت من نموذج السياسة البريطانية، والفرق أن الشيوعية الروسية من خلال الاقتناع النظري والتخطيط المنهجي سيطرت على البناء الاجتماعي التي استمرت من العصور الوسطى، وأما الأمريكان ينفذون سياسة الاقتصاد

الفعال ويشجعون التعليم؛ لخدمتها، ويقضون بلامبالاة على نظم القرون الوسطى، وبالتالي على أسلوب التفكير المصاحب لهذه النظم.

## سنكيانغ تحت شبح اليابانيين:

بالقياس لأشكال الإمبراطورية القديمة والحكومات التي تلاشت في آسيا الداخلية، وعلاقتها بظهور أشكال القوى السوفياتية وهيبتهما، يظهر بوضوح أن التراجع البريطاني بدأ منذ فترة طويلة قبل أن يكون ملموسا، والانسحاب الذي تم بمهارة وتنظيم حكومة العمال البريطانية بعد الحرب كان نافذا من قبل بالدوين تشامبرلين Baldwin Chamberlian خلال سنوات الهدوء الألمانية واليابانية تحت حكومة محافظة، ويمكن الدراسة بالتركيز على نتائج السياسة التي تراكت في ميونيخ في أوروبا في آسيا الداخلية في الفترة التي مرت من احتلال اليابان لمنشوريا في عام 1931م ومعركة بيرل هاربر Pearl Harbor في عام 1941م.

بعد الحرب العالمية الأولى دخل مراقبون من الهيئة العامة اليابانية إلى سنكيانغ، ولعله كانت لديهم خطة على نشر المدربين الحربيين اليابانيين في منطقة إيلي، ولكن المشروع فشل بسبب نقص الموارد المالية<sup>(1)</sup>، ومع عام 1930م تشكلت هيئة المصالح اليابانية والسياسة الإسلامية تنظيما جيدا في الأراضي الإسلامية، وقامت بالاتصالات في تركيا وإيران بالإضافة إلى سنكيانغ والمسلمين الصينيين في الصين، وذكر كاتب ألماني أسماء ثلاثة عملا يابانيين مسلمين يحملون أسماء تركية<sup>(2)</sup>، وكان أحدهم في ألمانيا، وقد تسلل

<sup>1</sup> - P.T. Etherton, In the Heart of Asia, London 1925, pp.125-126

<sup>2</sup> - "Durchdringungspolitik in Zentralasien "Berichte des Asien Arbeitskreises, Vienna and Peking, No.I, February 1939.

وصف المؤلف أنه قضى اثني عشر عاما من التنقل لإي آسيا الوسطى وكان

هؤلاء إلى تركستان السوفياتية بالإضافة إلى سنكيانغ، ومع أن الكاتب الألماني يقول: إنه لا يعرف شيئا عن أعمالهم في الأراضي السوفياتية، إلا إنه يؤكد على نجاحهم على إثارة مشاعر السارت الأويغور في سنكيانغ، ولا شك أن ثورتهم في عامي 1933-1934م نتجت عن دعاية هؤلاء الرجال.

وكان 1933م عاما خطيرا، ذلك أنه في نهاية فبراير وبداية مارس سيطر اليابانيون على مقاطعة جيهور Jehol وضموها إلى دولة مانشوكو Manchukuo الموالية لهم، وفي هذه الحملة ضمت 100 ألف ميل مربع من الأراضي التي تغطيها الجبال، وتخرقها أكثر المواصلات بدائية في خلال عشرة أيام باستعمال طوابير الشاحنات، وفي هذه الحملة وليس في حملات ألمانيا على بولندا التي حدثت في عام 1939م كان أول عمل واضح في مجال عسكري كبير حقيقي لطوابير المدرعات المدعمة جويا، والتي تقوم على دفاعها الخاص ولا تبالي بالمبادئ القديمة بالتحرك بالفرق المكشوفة وتترك وراءها جنود الأعداء يجرون أذيالهم.

وفي السنوات الماضية شرح الرائد الأمريكي روي تشابمان اندرو Roy Chapman Andrew عن إمكانية تجول السيارات عبر منغوليا، كما أن الرائد السويدي سفن هدين Seven Hedin عبر عن إمكانية عبور قافلة السيارات من منغوليا الداخلية إلى سنكيانغ، ثم قامت بعثة سيترون Citroen الفرنسية بالرحلة في الاتجاه المعاكس، وأكدت الحملة اليابانية إى جيهور Jehol أن الطابور الياباني يستطيع في أية لحظة من الاستيلاء على الطرق التي تؤدي إلى سنكيانغ، ويقطع المواصلات بين الصين والأراضي السوفياتية، ويجعل القوات اليابانية في مركز يستطيع التحالف مع المسلمين الناطقين بالتركية في سنكيانغ ومع أمراء الحرب للمسلمين الصينيين

المستقلين فعليا في شمال غرب الصين.

وخلال السنوات الأولى لمقاومة الغزو الياباني لم يتمكن الصينيون أبدا أن يتحرروا من خوفهم الشديد من خطر اجتياحهم، ولم يتلاش هذا الخطر إلا بعد أن تزايدت هزائم القوات اليابانية بعد معركة بيرل هاربر Pearl Harbore التي جعلت من الصعب عليهم حشد المدرعات والذخائر لمثل هذا التحرك، كما يرجع إلى دفع هذا الخطر تمركز الوحدة الروسية المدرعة في قمول في سنكيانغ، ولا يستطيع صد هجوم الطابور الياباني المدرع إلا التحرك الآلي السريع، ولا يملك الصينيون مثل هذه الوحدات، بينما يوجد ذلك عند الروس، وعليه لم يعارض الصينيون مع شكوكهم الكثيرة احتلال الروس على الواحة التي تقع في التقاء الطرق التي تستطيع السيارات عبورها بين الصين ومنغوليا الداخلية والأراضي السوفياتية<sup>(1)</sup>.

وبعد الاستيلاء على جي هول Jehol وحتى قدوم المساعدة السوفياتية التي مكنت شنغ شيه تساي Sheng Shih-ta`ai من حكم سنكيانغ، توسع النفوذ الياباني بشكل ملموس في آسيا الداخلية، وكان يتواجد مستشارون يابانيون عندما جونغ ينغ Ma Chung-ying المغامر المسلم الصيني الذي حارب شنغ شيه تساي<sup>(2)</sup>، بالإضافة إلى أن كبير المستشارين في قواته كان تركيا من استانبول يسمى كمال، درس العسكرية في ألمانيا وفرنسا قبل عام 1914م، واعتقله الروس إبان الحرب العالمية الأولى، وبعد انتهاء الحرب وصل إلى هاربين Harbin ولعل العملاء اليابانيين وجدوه في هذا الوقت. وقد وصفت المصادر الألمانية بأن ما Ma نال الدعم (عمليا وماليا)

<sup>1</sup> - Owen Lattimore, Intoduction to Martin R. Norins, Cateway to Asia: Sinkiang, New York 1944, p.17

<sup>2</sup> - ايتجن ك. وو Aitchen K. Wu الموظف المدني في حكومة نانكين الذي زار معسكر ما Ma في كتابه:

من قبل اليابانيين، ومن حكومة الصين الوطنية (التي كانت تعتبره  
ثائرا خطيرا في مقاطعة كانسو Gansu ورغبت نقل حركته إلى  
خارج مقاطعته) بدعم من النظام البريطاني في الهند، بهدف إيجاد  
حاجز يمنع من تسلل نفوذ السوفييات<sup>(1)</sup>.

وكان الاتفاق على أن التسلل الياباني إلى سنكيانغ أقل خطرا من  
التسلل السوفيياتي مع ما يسببه من أضعاف السلطة الصينية على  
سنكيانغ والإضرار بالمصالح البريطانية فيها من ملامح السياسات  
المرغوبة في آسيا وأروبا في ذلك الوقت، ولم يحاول النازيون الذين  
كانت تنتشر مقالاتهم لإثارة المشاعر ضد السوفييات على إخفاء  
الحقيقة بأن السياسة السوفيياتية في سنكيانغ في حالة دفاع ومجابهة  
التسلل الياباني الذي تم تنفيذه.

وأكد فؤاد قازاق الفار من النظام السوفيياتي أن التوسع الياباني جعل  
الاتحاد السوفيياتي لا يشعر بالاطمئنان على طول حدوده مع  
الصين<sup>(2)</sup>، وقد نسب الكاتب الألماني ثورة قمول في عامي 1933-  
1934م إلى عملاء اليابان، وقال: (إن هذا الاندفاع الياباني نحو  
الغرب قد يدفع الاتحاد السوفيياتي على احتلال سنكيانغ)<sup>(3)</sup>، وأخيرا  
في عام 1934م قال يورنيف Yurenev الذي كان حينئذ سفيراً  
سوفيياتياً في طوكيو إلى السفير غرو Grew: إن الجنرال هاياشي  
Hayashi وزير الحرب الياباني يعمل بثبات ضد الاتحاد السوفيياتي  
في سنكيانغ خاصة<sup>(4)</sup>. وفي نفس المقابلة مع السيد غرو Grew

1 - المصدر السابق المجهول صفحات 7 و9 و15. لا بد من ملاحظة الفوضى التي  
وقعت في هذا الوقت والجوانب العديدة التي تم التعامل معها، مع ملاحظة  
أن ما وثق قبول بعد هزيمتهم شملتهم الحماية الروسية بالفعل.

2 - Fuad Kazak, Ostturkistan zwischen den Grossmachten, Konigsberg-Berlin  
1937, p.75

3 - المصدر المجهول السابق ص 6

4 - Joseph C. Grew ,Ten Years in Japan, Simon & Schuster , Inc.New York

قدم السيد يورنيف Yurenev ملاحظة فتحت الطريق لفهم السياسة البريطانية في ذلك الوقت حيث قال: (طبقا لمعلوماته فإن إنجلترا تظهر ميلا كاملا وواضحا تجاه اليابان، وأضاف أن إنجلترا في وضع سيئ لأنها ترى أن اليابان ستكون قوة ضاربة)<sup>(1)</sup>.

واستنتج السفير السوفياتي إلى وجود ارتباك في السياسة البريطانية من خلال تباین الكتابات البريطانية في هذه الفترة، ومع أنها ترى أن اليابان قد تتحمل جزءا من مقاومة بريطانيا التقليدية لروسيا، ولكنها قلقة أيضا من أن نفوذها يزداد عاما بعد عام في كل مكان في آسيا، مما يعيق تجارتها ومصالحها السياسية، وقد شرح هذا التباين السير أريك تشمان Sir Eric Teichman الخبير البريطاني في شؤون مناطق الصين في آسيا الداخلية في ملخصه، لوضع سنكيانغ في السياسة اليابانية، فتارة يتعاطف معها وتارة يتخوف منها يقول: إنها تشكل حاجزا لصد تيارات البلشفية المتقدمة في الشرق الأقصى، مما أدى خطواتهم فيها لاضطراب كبير دفعتهم لاحتلال منغوليا الداخلية وشمال الصين على تحقيق مصالحهم الخاصة<sup>(2)</sup>.

وتحت الضغط المزدوج من الخوف من روسيا والقلق من مواجهة السياسة اليابانية ذات الأهداف المجهولة، كانت السياسة البريطانية كما ظهرت من كتابات البريطانيين تحوم بالشكوك حول شنغ شيه تساي Sheng Shih-ts'ai خاصة في فترة الإصلاح الإداري في سنكيانغ، وكانت تتطلع برضى نحو الساسة المسلمين الدينية على أنهم الحاجز الواقى من حركة الملحدین الوطنیة، وزعماء المسلمين في جنوب سنكيانغ المعارضين طويلا لشنغ شيه تساي كانت نظرتهم ودية نحو بريطانيا، كما جاءت في أحاديثهم الودية مع الرحالة البريطانيين، وكانت لهم أيضا علاقات ودية مع القنصل البريطاني

1944, pp.123-125

<sup>1</sup> - Grew, op.cit. p.125

<sup>2</sup> - Sir Eric Teichman, Journey to Turkestan, London ,1937, p.191

العام في كاشغر، وعندما اندلعت ثورة إسلامية ضد شنغ شيه تساي في عام 1937م قالت جريدة تايمز Times: يبدو أن هذه الأحداث تشير إلى اختفاء تأثير السياسة السوفياتية مؤقتا في كاشغريا<sup>(1)</sup>، ولم تكن السياسة البريطانية ناجحة أبدا، ولم يأت اليابانيون أبدا إلى نقطة الاشتباك مع روسيا، وقد تلاشى النفوذ البريطاني في كاشغر وياركند وخوتن بعد أن كانت قوية فيها، وفي خلال سنوات حكم شنغ شيه تساي عندما كانت سياسته متقدمة وناجحة كان كل من بريطانيا واليابان يمثلان التهديد الإمبريالي في سنكيانغ، وقد كان جزئيا وسيلته لتحويل ضغط القومية الأويغورية وغيرها لضرب النفوذ البريطاني، وأما الشبح الياباني في سنكيانغ لم يؤد مطلقا إلى حقيقة التوسع اليابني أو غزوها، ولكن في السنوات التي كانت السياسة البريطانية تهادن اليابان كان النفوذ البريطاني خفيفا على سنكيانغ<sup>(2)</sup>.

## الثورة الصينية تصل إلى سنكيانغ:

بعد أن تزايد النفوذ الثوري الروسي وتقوى في آسيا الداخلية وتضاءل النفوذ البريطاني في عام 1930م، بدأت تأثيرات الثورة الصينية تدخل سنكيانغ خفية، والذي حدث بعد ثورة الصين 1911م في سنكيانغ ما هو في الواقع إلا تغير العنوان من الإمبراطورية المانشورية إلى الجمهورية الصينية؛ لأن الفنة

<sup>1</sup> - The Times, 21 August 1937

<sup>2</sup> - وبخصوص مشاعر الصينيين المعاصرين العدائية نحو بريطانيا في موضوع سنكيانغ، انظر:

Edgar Snow, Battle for Asia, Random House, New York 1941, p.307

ولاحظ الاستشهاد المهم في جريدة صينية مستقلة Ta Kung Pao وأيضا:

Martin R. Norinsa, Gateway to Asia: Sinkiang, New York 1944, pp.48 and 56

also citing Chinese Sources

الحاكمة التي تزعمها يانغ تسنغ هسين Yang Tseng-hsin استمرت في حكم سنكيانغ، ونجحت في منع وصول مبادئ الثورة الثانية والأحداث التي حدثت فيما بين 1925-1927م.

وبدأت التطورات مع ثورة المسلمين الوطنيين في بداية عام 1930م ثم تطورت مع عصيان ضد الحكم الصيني إلى ثورات ضد النظم الاجتماعية التقليدية في سنكيانغ، ومنحت هذه التحولات فرصة العمل لأولئك الصينيين في سنكيانغ الذين تحولت أفكارهم إلى الثورة.

ويبدو أن شنغ شيه تساي عندما تولى الحكم في سنكيانغ كان ثوريا ومغامرا عسكريا في آن واحد، وكان قد عمل في البعثة الشمالية عام 1927م، وصاحب الطابور العسكري الأول المشهور الذي كان يقوده تشانغ كاي شك Chiang Kai-shek مع رئيس هيئة الأركان هو ينج تشين Ho Ying-chin ومساعد رئيس الأركان باي جونغ هسي - Pai Chung-hsi وكان يعمل بنفسه في قسم التخطيط بالهيئة العامة، وقد لاحظ عن قرب أن زعماء الكومنتانغ Koumintang العسكريين يستغلون بجرأة النزاع الطبقي لخلق وضع يستطيعون منه التحكم على ميزان القوى الذي ظهر لفترة أنه تحت سيطرتهم الكاملة، وتطورت بهم نظرية ركوب النمر الثائر والثبوت عليه بدون فقدان التحكم، ولعل شنغ شيه تساي فكر جيدا عندما تولى السلطة في سنكيانغ أن باستطاعته أيضا استعمال نظريات الثورة بدون التحكم على نتائجها.

والذي واجه شنغ شيه تساي في سنكيانغ لم تكن ثورة، بل عصيان عام لم يتمكن من إخماده بقوة مصادره العسكرية التي تحت إمرته، ومن جهة أخرى لا يريد حماية مصالح العائلات الصينية الاستعمارية المستثمرة منذ طويلة في المقاطعة، فقد كان قادما جديدا إليها، ولديه الفرصة في السيطرة على الوضع إذا استطاع أن يعمل جيدا مع استعمال الوسائل المتاحة له، وتضم هذه الوسائل:

1- الحصول على مساعدة آلية من السوفيات نظير منع تضخم النفوذ الياباني في آسيا الداخلية.

2- السماح بعودة الروس إلى سنكيانغ لمساعدة القوات الصينية التي هزمت من اليابانيين في منشوريا، والتجأت إلى سيبيريا حيث وقعت في الاعتقال إلى سنكيانغ، وبهذا يستطيع أن يجعل من نفسه وهو القائد الصيني الماتشوري المنفذ الحقيقي لهذه القوات المعتقلة، وهؤلاء ليست لهم أية علاقات بالسياسة المحلية في سنكيانغ ويساعدونه على استغلال التعزيزات المرسله من الصين.



3- إرضاء الأويغور والزعماء السياسيين غير الصينيين الآخرين على حساب الموظفين الصينيين القدامى في سنكيانغ - الجماعة التي لا يرتبط بها شنغ، ولا توجيه الدفاع عن مصالحها- إذا استطاع التخلي عنهم يتمكن عندئذ من إيجاد مصالح جديدة ترتبط به وتعتمد على سياسته الجديدة، كما ظهر في الفصل الثالث، فإن سياسة شنغ قامت على إرضاء الشعوب، ولكن في الواقع نفذت بشكل رئيسي لاكتساب بعض زعماء هؤلاء الشعوب الذين لم تكن طوحاتهم سوى نيل المراكز التي كانت في الماضي وقفا على الصينيين.

4- الاعتماد على الخبراء الصينيين الجدد والمستشارين الذين يشبهونه ولا يتقيدون بالمصالح العامة للنظام القديم، ويستطيعون مساعدته على تنفيذ سياسته في التعامل مع الروس، والعمل على إرضاء القوميات غير الصينية في سنكيانغ أكثر مما عمله الحكام الصينيون من قبل.

وعولجت النقاط الثلاث الأولى مقدما في الفصل الثالث من هذا الكتاب، ويتردد ذكرها هنا لارتباطها بالنقطة الرابعة التي توضح الوسيلة التي دخلت بها الثورة الصينية إلى سنكيانغ بعد فترة طويلة، ثم بدأت عملها هناك.

وفي سنوات تجديده الأولى لم يصادف شنغ صعوبات كثيرة على جمع الصينيين الغرباء عن المقاطعة الذين لا يرتبطون بها كثيرا، ولكنهم يتحمسون لها، وفي الفترة ما بين ضياع منشوريا عام 1931م وتكوين الجبهة المتحدة بين الشيوعيين والكومنتانغ في بداية عاتم 1937م عانت الصين من المرارة والضياع، وتقاعد الآف الصينيين الوطنيين ممن لا يريدون الانضمام إلى الشيوعيين عن الكومنتانغ الذي أصرّ ورفض وقف مقاومة اليابانيين بدلا من الاستمرار في الحرب الأهلية ضد الشيوعيين، إلا أنهم يتطلعون إلى الإصلاح وهم مستعدون على التجمع حول زعيم مثل شنغ شيه تساي الذي يدعو إلى الوحدة الداخلية والإصلاحات الديمقراطية والعداء للامحدود للإمبريالية.

ولم يتخوف الصينيون ممن يحمل هذه الرغبة من علاقات شنغ الودية مع الروس، وقد كان كثير من الصينيين على علاقات طيبة مع روسيا بالنظر لتهديد اليابان الواضح لهم، واستعداد شعب ضد آخر سياسة صينية قديمة، ولكن تخوف كثير منهم من هذه السياسة خشية أن تنعكس عليهم، وحذروهم من توثيق العلاقات مع روسيا حتى عند مواجهة هجوم ياباني متزايد، وذلك لأن روسيا كانت شيوعية.

ولكن شنغ بالإضافة إلى اليساريين جند الشيوعيين الصينيين، ودعا الشيوعيين البارزين للالتحاق بخدمته واستعملهم لمعرفةهم في الهيئات الشعبية، ولخبرتهم في الاقتصاد والشؤون المالية، ولكنه أحكم سيطرته القوية عليهم، وعندما اضطر أن يعمل ضدهم وخاصة بعد أن شك في قدرة الاتحاد السوفياتي على الصمود في معركة ستالينغراد فكر أن من الحكمة أن يعود إلى علاقاته مع الكومنتانغ، ويقطع صلاته مع الاتحاد السوفياتي عندئذ ألقى القبض على مساعديه من الشيوعيين والأحرار وسامهم العذاب وقتل الكثير منهم، ومن ضمنهم أخ ماوتسي تونغ Mao Tze-tung ولم يفرج إلا عن قليل منهم، سمح لهم بالعودة إلى ينان بعد نهاية الحرب مع اليابان (1).

وجلب هؤلاء المستشارون الذين استخدمهم شنغ شيه تساي في سنكيانغ للأفكار والنظريات في تكوين الهيئات الشعبية والأحزاب التي تطورت مع ثورة الصين لأكثر من عشرين عاما، ومع ذلك لم ينحصر نشاطهم في البيئة الصينية، وإنما توجهت جهودهم لمعالجة مشاكل تقوية حكومة المقاطعة أو في الإصلاح الاجتماعي في سنكيانغ؛ لأنهم جزء من الأقلية الصينية في مجتمع من القوميات المختلفة عن الصينيين أو عن بعضها في استجابتها للقضايا السياسية والاجتماعية.

وفي هذا الوضع ظهرت النظريات القومية والسياسية التي انتشرت أكثر أهمية على تحديد ماهية الصفوف السياسية، وظهر من الصينيين أفراد يرغبون أن تكون لأنفسهم المكانة المرموقة لكونهم الشعب الحاكم ووجوب معاملة الشعوب غير الصينية شعوبا مستعبدة، وفي مقابلهم ظهر صينيون يعتبرون أنفسهم أكثر كرما وتطورا؛ لأنهم يعتقدون أن الشعوب غير الصينية يجب أن تنال وضعاً متساويا يدفع أفرادها على قبول اللغة الصينية والامتزاج بالثقافة الصينية، ولكن الشعوب غير الصينية لم تتقبل هذه النظرة المتقدمة؛ لولائها الخاص لثقافتها ولغاتها، وظهر في الطرف الآخر من هذا الجدل بعض الصينيين الذين يرون منح حق المواطن الكامل لجميع الشعوب غير الصينية مقرونة بالاستقلال في التعليم واستعمال اللغات غير الصينية، وأن تكون لهم حكومات محلية ذاتية تقوم على الوحدة اللغوية

1 - أنا مدين بهذه المعلومات لملاحظات غير المنشورة للآنسة أنا لويس استرونغ Anna Louise Strong في مقابلاتها مع بعض هؤلاء الشيوعيين المضطهدين العائين في ينان Yen-an.

بدلا من وحدة الأرض، بينما اعتبرهم الأويغور والقازاق وغيرهم من الشعوب غير الصينية متطورين، اعتبرهم الصينيون متطرفين خطرين وانفصاليين.

وقد أثارت النزعة القومية بين الشعوب غير الصينية جوانب عديدة، وتردد الأشخاص الذين آلت إليهم المراكز والامتيازات السياسية من الحكم الصيني من الموافقة على أي تغيير، بينما تحمس لها الأشخاص الذين سلب الصينيون مراكزهم؛ لأنهم يصرون على العودة إلى مراكزهم ولا يرغبون حدوث تغيير ما في شكل الحكومة والإدارة، والأويغور الذين يكونون أكثر القوميات عددا والأغلبية الساحقة في سنكيانغ يرغبون حكم المقاطعة، وأخذ نفس الحقوق على حكم الأقليات الأخرى مثلما حكمها الصينيون.

وهناك القزاق والمغول وقوميات أخرى يريدون الاستقلال من الأويغور ومن الصينيين معا.

وأخيرا هناك القوميون المتطرفون الذين يرغبون تغيير النظام الاجتماعي والسياسي ويخلعون بكواتهم وسلطتهم وأمراءهم ويتولون الحكم شخصا بدلا من الحكام الصينيين.

وتفاعلت كل هذه المجموعات والنزعات مع بعضها البعض على شكل ائتلافات مستمرة متغيرة، وكانت الائتلافات صفة بارزة في السياسات الإصلاحية والثورية، وتكونت جماعات يتحد مصالحها في الدفاع ووحدة المنافع وتتلاشى بالتأكيد على المصالح المختلفة، وأما إذا حصلت إحدى المجموعات الرئيسية على مصالح تعتقد أنها ضرورة لها، فإنها لا ترغب المخاطرة بها لموازرة مصالح مجموعة أخرى، وعندئذ تتكون ائتلافات جديدة. ويتجمعون حول من يرغب تهدئة الوضع من ناحية، وحول أولئك الذين مازالت مصالحهم لم تصل إلى درجة الدفاع عنها.

وفي الفترة الأولى من الحكم حقق شنغ شيه تساي نجاحا ملموسا عندما كوّن حول نفسه ائتلافا يساريا من المتقدمين والمتطرفين والشيوخيين الصينيين بالإضافة إلى زعماء غير الصينيين، الذين منحهم كثيرا من الحرية في العمل السياسي أكثر مما منحهم أي حاكم صيني سابق.

وأما في الفترة الثانية من حكمه فشلت محاولاته على تأسيس مراكز ائتلاف يميني يجمع بين ممثلي الكومنتانغ المرسلين حديثا من الصين، ومن اتباعه الذين يعتبرهم محلصين له أكثر من أنهم يمثلون مبادئ سياسية.

وبعد سقوط شنغ وانتهاء الحرب مع اليابان ضعفت أحزاب الكومنتانغ

المختلفة كثيرا من المعارك الحزبية فيما بينها، وتكونت جملة من الانتلافات، جندت ممثلي أكثر المصالح القديمة من غير الصينيين، خاصة من الأويغور والقازاق، وهذه الانتلافات التي سيطر عليها الصينيون قاومها ائتلاف غولجه في وادي إيلي وجونغاريا الغربية الذي كان يعتمد على اليساريين والجماعات الشيوعية من الوطنيين غير الصينيين، وفي نفس الوقت احتفظ بالعلاقة بالممثلين المعتدلين مثل تشانغ تشيه تشونغ Chang Chih-chung ضمن الجناح الأيمن للانتلاف الذي يسيطر على معظم حوض تاريم وشرق جونغاريا.

### الكومنتانغ والشيوعيون الصينيون والحدود الروسية:

وفي مثل هذا النوع من ائتلاف السياسات حدث تغير في ولاء عثمان باتور زعيم القازاق الحر، الذي أجرى معه المراسلون الأمريكيين مقابلة يعتبر نموذجا، أولا فهو زعيم حربي مع اتباعه المستقلين أراد أن ينتهز فرصة ضعف القوات الصينية بالانتحاق إلى ائتلاف إيلي، وعندما فشل من السيطرة عليهم تراجع إلى جانب الصين، حيث زادت شعبيته في هذا الوقت؛ لأن العطف الشعبي تحول من الأويغور المحافظين والزعماء الآخرين القابلين بالحماية الصينية.

وخلال هذه الفترة في سنكيانغ حدث أن ائتلاف إيلي الذي يجاور الحدود السوفياتية من تلقي المساعدة والتأييد من قازاقستان السوفياتية، وأما ائتلاف موظفي الكومنتانغ والجنرالات ورؤساء الأويغور المحافظين جاءهم الدعم من الكومنتانغ، كما حصل المؤيدون من القازاق على معونات مالية وأسلحة أمريكية من حكومة نانكين التي تدعمها أمريكا، ثم انتهت هذه الفترة بتقدم القوات الشيوعية الصينية عبر يانغتزه Yangtze وعزلت مراكز الكومنتانغ في سنكيانغ من وصول المساعدات القادمة إليها من الصين.

وهكذا نتج وضع جديد تماما في سنكيانغ، ووقعت الشعوب غير

الصينية بين حكومة يحكمها الشيوعيون الروس من طرف وحكومة يحكمها الصينيون غير الشيوعيين، ومن طرف ثان كانت تقف بين حكومة يحكمها الشيوعيون الروس وحكومة يسيطر عليها الشيوعيون الصينيون، وفي هذا الوضع الجديد كان أهداف الشيوعيين الروس وأهداف الشيوعيين الصينيين الماركسية متشابهة، ولكن المصالح الداخلية في كل من جمهورية الصين والاتحاد السوفياتي لا تتطابق تماما، وفي الاتحاد السوفياتي يعتبر الروس شعب مسيطر ولكن يسكن الأراضي الشاسعة ملايين من غير الروس، وأما في جمهورية الصين فالشعب الصيني هو الأغلبية الساحقة، ولكن توجد فيها مناطق شاسعة تسكنها شعوب غير صينية، ومركز الجاذبية الجغرافي للمناطق غير الصينية في الصين تقع في سنكيانغ التي تلاصق حدودها جمهوريات آسيا الداخلية السوفياتية، وهي مناطق ذات أهمية قصوى في الاتحاد السوفياتي تقطنها شعوب غير روسية أو سلافية.

وهذا الوضع يعطي شكلا جديدا لمشاكل قديمة، ويخلق مشاكل جديدة خاصة بها، وهناك سؤال في الاتحاد السوفياتي عما إذا كانت المصالح الروسية تتجاهل مصالح الشعوب الأخرى، ويوجد نفس السؤال في الصين عن تجاهلها مصالح الشعوب الأخرى، وهي موضوعات قديمة تطورت بحذر في المناطق المجاورة لكل من الاتحاد السوفياتي والصين منذ مدة طويلة، بالإضافة إلى مشكلة العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والصين، ومصالح دولة الاتحاد السوفياتي يتعاظم نفوذها مما يجعلها تتحكم أن على دولة الصين.

وإذا كان في الاتحاد السوفياتي مخططون أكفيا مهرة يمكن أن تؤدي سياستهم لضم أجزاء من سنكيانغ إلى جمهورية منغوليا الشعبية وجمهوريات القازاق والقيرعيز والتاجيك في الاتحاد السوفياتي، وإلى تأسيس جمهورية أويغورية في حوض تاريم، يمكن لاحقا ضمها إلى الاتحاد السوفياتي، إذ أن صلات الشعوب

واللغات والثقافات والارتباط الجغرافي والمواصلات البدائية الصعبة والتطور المادي السريع في سنكيانغ كلها تربطها بمنغوليا والاتحاد السوفياتي أكثر من ارتباطها بالصين، ومع ذلك فإن مصالح الصين المادية والعاطفية في سنكيانغ حقيقة ملموسة رغم تعرضها على الإساءة، مما أثر في علاقاتها بالصين التي يمكن معالجتها بالحكمة، ويحتمل إلا يتخلى الشيوعيون الصينيون عنها لأن الصين تدعي أن هذه الأراضي التي سيطرت عليها منذ وقت طويل أراضي صينية، وفي نفس الوقت سيعملون على تطبيق سياسات جديدة لا في سنكيانغ فحسب، بل في منغوليا الداخلية والاقاليم التي يكثر فيها المسلمون الصينيون مثل نينغشيا Ninghsia وكنسو Gansu وأجزاء من التبت إذا أمكنهم التدخل فيها.

ومن المحتمل لكونهم ماركسيون أنهم يقتبسون الأنظمة الروسية المستعملة في آسيا السوفياتية، ولعل سنكيانغ في مستقبلها القريب قد يواجه ائتلاف غولجه في وادي إيلي وجونغاريا الغربية ظروف معقدة مادام ائتلاف غولجه كان يقتبس الأنظمة السوفياتية بشكل ملحوظ، ومن المحتمل أيضا أن الكتلة الصينية الواسعة وانتشارها في الأراضي الشاسعة مع سكانها المتباينين ومواصلاتها البدائية يستحيل عليها أن تتلائم مع نظرية معينة.

ومع ذلك فالشيوعيون الصينيون مثل الروس واقعين تحت ضغطين مهمين: إقناع حكومات الشعوب غير الشيوعية في جميع أنحاء آسيا أن دولتهم التي أسسوها قوية، لا يمكن هزيمتها، ثم عليهم إقناع الشعوب أنه حيث يكسب الشيوعيون فإن الشعب الذي فقد سلطته يسترد بعض نفوذه.

والصين التي هي موطن الصينيين معزولة من معظم آسيا بالجبال والغابات، وسنكيانغ بمركزها المحوري في قلب آسيا ستتحول إلى الهند أوباكستان أوأفغانستان أوإيران، وذلك كما تتناقله أفواه الناس من أخبار عن التغيرات السياسية الكبيرة التي تحدث في الصين، ومرة أخرى كما كانت قبل ألفي سنة في عهد إمبراطورية

هان أصبحت سنكيانغ محورا لما حولها من السياسات والقوى  
المتطورة ومصائر الناس.

## الملحق الأول:

### الفن القديم وعلم الآثار الحديث

فإن أكثر معرفتنا عن تاريخ آسيا الوسطى المبكر كانت نتيجة  
جهود العلماء الأوروبيين في أوائل القرن التاسع عشر في استكشاف  
آثار المدن التي بقيت مدفونة تحت الرمال، ومن أشهر هذه البعثات  
الآثرية ما قام بها السير اورال شتاين Sir Aurel Stein بدعم من

حكومة الهند، وما قام به البروفيسور اليرت غرونديول Prof. Albert Grunwedel واليرت فون لي كوك Albert von Le Coq من المتحف الوطني للأعراق البشرية في برلين، وآخرون غيرهم: د.كلمنز D.Klementz (1897-1898م)، ومن الروس الإخوة برزووسكي Berezowsky (1906م) وأس. اولدنبورغ Paul Oldenbourg (1909-1910م)، والفرنسي بول بيليو Paul Pelliot (1906-1909م)، ومن اليابانيين: تاجيبانا Tachibana (1910-1911م) واوتاني Otani (1902-1903م).

وقد قام شتاين Stein بثلاث رحلات في 1900-1901م، و1906-1908م، و1913-1916م، وكان تركيزه على تركستان، وعمل على الطرق الصحراوية من واحة خوتن إلى لوب نور، والمواد التي أحضرها حفظت في المتحف البريطاني في لندن ومتحف آثار آسيا الوسطى في نيودلهي، وجزء من مكتشفاته نشرت في لوحات في مجلد كامل مصاحباً لتقاريره الثلاثة المطبوعة: خوتن القديمة Ancient Khotan وسيرنديا Serindia وأقصى آسيا الداخلية Innermost Asia (وهذه الكتب الثلاثة تحتوي أيضاً اكتشافاته في بعض واحات الشمال لحوض تاريم بالإضافة إلى إيران وغرب الصين).

والبعثات الألمانية الأربع في تورفان (والتي سميت هكذا من أهداف الفريق الأول) عملت على طول الطريق الشمالي من مارالباشي إلى تورفان في الأعوام: 1902-1903م، و1904-1905م، و1905-1907م، و1913-1914م، و تم شحن ما تم جمعه إلى برلين، ولكن الجزء الأكبر من اللوحات الجدارية دمرت خلال ضربات الحلفاء على برلين في الحرب العالمية الثانية، ولكن الصور الجيدة لها توجد في المجلدات السبعة التي نشرها لي كوك Le Coq باسم العصور البوذية المتأخرة في وسط آسيا Die Buddhistische Spatantike in Mittel Asien وكتابه خوجو Chotscho، وكتاب لغرونديول Grunwedel باسم Alt- Kultsche وتقريره عن البعثتين الأولى والثالثة باسم



تقرير عن العمل الأثري *Bericht uber archaeologische Arbeiten* وكتابه أماكن العبادة البوذية القديمة - *Alt-buddhistische Kultstätten* يتضمن لوحات ورسومات وبيانات كثيرة قام بها المؤلف نفسه.

ومع اختلاف هذه البعثات وعملها، فقد لاحظت حكومة الصين شحن صناديق كثيرة مليئة بالآثار الفنية إلى خارج البلاد، فعمدت إلى منع عمليات التنقيب عن الآثار، وإعاقة ذلك بشتى السبل، ولكن خلال الحرب العالمية الأولى كانت المواقع المعروفة قد تم بالفعل العمل فيها، كما أن أماكن الآثار التي يمكن الوصول إليها بسهولة قد عبث بها الأهالي، وقام بعض علماء المسلمين بتدمير التماثيل خاصة التي تمثل الأشكال البشرية، وما كشف عنها الأوروبيون تركت مفتوحة ولم يتم نقل الكثير منها، للعمل في مرحلة تالية لجهود الباحثين.

المكتشفات الفنية الهامة تمت تقريبا في عشرة أماكن على الطرف الجنوبي لصحراء تكلامكان قرب خوتن - التي كانت عاصمة لمملكة قديمة - ووجدنا آثار مستوطنة مدفونة تحت الرمال في دندان اويلك *Dandan Oilik* ومعبد بوذي على شكل قبة في رواق *Rawak* وفي الشرق بالقرب من المكان الذي يختفي فيه نهر نيا *Niya*، وفي الكتبان توجد مدينة قديمة آثار قلعة تبتية في ميران *Miran* وبقوار جارقليق *Charklik* مجموعة من معابد بوذية قديمة، وفي الطرف الشمالي من الصحراء عند أطراف سلسلة جبال تنغري تاغ (*Tien Shan*) توجد معابد تومشوك *Tumshuk* بقوار مارالباشي *Marablashi* والمعابد الكبيرة في سوباشي *Subashi* ودولدو- اخور- *Duldu-akhur* فوق واحة كوجار وأيضا في محيط كوجار التي كانت مركزا لإمارة كبيرة يوجد مينغ اوي *Ming Oi* يعني ألف بيت في قريل وكومتورا وكيريس *Kiris* وهذه معابد في كهوف قطعت في صخور صلبة في الجبال، حيث تجري فيها الأنهار، وفي

شورجوك Shorchuk توجد آثار مدينة مسورة تضم معابد عدة وشواهد قبور، وكما في كوجار فإن الأهالي يطلقون على المزارات مينغ Ming Oi.

ومنخفض تورفان بواحتيها تورفان وقراخوجه غنية بشكل خاص بآثارها الفنية، ويمكن متابعة هاتين المدينتين القديمتين، والأقدم منهما هي أطلال تماما في خوجو Khocho ( Chotscho ) عاصمة ملوك الأويغور في تورفان من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر، تضم العديد من المعابد والأديرة والمقابر التي كانت غنية بالاكتشافات، وفي الوديان الصخرية بالقرب من خوجو مجموعة من الأضرحة ومسكن الرهبان التي قطعت في الصخور التي على الضفاف، ومن أهم هذه المعابد في وادي تويوك Tuyok ومعبر سانغيم Sangim ومنصة الدير الكبير في بيزكلييك Bezeklik ( وأحيانا يطلقون عليها مينغ اوي).

والموقع الذي لا بد ذكره هو خوتن نفسها مع أنه لم يبق من آثار العاصمة القديمة إلا شيء محدود، ولكن تم الحصول على كمية كبيرة من المواد المعدنية والفخارية من الحفريات التي تمت في الواحة. ومع بعض الاستثناء فقد كان معظم الأشياء الباقية تضم بوضوح سمات دينية مثل المعابد والأديرة والأضرحة أو أجزاء متنوعة من مؤسسات الرهبان.

وفي كل مكان وفي منخفض تورفان فالبوزية هي السائدة، وفي المدينة القديمة خوجو توجد بعض المباني التي تمثل النسطورية المسيحية والمانوية، والمخطوطات التي وجدت في تورفان تشير أن هذه الأديان الثلاثة عاشت معا قرونا عدة.

وبعض هذه المعابد قطعت من الصخور، وبنيت عموما بالطوب المجفف بالشمس ثم تم تركيبها بالطين، او بنوع من جص الطين، وتم تقويتها بالأغصان والعوارض، وكما هو متوقع في مثل هذا البناء فالهندسة عموما بسيطة وهي مميزة، وقلة من هذا البناء يرتفع عشرين أو ثلاثين قدما، وبالعوموم فإن أشكال المباني تشبه الموديلات الإيرانية والهندية، والعناصر الرئيسية في كل دير

قطعت في الصخور أو أنشئت مستقلة وتتكون من ثلاثة: ميدان دائري حول مجسم لبوذا مع ممر يسمح بالوصول إلى الميدان والدوران حول المجسم، بالإضافة إلى مجسم البوذا المركزي فالمعابد مليئة بمنحوتات البوذا وآلهة بوذيسنفاس Bodhisattvas ولوباكالاس Lopakalas وهكذا، وتم ترتيب التماثيل على أبعاد تبدأ من التماثيل التي تكون أكبر قليلا من حجم الإنسان الحي إلى تماثيل لبوذا جالسا محاط بالاوريووليس، التي استخدمت عناصر زينة مع زخارف من الأوراق والأزهار، والتماثيل عموما صنعت من الجص أو الطين تم تقويتها بالقصب أو القش في الدواخل.

ويبدو أن هذه التماثيل تم تركيبها بأشكال منفصلة من الوجه والشعر والأذن والأذرع والأرجل وأجزاء أخرى، ثم جمعت وألصقت في الحائط، والتنويع يمكن إدخاله في تعبير الوجه عند انتهاء العملية قبل أن يجف التمثال، وبعد ذلك يمكن تغطيته بطبقة من الطين أو الجص مرسوما بالألوان المائية ومزينا بالأوراق الذهبية، ومع أن الكثير في أشكال التماثيل حصل عليها المسح أو التدمير، ولكن يبدو أن الأجسام والصور تم إنجازها بنفس الطريقة، في بعض المعابد كل الجدران تم تغطيتها بمثل هذه التماثيل، ولكن التماثيل المنحوتة لمناظر تضم أكثر من رسم كان نادرا.

وأكثر ما يثير من هذه التماثيل الرسومات الجدارية، وتقريبا كل الجدران الداخلية والسقوف مغطاة تماما باللوحات، والموضوعات الكبيرة فيها تعكس صورا لحياة البوذا او لأنواع من بوذا رسمت في مجموعات بدیعة محاطة في صف بعد صف حول البوذا الجالس، والمناظر التي فوق الرأس ملئت برسوم المناظر الجبلية التي عملت من شرائح صغيرة كثيرة تشرح كل منها لأسطورة لبوذا: غاندارفاس Gandharvas المجنحة (نوع من الملاك) وموسيقون آلهة ورسمت في فراغات مثلثة على مستوى النظر؛

لإعطاء الانطباع أنهم يعزفون فوق المعبد، ورسوم الحيوانات الحقيقية أو الأسطورية وأزهار وأشجار وقصور وآلات الحرب والطرب بين الأشياء الكثيرة التي تتصل بمختلف الأساطير أو بالأمور المحيطة، المعروف من الكلاسيكات الدينية اليونانية كما في الآلهة الهندية المسلحة العديدة، فقد تم تطبيقها في الرسومات البوذية، بعض هذه الرسومات تحتوي على تجمعات لهذه الآلهة، وبعضها تصور جنات البوذا وجحيمه، والرسومات المتكررة لبوذا هو يعظ مجموعة من الرهبان، وكذلك صور الرهبان مع النبلاء المتبرعين لزينة المعبد.

وتم تصوير المتبرعين بشكل طبيعي بملابسهم المحلية وأعمارهم، في مقابل الرهبان والشخصيات الدينية الذين صورت ملابسهم حسب القانون الفن البوذي، مما هو أكثر إثارة أن ملامح الوجه وغيره من الملامح الشخصية تم تجسيدها للرعاة، كما كان من المدهش أن التنوع البشري بين صور الأوربيين والآسيويين كان مميّزا، وتدل الشواهد أن الغزاة الأجانب كان لحكامهم الجدد الذين اعتبروهم رعاة للمعابد البوذية الموجودة، وحيث إن هؤلاء المحاربين عموما من شعوب أقل مستوى ماديا وفنا، ولم تكن لأفكارهم أثر كبير على محتويات ونماذج في فن المعابد، ويبدو أن الصور من عمل الرهبان أنفسهم أو فنانيين يعملون تحت رقابة دقيقة من المشرفين الدينيين.

وكل اللوحات الجدارية وضعت بدقة، واستعمل اللون المائي مباشرة على الحائط الناعم، بينما كان طريا مبللا، وفي كل مجموعة من الأديرة كل اللوحات محدودة الألوان ومبينة درجاتها، والألوان القليلة المستخدمة كانت بأثرها المعبر، والأوراق المذهبية استعملت متفرقا، وفي بعض الحالات تظهر الصورة بوسائل التتبع أو الرسومات الخفيفة، وعادة ماتكون الجداريات قد نحتت بالأيدي بحرية، والرسم المميز تم التأكيد عليه بخطوط عريضة تبدو تقريبا سوداء وسميكة قليلا.

وبالإضافة إلى هذه المنحوتات واللوحات الجدارية يوجد العديد من

نماذج الفن الصغيرة، وبالأخص ألواح الخشب المرسومة، التي وضعت تحت أقدام تماثيل البوذا عطايا نذرية، وبعض الرسومات على ورق أو قماش تم تنفيذها بنفس الهدف أو لرجال المعبد، وقطع المخطوطات المزركشة المانوية التي وجدت في خوجو تشبه إلى حد كبير بشكل مدهش فن الكتاب المسيحي في العصر الوسيط المبكر.

وبين الأشياء الخشبية توجد خزائن مجوهرات صغيرة وتماثيل وعوارض سقف منحوتة وأقواس وعناصر هياكل، والمنسوجات والمطرزات يبدو أنها جاءت من آسيا الوسطى والصين وفارس وغيرها من البلدان، ومع أن بساط خوتن مشهور ولكن من الصعب التأكيد على أي من القطع الموجودة من أنها مصنوعات خوتن.

ومن بين الخرائب المختفلة لعصور مبكرة يمكن أن يمثلها المساكن في موقع نيا Niya واستوبا Stupas من ميران، وقد تمكن السير اورال شتاين من الرمال المتحركة والكثبان التي غطتها في شمال قرية نيا الحالية أن يجد آثار مجتمع كامل، وبالإضافة إلى ستوبا يوجد منازل قديمة وميادين وإسطبلات والمظلات والحدائق والتعريشات وقنوات الري وحتى جسور للمشاة على أماكن النهر القديم، وترتفع ألواح الخشب المقطوع في الأرض الضعيفة، ودعائم أساسية للجدران الجص والقضبان للمساكن القديمة.

وبعض المنازل بأحجامها الكبيرة تشير أن سكانها هم من كبار الموظفين، ومن إزالة الرمال التي تغطي أراضي الغرف وانتشال العوارض والأقواس الخشبية التي بقيت جيدة، وسقطت من السقف وبعض أجزاء الأثاث مثل أرجل الكراسي ومنحوتات بصور الحيوانات والورود والأوراق وغيرها، مما يستعمل للتزيين مما يمثل بشكل خاص سمات مدرسة غانذارا Gandhara للمنحوتات التي انتشرت في مناطق شمال غرب الهند في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد.

وهذا الفن صنف على أنه الفن الكلاسيكي المتأخر؛ لأنه ينتسب إلى اليوناني-البوذي، فهو يحتوي على البوذية بينما الأسلوب متأثر بشكل كبير بالفن اليوناني، أي بالمملكة الهلينية لغرب آسيا (بعد إسكندر).

واكتشف شتاين أيضا صالة مركزية كبيرة في نيا لايزال جدرانها من الجص يرتفع عدة أقدام، وقد تم تزيينها بخطوط من الأزهار والإكليل الملون، ويظهر من قطع النقود والوثائق المؤرخة على ألواح خشبية أن الأهالي هجروها في نهاية القرن الثالث الميلادي.

ويبدو أن مدينة نيا في عهد ازدهارها كانت لا تضم أراضي خوتن القديمة فحسب، بل مملكة كرورائنا Kroraina التي كانت تمتد إلى سواحل بحيرة لوب، وكان ملوك كرورائنا حلفاء لملوك الكوشان في غانذارا Gandhara وشمال الهند في اللغة والثقافة، لكنهم تحت سيطرة الصين في حوض تاريم، وآثار المدينة التي تدعى لولان Lou-lan (وهو تحريف صيني لاسم كرورائنا) اكتشفها سفن هدين SvenHedin على طرف مكان بحيرة قديمة، كما وجد فيها اورال شتاين منازل وأديرة لولان فيها مشغولات خشبية بنفس الأشكال التي وجدت في نيا.

ومن بقايا مملكة كرورائنا المعابد التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادي، التي وجدت في ميران، حيث وجدت أقدم الرسومات الحائطية لآسيا الوسطى، وأعمال الجص أصلا وضعت في الجدران الداخلية لاثنتين من الأديرة المقبية الصغيرة، وكلاهما على شكل هيكل مربع في الخارج، ودائري في الداخل مع ستوبا صغير في الوسط، وفي كل ممر حول ستوبا زين بتماثيل نصفية مرسومة: ملاك شاب مجنح على شكل رجل في دير، وفتيان يحملون إكليل الزهر يتخللها تنوع كبير من صور الرجال والنساء، والجدار العالي والقبعة تظهر مناظر دينية مثل صورة البوذا وهو يعظ مجموعة من الرهبان، وغير ذلك من الأساطير البوذية.

وفي تقنية الرسومات الملونة والأثر الكلي وجداريات ميران يعكس بشكل مدهش الجص الهليني تقريبا لنفس الفترة، كما تم اكتشافه في الفيوم في مصر ودورا-يروبوس Dura-Europos في

سوريا، واكتشاف فيل أبيض في إحدى صور ميران وجد أن اسم المصور تيتا Tita، وقد فسره السير اورال شتاين أنه محرف من الاسم الروماني تيتوس Titus وحل شتاين أن الرسام ايرواسين روماني Roman-Eurasian ذهب إلى الصين عبر الطرق العالية، وفي ميران أيضا في معبد كبير عرضت مجموعة من تماثيل البوذا الجالس بضعف الحجم الطبيعي، وأسلوب تجعيد الشعر والأذن المددة والأقمشة المطرزة لهذه الأشكال تظهر أيضا انتهاج أساليب غاندارا Gandhar.

واكتشف شتاين أيضا معرضا كبيرا لتماثيل بنفس الشكل مطروحة في كل الواجهة الداخلية والخارجية على الحائط الذي يحيط ببلاط ستوبا كبيرا في موقع الصحراء لبلدة رواق Rawak غير بعيدة من مدينة خوتن، وتمثال بوذا وغيره من الأجسام الأخرى التي وضعت على أبعاد مختلفة بجوار بعض بتنظيم قليل، بينما معظم هذه الأجسام وضع عليها ملابس تقليدية فضفاضة، ودفاربالاس Dvarpalas ( يعني حراس الأبواب) يلبسون بدلا رسمية يتكون من معاطف داخلية طويلة وبناطيل وأحذية كبيرة، ولا توجد مخطوطات أو نقود تدل على عمر هذه الآثار.

وبالنسبة لامتياز التماثيل في ميران ورواق وقريبة لإحساس فن العالم الهليني القديم، وهي تماثيل من الخشب والطين، ووجد بلليو ليو Pelliot ولي كوك Le Coq التماثيل في تومشوك Tumshuk رؤوسها مكسورة، وهي تقع شمال واحة مارالباشي، وآثار تومشوك ليست بعيدة من كاشغر وياركند حيث يقطعها الطرق من أعالي بامير من الغرب إلى حوض تاريم، وتقع ثلاث مرتفعات مسطحة فوق السهل الممتد الذي توجد فيه بقايا معبد بتواريخ مختلفة، ويبدو أن الأديرة الأولى منها دمرت بحريق قبل القرن الخامس الميلادي، وهذه قطع نماذج غاندارا Gandhara التي وجدت، وقلة من قطع الجص تضم افريز لرهبان راكعين ومنظر للبوذا وهو يعظ جنودا وجماعة من أتباعه.

معظم الرسومات والمجسمات تعكس فن آسيا الوسطى في العصر الوسيط من القرن الخامس إلى القرن الثامن الميلاديين، وتعود إلى مناطق مجاورة لمدينة كوجار، ومينغ اوي Ming Oi في قزبل تضم عدة مئات كهوف قطعت في الصخور على مستويات مختلفة في صخور منحدرية تطل على نهر موزرات Muzrat، وبالإضافة إلى معابد مختلفة الأحجام وتوجد غرف العمل ومخازن واستراحات نوم، ومعظم نماذج الأديرة تحتوي غرفا دائرية مع كوة لرسم في وسط الحائط المواجه للباب، وفي الجهة الأخرى للتمثال يوجد ممر يؤدي إلى معبد دائري يسمح للزائر أن يدور حول التمثال، والسقف عادة على شكل قبة، وبعض المعابد بها قباب مستديرة، وبعضها سقفها على شكل فانوس قطع من الحجارة (تضم مجموعات من المربعات يتناقص أحجامها وضعت على شكل قطري واحدة فوق أخرى مع فتحة صغيرة في كل طرف)، ولا يزال يوجد مثلها في فارس وكشمير حتى اليوم، وكل من هذه التماثيل التي تشبه الخلية بها ممرات صغيرة وشرفات حجرية طويلة، وممشى أقدم يؤدي إلى المعابد ويربط بعضها ببعض، وعمليا لا يتخلل الضوء إلى داخل هذه الخلايا ويمكن الاستمتاع بالديكورات باستخدام أجهزة ضوئية.

وقد تمكن كل من لي كوك Le Coq وغرونوديل Grunwedel من اكتشاف 60 لوحة حائطية في هذه الكهوف.

واللوحات الجدارية كثيرة في وضع الدراما والحركة، والبوذا في مناظر من حياته وفي أوضاع التعليم والحوار وغير ذلك من الأعمال بطريقة تعكس الصفات الإنسانية واللطف، وبوذاساتنفاس Bodhisattvas العابدون والملوك والملكات وبراهمان Brahmins والزهاد والرهبان والراقصون والموسيقيون والخدم والغفاريت وغيرها من الشخصيات الذين حول البوذا، أو لهم أدوار في تمثيل أساطير البوذا يعرضون أشكال مختلفة من السمات والملابس والأداء والعمل، ويظهر أن الجميع يشاركون بنشاط في أدوارهم: ويستدير الحاضر رأسه إلى جاره للحديث معه، واثنان من براهمان يجريان نقاشا حادا، ومقدم الركائز نفسه عند أقدم البوذا،



وفي إحدى اللوحات يقوم الملك بالاغتسال في أنبوب من الزبدة يتلقى خبر البوذا بقماش مرسوم بواسطة وزيره، وقد رسم على القماش الأحداث الأربعة العظيمة: الولادة، التنوير، والموعظة الأولى، وموت البوذا، وصور عديده لحرق جثة البوذا مع الجمهور الحزين الذي ينتحب حول المحرقة.

ومع أن التركيبات معقدة وما وجد من فراغ فقد تم تعبئته بخطوط أرضية وبالصور والخطوط الرئيسية كانت واضحة، خطوات التلوين قامت على اللون البني الباهت، ولكنها تتركز باللونين الأزرق والأخضر البراق.

وتم تصوير المانحين في كهوف قزيل (عادة على الحائط قرب المدخل) بالنظرة الأولى مدهش، كأنهم فرسان وسيدات أوروبا الوسيط، طوال الجسم ببشرة فاتحة وشعر أحمر يبلسون وأسلحة على نموذج الساند في فارس في عهد الساسانيين من القرن الثالث إلى القرن السابع الميلاديين، والعباءات والأغطية تبدو أنها من الديباج الناعم أو من الموام المطرزة الفاخرة، وتصفيف الشعر غير عادي حيث ربط الأعلى ثم ترك لأربع بوصات من الشعر أن يسقط على أحد الجانبين من الرأس من الرجال والنساء، وأحيانا شكل من الزهرة ربما من قرن الوفرة العادي يحمله بعض الشخصيات في أيديهم في تماثيل غاندارا Ghandhara.

وكلا الأسلوبين في الرسم والتزيين يشيران بوضوح إلى تأثيرات الفن الهندي والفارسي والهليني المتأخر، ويمكن الإشارة إلى كثير من التشابه بين جداريات قزيل وبين الرسومات الحائطية المشهورة في معابد كهف اجانتا Ajanta في وسط الهند تم تنفيذها في نفس الفترة، وربما نادرا، فالتمثيل الإيمائي في صور قزيل تبدو في المتعرجات أكثر نعومة ودقة مما هو في اجانتا، وربما بالمقارنة أكثر مما هو في خارج حوض تاريم في اللوحات الجدارية في الكهوف المحيطة ببوذا الضخم في وادي باميان بالقرب من كابل في أفغانستان، وبالتحليل الكيماي يتضح أن الألوان متطابقة ، وهذا يربط

بين كوجار وباميان الذي كان مركز للبوذية منذ عام 100 ميلادي، ومن هنا خطى الفن البوذي إلى آسيا الوسطى.

وفي كومتورا Kumtura على بعد 9 أميال من قزيل على طول نهر موزرات توجد مجموعة من معابد الكهوف، وكما في قزيل ومختلف المعابد يمكن أن يكون تاريخها بدءاً من القرن الخامس، السادس والسابع والثامن الميلادي، واستعملت أساليب الهندسة المشابهة والمحسنة للعصر الوسيط، وأما في التعامل مع الرسومات فقد كان واضحاً كما في بعض كهوف قزيل أنهم يستعملون العنصر الصيني، ولم يلمح ذلك في قزيل، وعيون البوذا مائلة قليلاً والمناظر الطبيعية رسمت بحرية وعلى نموذج عهد تانغ وأشكال السحب تظهر من فوق الرأس.

وبقايا التماثيل التي أحضرت من قزيل وكومتورا تضم بشكل رئيس عدداً من رؤوس الآلهة وبوذيستنافاً Bodhisattvas وبراهمان وغيرها من الشخصيات، والتماثيل جمعت في الشرفات أحياناً وأحياناً تم ترتيبها على طول الجدران، وتراث الفن اليوناني-البوذي لاقتباسات غاندارا يظهر بوضوح في الوجه وتصنيف الشعر وزينة الرأس والأقمشة حيث يمكن رؤية كامل التماثيل.

ومما يعاصر كهوف قزيل وكومتورا ولكن يختلف عنها في الأسلوب مجموعة المزارات التي دير قديم في داندان اويليك Dandan Oilik (والتي تعني حسب قول المحليين "مكان المنزل العاجي") في الصحراء قريباً من خوتن، وكل مزار في الأساس يضم خلية دائرية داخلية في وسطها تمثل بوذا الكبير على قاعدة، وهذه الخلية محاطة بمربع، وكلا الجدران الداخلي والخارجي مزينة بديكورات ورسومات، ومعظم الجزء منها لبوذا كبير أو القديسين على نمط الشطرنج، وكل هذه التماثيل واقفة ولكنها رسمت بأشكال مختلفة، وقليل منها تمثل مناظر أسطورية وواحدة تصور حورية ماء المقدس مقتبسة بالتأكيد من الهند، والمتبرعون تم تصويرهم صغاراً راعين عند أقدام البوذا الكبير، ويبدو من مظهرهم أنهم صينيون أو مغول.

ونقوش الديكورات من الجص صور صغيرة لبوذا والقديسين وغاندارفاس Gandharvas الطائر وبقايا التماثيل الكبيرة تعكس نماذج الفن اليوناني - البوذي، ولا يوجد اختلاف عن ذلك، وربما أكثر الأشياء المثيرة التي وجدت في موقع دندان أو يليك وجود عدد كبير من ألواح خشبية طولها قدم واحد، ويبدو أنها أهديت من المتبرعين إلى المزار، وفي هذه الألواح التي وضعت فيها صور حماسية لآلهة البوذا وأساطيره في لون كامل، وإحدى هذه الألواح تظهر روستان Rustan البطل الفارسي بمظهر جيد بأربع أذرع بوذيساتتفا Bodhisattva ، وكل المؤشرات تشير على أن دندان أو يليك هجرت بصعوبة الري وذلك في نهاية القرن الثامن الميلادي.

والفن في المدينة القديمة شورجوك Shorchuk القريبة من واحة قراشهر وصلت إلى الدرجة الثالثة من مرحلة الثقافة البوذية في حوض تاريم، وفي الطريق المباشر شرقا من كوجار إلى تورفان قراشهر لم تكن مركزا سياسيا مهما أو بوذا بالنسبة إلى جوارها، ولا يوجد عدد كبير من المعابد أو المزارات في المدينة القديمة أو على أطراف الجبال على جوانبها، ويوجد القليل من معابد الكهوف التي حفرت في التلال، معظم المزارات يظهر أنها دمرت بالحريق في القرن العاشر، ولكنها كانت موجودة قبل ذلك بقرون، كما يبدو من بقايا الآثار أنها كانت غنية بالتماثيل، وكثير من قطع الرسوم الأصلية البراقة، بالإضافة إلى تماثيل البوذا وبوذيساتتفاس والآلهة في نماذج الفن الهليني الخالص أو الشبيه، كما توجد آلهة بشكل واضح بمظهر شرقي، وبعض هذه التماثيل للأحصنة والجمال، وهناك نماذج رؤوس مختلفة والتي نحت بمهارة.

والرسومات الجدارية في شورجوك يمكن أن يعود تاريخها إلى القرون السابع والثامن والتاسع، التي تظهر بوضوح مدى تداخل شعوب الشرق والغرب وثقافتهم، وصور البوذا والرهبان وغاندارفاس Gandharvas تعكس ملامح الشرق الأقصى، ولكن الرهبان يحملون مع نصوص الدعاء غصنا طويلا من الزهر، يذكرنا

بما كان يحمله المتبرعون في قزِيل.

والأنثيات في شُورجوك عيونهن مائلات وأنوفهن طويلة وأجسامهن كبيرة نوعاً ما، مما يمكن أن يقال إنهن من إحدى قبائل الترك الغربية التي اكتسحت قراشهر منذ عدة قرون، ومن استعمال اللون الغميق ومن تفاصيل الأسلوب في كل الخطوط العريضة يظهر التأثيرات الصينية القوية.

والمرحلة الأخيرة في فن آسيا الوسطى يمكن إيضاحه أكثر في منطقة تورفان في واحة تورفان وقراخوجة إستراتيجياً يقع في تداخل بالصين في الشرق وأراضي الرعي في الشمال، وكانت مراكز ممالك قوية أو ضعيفة بدءاً من قبل العصر الحاضر، وعمليات الاستكشافات الأثرية أظهرت أكثر من عاصمتين قديمتين يارخوتو Yar Khoto (المدينة التي على الوادي) وخوجو Khocho (واسمها بالصينية: Kao ch`ang و بالإيغورية ايديقوت شهري - داقيانوس) وهناك عدد من المباني الديرية في الجوار. وقطع عديدة من التماثيل والرسوم على الورق والحريز وغيرها من الأشياء الأثرية، تم شراؤها من المحليين والحصول عليها من التنقيب، ويمكن تقدير التواريخ فقط بالظن كما وجد رؤوس تماثيل يمكن تصنيفها بالهلينية.

كما أن بعض المباني في خوجو المدينة القديمة والقليل منها في تويوك Toyuk وجبقان كول Chikkan Kol وبزكيليك Bezeklik تشير أنها تعود إلى القرنين السادس والسابع الميلاديين، والرسومات الحائطية في هذه الآثار بشكل عام تشبه ما هو موجود في كوجار وقراشهر، وفي بعض هذه المعابد فإن الرسومات في السقوف عبارة عن ميداليات منحوتة قبلاً لأشكال السقف الفانوس.

وبدءاً من أواسط القرن الثامن أصبحت تورفان تحت حكم الأويغور، وقبل أن يأتوا إليها اعتنق حكام الأويغور المانوية، الديانة الفارسية التي تتكون من النور (ويمثل الأله) والظلام (الذي يمثل الشر)، وفي تورفان رعى الأويغور البوذية كما المانوية، وسمح للمسيحيين النسطوريين بممارسة عقيدتهم، واللوحة الجدارية التي تتضح أنها تعبر عن المسيحية وجدت مغطاة في جدار داخلي في معبد

صغير في خارج أسوار مدينة خوجو، ويبدو القس في ثياب يتضح أنها ليست من البوذية أو المانوية يحمل في يد بخورا وفي الأخرى ماء، ويبدو أنه يبارك ثلاثة أشخاص، وأصغرهم قريب منه، وكل واحد منهم يحمل غصن زهرة، وأشكالهم بعيون شرقية مائلة، وأما القس يظهر أنه بيزنطي.

ورسم حائطي مانوي جميل يظهر قسًا فارسي الملامح يمكن أن يكون صورة ماني نفسه في كامل ملابسه الدينية، ويتبعه عدد من الأتباع في عبايات بيضاء طويلة قامة (أتباع مخلصون تحت شروط الصفاء والطاعة) وهذا تم اكتشافه أيضا خلف طبقة من الطوب، وربما تم تجهيز المعابد على هذا النمط لروادها، وصفحات من شروحات النصوص المانوية ولوحات معابد المانوية وجدت في أماكن عدة في خوجو وبالقرب منها على نفس النمط، وكل من الرجال والنساء تم تصويرهم وأيديهم متشابكة، وإن كانت نهودهم تحت ملابسهن، ويحمل بعضهم كتابا والبعض يكتب، وفي أجزاء الكتب الملفوفة وصفحاتها، فالصور والنصوص في خطوط مانوية خاصة تعطيان بشكل عام الأثر المشابه للمخطوطات المسيحية المبكرة في أوروبا الوسطى، والألوان براقية والأشكال مبسطة نوعا ما، وعلى الرغم أنها لاشك تعود إلى تطور الفن العام لآسيا الوسطى إلا أن الموجودات المانوية فعليا تضم تطورا غريبا ومنعزلا بجذور عميقة تعود إلى القرن الثالث لفارس الساسانية حيث انطلق منها ماني نفسه.

والفن البوذي في أيام الأويغور يمكن أن يمثله بشكل أكثر الرسوم الحائطية المنتشرة كثيرا في المعابد في بزكليك (Bezeklik) (المكان المزين بالديكورات) قرب قرية مورتوك (Murtuk)، وهنا مجموعة كبيرة من التماثيل المنصوبة بشكل اعتباطي وكهوف في صخور منحوتة، بعضها في حجر انتظار، تحتل حافة محمية بين النهر والجبال، ومئات من المعابد المنتشرة لازالت موجودة في مستويات تحتاج إلى إصلاحات مع بداية القرن الحاضر.

مجموعة من اللوحات الجدارية الرائعة اكتشفت من قبل لي كوك Le Coq في المعبد الذي رقمه 9، لوحات متفرقة تصور مجموعة الرهبان الهنود باللون الأصفر بأسمائهم الهندية التي كتبت بالحروف الهندية، ورهبان من الشرق الأقصى كتبت أسماءهم الصينية والأويغورية، والكل يحمل أغصانا من الزهور، والرسم الرئيسي بالزينة يصور سلسلة من برانيدي Praniidhi والمتعبدين، وفي كل منها يظهر البوذا بشكل مظلل ومرصع بالمجوهرات بشكل متقن ومحاط بهالة ممدودة، وتم حذف الأرقام من خمسة إلى عشرة من الأعمدة العامودية من حول البوذا، وعادة اثنان في القاعدة يقدمان الهدايا مثل الطعام أو سلال الزهور، وهناك منزل صيني مركب مكرر يوجد في أعلى الركن، وبعض صور المتعبدين تم تشخيصهم بشكل عال، ويبدو أنها صور لرهبان مميزين، وفي إحدى الصور مجموعة أشخاص يبدو أنهم تجار، والآخرون من الرهبان يمكن تمييز بعضهم أنهم براهمان، وحاملي الرماح، وآلهة وبوذيستافاس Bodhisattvas وشبان، وكلها على نمط عال من التصوير.

وأشكال وجوه البوذا وغيرها من الشخصيات تقريبا على نمط واحد، عيون ضيقة، وأنوف طويلة، خدود مليئة، وغالبا خطوطا لشعر شارب، والرهبان الذين تم تصويرهم مما يعرض الكثير عن تنوعهم، والعدد منهم بشعر أحمر وعيون زرق وخضر، ويظهر بعضهم بلباس أحمر أو رمادي وحليق الرؤوس والوجه والذقن.

وأما عناصر القصة فتم اختصارها بغير أن يؤثر ذلك على الموضوع صغيرة وطوافة تحت أقدام البوذا، كأنها قصة بحر يتحرك، والتفاصيل والمحتوى يختلف من منظر برانيدي Phranidhi لآخر، والتزيين الشامل والخط المؤكد والتماثل الفائق كلها تؤثر في الروعة والإبداع.

وأحيانا الصور الصغيرة للماتحين المدسوسة قرب أقدام البوذا في مناظر برانيدي Phranidhi والصور الكاملة للماتحين الأويغور، تظهر في الجدران الصغيرة قرب مدخل المعبد الداخلي، وصور نبلاء الأويغور في المزارات الأخرى تظهر شخصيات قوية بشوارب صغيرة

وشعر أسود غزير، وملابسهم طويلة وعباءاتهم مرصعة وزاحفة، وأما النساء فشعورهن مصففة بإتقان يعلوها تاج، وأيضاً كل من المانحين يحملن الأغصان، وقد تم الاعتناء بتصوير هؤلاء المانحين أفراداً، و تم تسجيل أسماء أكثرهم في جداول قرب رؤوسهم.

وبالإضافة إلى مناظر برانيذي Phranidhi فإن صور شخصيات المانحين وتماثيل بزكيليك وغيرها من الرسومات الحائطية في خوجو يعود تاريخها إلى فترة الأويغور (من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر الميلاديين) وتغطي كثيراً من موضوعات مذهب ماهايانا Mahayana من البوذية، كما توجد مناظر خاصة بالجنات مع مختلف الآلهة ومناظر تصور التعذيب في جهنم.

والتأثير الصيني يظهر في كل محتوى، فالآلهة يجلسن في نوافذ المنازل التي على الشكل الصيني، والأطفال مع أسلاك رياضية في الشرفات، والعمارة مع شعورهم المتطايرة وعيونهم الجاحظة مع أذرع عديدة منتشرة في الرسومات.

ويظهر أن الفن البوذي انتهى في تورفان مع غزو جنكيزخان وفترة حروب المغول، وتحول ملوك الأويغور الخاضعين لحكم المغول بعد ذلك معهم إلى الإسلام، ولكن بقي أكثر السكان بوذييين إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وكثير من المعابد في بعض الأماكن مثل بزكيليك وممر سانغيم Sangim استمر أماكن عبادة إلى ذلك الوقت.

وبين أوائل جداريات موران وأواخر مثيلاتها في تورفان هناك فترة من ألف سنة، وخلال هذه الفترة أشكال المعابد تطورت في ممالك الواحة وبلغت درجة عالية من الازدهار والفخامة، والمسير الملحوظ في الإبداع في الإنتاج يثير السؤال حول المصادر السابقة للمنطقة التي كانت تربط عوالم الشرق بالغرب وحضارتها التي تمثل ثقافة طريق الحرير، ومع الأخذ بالاعتبار بالتجارة العالمية المحدودة وأبعادها القصيرة في العصور القديمة، ولكن يبدو أنه من الصعب التصور للغاية أن العديد من منات قوافل الجمال تنقل المنتجات الاقتصادية سنوياً للمشروعات الدينية والفنية الغنية، ومن ناحية

أخرى فإن المنطقة الواسعة والشواهد التي تدل على وفرة إنتاجها الزراعي كانت تمد احتياج السكان أكثر مما هو في الحاضر، والفورة الزراعية التي تقوم على التربة الغنية والري المناسب يدفعها على رخاء أكثر من الاعتماد على طريق الحرير، مما يوضح لماذا حوض تاريم أصبحت مكانا للمعابد والأديرة، ولكن أيضا كانت جاذبا لغزوات مستمرة.

وقدم إليها العلماء الغربيون عموما إلى سنكيانغ، باعتبارها ممرا هامشيا وطريقا عابرا للأشكال والزخارف والتقنيات اليونانية، التي عبرت إلى الصين واليابان، وأخيرا لوجود التأثيرات الفارسية والهندية، ثم بالطرق التي ارتبطت بالبيزنطية، ثم انتقال عناصر الحضارة الصينية إلى الغرب، وتزايد الشواهد الأثرية أدى إلى الحاجة للاهتمام بالدراسة، أولا ( نيا وميران) بسبب أنهما يمثلان الأثر الهليني في عالم غرب آسيا، ثم تطوره حوض تاريم فيما بعد نموذجا لتوليفة فريدة من نوعها تجمع بين عناصر الثقافة المحلية والأجنبية، واللوحات ومناظر الجبال في قزبل وروستان وداندان اويليك، والآلهة والرهبان في شورجوك والنبلاء الأويغور في بزكيليك يمكن أن تكون أمثلة قليلة لا يوجد لها مثل في مكان آخر، وعلى الواقع فإن هذه الآثار ذات قيمة جوهرية ومتميزة لبوذية آسيا الوسطى، يمكن تصنيفها مركزا فنيا للاهتمام العالمي.

كتبه: اليس ثورنر Alice Thorner



## الملحق الثاني:

### الأدب والفن اللفظي للأويغور والقازاق والقيرغيز

يوجد القليل من الأدب المكتوب باللغة الأويغورية، وجميع تلك البقايا الأدبية جاءت تقريبا من عهد ما قبل الغزو المغولي، والوثائق المعروفة يعود تاريخها إلى حملة الأويغور الأوائل في جونغاريا، وهي آثار دينية بحتة، ومعظمها مقطوعات غير مؤرخة، ويمكن الاستنتاج من تسلسلها التقريبي من المصادر التاريخية - معانها متناقضة - بعض المعلومات عن تطور الأويغور الديني بعد رحيلهم إلى الجنوب، ومن المعروف أنهم قبل ظهورهم في الأراضي التي تعرف بسنكيانغ اليوم تحول الأويغور إلى مانويين بواسطة البعثات الصغدية، ومما يؤكد على انتشار المانوية بينهم جملة من الوثائق الدينية المكتوبة بالأويغورية التي تشرح مبادئ وصلوات المانوية، ومنها الوثيقة الأويغورية المانوية الرئيسية خواستوانيت **Khuastuanit** (دعاء التوبة) وهي على حسب قول رادلوف **Radlov** ذات نقاوة لغوية من بين جميع الوثائق التركية الأخرى<sup>(1)</sup>، وهو على جانب كبير من الأهمية ليس بسبب تكوينه اللغوي كأقدم وثيقة باللغة الأويغورية فحسب، بل بمحتواه الذي

<sup>1</sup> - V.V. Radlov, Chuastuanit, das Bussgebet Manchaer, St. Pesburg, 1900, p.iv

يساعد على فهم المانوية، فهو لا يعدد ذنوب التائب فقط بل يحتوي على قائمة من مبادئ ماني التي صنف بها المذنب، ويمكن أن يكون الكتاب يضم خلاصة هذه الديانة الغربية كما رأها الأتراك.

ومن أهم ميزات هذه الوثائق المانوية أنها مكتوبة بأبجدية لم تكن معروفة من قبل للأتراك، ومختلفة تماما عن نقوش أورخون، وقد استعملها الأويغور عند اعتناقهم المانوية، وهي في الأساس أبجدية آرامية (سامية)، وبالتالي لعبت دورا مرموقا في ثقافة آسيا عندما اقتبسها المغول بعد سيطرتهم على الأويغور، ومع المغول انتشرت ثانية نحو الغرب، وأخيرا استعملها المانشور مع بعض التعديل(1)، وقد عرفت بالأبجدية الأويغورية؛ لاستعمال الأويغور الأول لها في التاريخ، ثم انتقلت منهم للآخرين، وقد استبدلها الأويغور بعد إسلامهم بالأبجدية العربية(2).

وفي القرن الحادي عشر قدمت ثقافتان إلى الأويغور في موطنهم عندئذ في حوض تاريم، إحداهما نسطورية مسيحية من مصدر غربي كما كانت المانوية، والأخرى البوذية من مصدر جنوبي(3)، وطبقا لكتاب في القرن الحادي عشر عن اللغة التركية كتبه محمود الكاشغري كان لا يزال معظم الأويغور في ذلك الوقت يمثلون حاجزا دون انتشار الإسلام(4)، وعلى الرغم من التأثير الإسلامي الملموس، وتأكيد وجود المسيحية بين الأويغور بعدد من النصوص المنتشرة مثل عبادة ماغي Magi(5)، كما جاء الاستدلال على

<sup>1</sup> - V. Bartold, Zwölf Vorlesungen ueber die Geschichte d. Tuerken Mittelasiene, Berlin 1935, pp.50-52

<sup>2</sup> -Ibid, p.132

<sup>3</sup> Ibid, p.58

<sup>4</sup> Op.Cit. p.132

<sup>5</sup> - F.W. Mueller, "Uiguric" Abhandlungen der Kgl Preussischen Akademie der Wissenschaften, Phil.Hist. Klasse, 1908, Abh.II.pp5-10

انتشار البوذية بعدد من النصوص التي تحتوي على موضوعات فلسفية خاصة بالبوذية، ونصوص من من أدب وحياة بوذا<sup>(1)</sup>، الأدب ليس أصيلا بل هو ترجمات أجنبية.

وبالمقارنة لهذه النصوص الدينية فالعمل الديني الوحيد إسلامي تقريبا، ويتمثل في كتاب قوتادغوبليك **Kutdatku Bilik** الذي كتبه عالم ديني قدير يسمى يوسف من بلاساغون، وهو حاجب في بلاط بغراخان، ومعنى اسم الكتاب (السعادة التي تجلب المعرفة) أو (المعرفة الملأمة للحاكم)، (وكوت تعني السعادة، ولكن تكرر استعمالها في قوتادغوبليك بمعنى الجلالة)<sup>(2)</sup>، والكتاب نفسه أخلاقي صرف، يهتم بواجبات الحاكم، وفي شكل تعليمات الوزير اوكتولميش، **Oktulmish** لابنه الذي يستعد في الدخول لخدمة الخان، ومثل هذا الكتاب شائع في هذه الفترة في الشرق، كما كان في العصور الوسطى في الغرب، ولكن قوتادغوبليك يختلف عن المؤلفات الغربية الأخلاقية التي تزخر بمواد تاريخية وأسطورية، ولا توجد مثل هذه المواد التاريخية تماما فيه، ويعالج الكتاب واجبات الحاكم نحو الشعب ومميزات طبقات الموظفين، ويقيم عددا من المبادئ الأخلاقية، والتأثير الإسلامي واضح إلا أن تمجيد مفاهيمه الدينية يبدو سطحيا ظاهريا، والمقدمة الدينية الوحيدة هي المقدمة التي تحتوي على الصيغة التقليدية في تمجيد الله والرسول وبعض الجمل الدينية في الكتاب، ويعطي كثيرا من المعلومات الهامة عن الحياة السياسية والاجتماعية للأويغور في نهاية القرن الحادي عشر، ويظهر أن المجتمع الأويغوري في كاشغر كان مقسوما على ثلاث طبقات: البسطاء، قرا عام (مثل قرا سيوك **Kara Suyek** القاراقية)، العلماء تابوكجي **Tabukci** ثم الطبقة

<sup>1</sup> -Mueller, op.cit, 1908, pp.11—45, 1910, Abh. III

<sup>2</sup> Bartold, op.cit, pp.135-136

الحاكمة، وتشمل طبقة قرا عام: التجار Satikci والمزارعون Taranchi والرعاة Igdishci، وأما طبقة العلماء نابوكجي فتشمل: السادة (علوي Alevi) والحكام (اوتجي Oteci) والسحرة (ابسونجي Apsunci) والمنجمون (Munejim)، والطبقة الحاكمة تضم الخان والوزراء وقواد الجيش والكتاب

Bitkici والسفراء Yalaoci والحراس Kapukci<sup>(1)</sup>، وقد سرد صفات ومميزات كل طبقة من هذه الطبقات وفاندها بالنسبة إلى الحاكم، بالإضافة إلى الواجبات المطلوبة من المزارعين والرعاة والصناع والتجار.  
عن الرعاة يقول المؤلف:

يقومون بتربية المواشي، ويعتنون بقطعان خيولهم، إنهم مجموعة صادقة من الناس، ولكن لا يملكون الحكمة، عاملهم جيدا... اختلط بهم... عزز معرفتكم بهم، وكل واشرب معهم، وفر الحياة كما ينبغي أن يعيش الإنسان، إذا اختلطت بهم صن نفسك عنهم.. تعاون معهم جيدا؛ لأنهم دائما بدون انضباط وتهديد مباشر، خاطبهم بالقول الحسن ولكن لاتأخذهم أصدقاء<sup>(2)</sup>.

وعن المزارعين جاءت هذه الملاحظات الهامة:

هؤلاء الناس هم ضروريون لك؛ لأن احتياج بطنك يأتي من قبلهم، اجتمع بهم... وخاطبهم بطيب القول<sup>(3)</sup>.

وقد ذكر موقفا مغايرا بالنسبة إلى الصناع والتجار:

الصناع نوع آخر من الناس، يخلقون بأيديهم الفن لكسب

<sup>1</sup> - H. Vambery, Uigurische Sprachdokumente, Innsburck 1870, pp.5-6

<sup>2</sup> - M.

1- M. Abdykalykov and A. Pankratova, eds. History of Kazakh S.S.R., Alma-Ata 1943, p.72, (in Russian)

<sup>3</sup> - Vambery, op.cit, pp.32-33

معيشتهم، فلا غنى لك عنهم جميعا، تعهدهم بالرعاية وال العناية، وسيجلبون لك التقدم الأحسن ومنهم جاءت الأعمال في المعمورة، وكم صنع هؤلاء أعمالا مذهشة رائعة! يجب أن تجتمع مع هؤلاء كما يجب معاملتهم بالحسنى، اجعلهم سعداء وعش سعيدا، وإذا نلت أعمالهم لا تتردد من إهدائهم، أعطهم المأكل والمشرب، ووفر لهم الطعام<sup>(1)</sup>.

وأما عن التجار فينصح الحاكم:

تعامل معهم جيدا واترك أبوابك مفتوحة لهم، لكي ينتشر ذكر الحسن، إنهم يحملون شهرتك إلى العالم، ينشرون صيتك الحسن أو السيئ، إذا أردت أن تتأكد من شهرتك، دع التاجر فقط يحصل على قيمة سلعته، إذا أردت أن تخلق لنفسك شهرة طيبة أيها الحاكم، عامل رجال القوافل طيبا<sup>(2)</sup>.

ومن الأفكار الفلسفية المثيرة المنطقية التي في نصوص الكتاب الاهتمام الكبير بالعلم والمعرفة، إذ لم يطريهما فحسب، بل يوصي بهما الحاكم؛ لكونهما أسس الحكمة واعتبرهما أكثر أهمية من مجد الإمارة والغنى.

والفصل التالي بعنوان: شرف الإنسان يصدر من المعرفة والفهم، وهذا مثال جيد للاهتمام الكبير الذي ذكر في كتاب (قوتاد غوبيليك):

خلق الله النار والرياح والماء والأرض  
ومنح الإنسان نعمة المعرفة والعقل  
اهتم بالمعرفة كثيرا وبالعقل عظيما  
فالله رفع عبده بهاتين النعمتين

<sup>1</sup> \_ Abdykalykov & Pankratova, op.cit p.72

<sup>2</sup> - Vambéry, op.cit pp.134-135

تعرف على معنى المعرفة وتعلم ما هي المعرفة  
سيختفي الشر مع معرفة الإنسان  
الشخص الجاهل مملوء بالشر  
وإذا لم يعالج الإنسان هذا الشر لسوف يموت  
لذا أيها الإنسان الجاهل عالج شرك  
عالج الجهل أيها الصديق العالم<sup>(1)</sup>.

وهذه شهادة على مستوى التعليم العالي، الذي بلغه الأويغور في ذلك الوقت، وهو بلا شك ناتج عن تدفق العلوم العربية والإسلامية، بالإضافة إلى هذا الوقف العلمي الجيد، وجدت آثار واضحة من شامانية الأتراك القديمة، ويتضح ذلك من حسن معاملة الحاكم الطبيب الذي يعالجه من مرضه، ومع ذلك ينصح بحسن معاملة الساحر موكاسيم Mukasim؛ لأن الطبيب يعالج بالدواء والشاماني بالطلاسم<sup>(2)</sup>.

ولابد أن كتاب قوتادغوبليك قد اشتهر تماما وانتشر في جميع الممالك الناطقة بالتركية، فقد وجدت مقطوعات منه على قطع من فخار في سارايجيك Saraijik ( Saraichikovskoe ) عند مصب نهر اورال في بحر قزوين<sup>(3)</sup>، كما وجد حديثا كتاب (هبة الحقائق) ألف بتاريخ متأخر، ولكن يمثل نفس التعاليم في تركيا<sup>(4)</sup>، ويظهر من هذا الاكتشاف أن قوتادغوبليك ليس الوحيد في هذا المجال، وقيل إن كاشغر كانت مركز الثقافة التركية لكل منطقة آسيا الداخلية في القرن الحادي عشر الميلادي، ومع ذلك

<sup>1</sup> - Vambery, op.cit. p.79

<sup>2</sup> - Ibid.pp.136-137

<sup>3</sup> -Zapiski kolegii Vosto; okovedov, XXI, p.42 quoted by Bartold op. cit.p.136

<sup>4</sup> - Comp.J. Deny, "A propos d'un traite de morale turc en ecriture ouigoure"

Revue du Monde Musulman,60,1925, pp.189-234

عندما استعاد الأتراك سلطانهم بعد دور المغول تحوّل هذا المركز غرباً، ولا توجد أعمال أدبية من كاشغر أو أية منطقة أوغورية أخرى بعد ذلك.

ولا توجد وثائق أدبية إذ كانت الثقافة الأوغورية محصورة بالأدب اللفظي؛ لكونهم من الأتراك البدو في آسيا الداخلية، ولم يتصل الروس بهم مباشرة (ما عدا التارانجي في وادي إيلي) ولم يسجل أدبهم اللفظي بشكل واسع من قبل اللغويين الروس وعلماء البشريات كما حصل لأدب أترك آسيا الداخلية الأخرى، ونحن مدينون في بعض نصوص الأوغور المتناثرة في حوض تاريم لكتب لي كوك Le Coq وجرينارد Gernard ويارينغ Jarring و كاتانوف- منغيس Katanov- Menges ومعظم الكتب الروسية التي تعالج أدب تارانجي إيلي منها كتب رادلوف Radlov و بانتوسوف Pantasov ومالوف Malov والتارانجيون جماعة من الأوغور تم تهجيرهم إلى إيلي في القرن الثامن عشر فقط، وإنهم يشتركون في تراث شعبي واحد، ومع استيطانهم في وادي إيلي ظهر نوع جديد من الأدب اللفظي يعالج عموماً اضطهاد الصينيين لهم ونفيهم الإجماعي إلى هناك.

وتوجد الأنواع التالية في الأدب الأوغوري اللفظي:

1- الأمثال 2- القصص الشعبية 3- الأساطير والحكايات

4- الأغاني 5- القصص التاريخية (قصص التارانجين).

والأمثال لا تعطي فكرة عن عادات الأوغور وأخلاقهم فحسب، بل تظهر التأثيرات القوية لثقافات أخرى، خاصة ثقافات الأتراك البدو المجاورين وإيران والهند، وتأثير الثقافة الإيرانية هي أقوى التأثيرات، والشاهد على ذلك المثل: ( أربعون شخصاً أكلوا أربعين خروفاً في يوم واحد)، ويقال لأصحاب البيوت المهملين<sup>(1)</sup>، وهو

<sup>1</sup> - A.v. Le Coq, Sprichwoerter und Lieder aus der Gegend von Turfan,

يطابق حرفيا لمثل أفغاني<sup>(1)</sup>، والأمثال الأخرى ترجع بوضوح إلى قصص هندية، مثل: بانجاتانترا Panchatantra وجاتاكام Jatakam، والمثل يقال لذئب ينتظر أن يستمتع بلحم عنز وقد مات من الجوع، والقصة تعود إلى الفصل السادس من الجزء الثاني بانجاتانترا Panchatantra التي تحكي قصة ابن آوى الطماع برالوبهاكا ( Pralobhaka ) (الطماع جدا) الذي انتظر خمسة عشر سنة يراقب حركات الثور، وينسى مع طمعه أن يصيد الفران ويسقط ميتا<sup>(2)</sup>، ومجموعة أخرى من الأمثال التي تهذب الأخلاق، ومن ذلك أن الإنسان غالبا ما يغضب من فشله الذي يعود إلى قصة هندية تسمى جاتاكام Jatakam وتفيد أن عصفورا حاول إيقاف معركة بين خروفين فطار وتحطم بينهما<sup>(3)</sup>، وعلينا أن نقارنه بالمثل الأويغوري (تعارك فحلان وسحقت بينهما ذبابة)<sup>(4)</sup>، والمثل الأويغوري القائل: ( عندما يريد الفأر أن يموت يراقب حركات القط)<sup>(5)</sup>، ويوجد نظيره في مجموعة جاتاكام الهندية مثل قصة الخروف الذي كان على وشك الإنقاذ، ولكن عندما حفر الخروف الأرض ظهر سكيننا ذبح به، وهذه القصة أيضا موجودة في قصة يونانية، كما ظهرت في مثل عربي (لا تكن مثل الخروف الذي حفر بحوافره فذبح)، وهناك خلاف عن وصول هذه القصة إلى سنكيانغ،

Baessler Archiv. Leipzig-Berlin 1911, p.41

- <sup>1</sup> - Thorburn , Bannu or Our Afghan Frontier, London ,1876,250,No.29,qoted by Le Coq.op.cit.2
- <sup>2</sup> - Comp.Panchatantra (T. Benfey) Leiozig 1859, II, pp.194-195
- <sup>3</sup> - Comp.R. Pischel, Zeitschrift der Deutschen Morgenlaendischen Gesellschaft, p.47,86-87 (hereafter ZDMG)
- <sup>4</sup> - C. Brockelman, Alturkestanische Volksweisheit, Ostasiatische Zeitschrift ,8, Heft,1/4,71, No.255
- <sup>5</sup> - Brockel, man, op. cit. No.255



وبدت كأنها مثل أويغوري، كما يقول فرانكل Fraenkel (1)، والإدعاء أنه مثل يوناني وصل إلى العرب، وبواسطة التجار العرب وصل إلى سنكيانغ والهند، ومع ذلك فإن ر. بيشل R.Pischel يؤكد أن وجوده في جاتاكام يبرهن على أصله الهندي (2).

ويرجع الكثير من قصص الأويغور إلى مجموعة القصص المشتركة لعموم الأتراك والإيرانيين، وهي نتاج الأدب الشعبي المكتوب في آسيا الداخلية، مثل قصة همرا Hamra (3)، التي تنتهج بشكل ملحوظ قصة مشهورة مكتوبة بنفس الاسم عن عشق خارق للعادة لشاب (4)، وأشار الآخرون إلى نصوص رومانسية لشاعر الأوزبك المشهور على شيرنواي في القرن الخامس عشر، مثل قصتا شيرين وسيف الملوك (5)، وهذه القصص مملوءة بالخيال وخوارق الطبيعة بحيث يمكن ملاحظة الغزل الرومانسي الإيراني، وبصرف النظر عن بعض العناصر الشيطانية فالمبادئ الإسلامية جلية في المحتوى.

وفي الأساطير الأويغورية تظهر بعض الآثار التي لا بد أنها كانت ملحمة تقليدية قديمة، وهي صفة مشتركة لثقافة آسيا الداخلية، لأن الشخصية في الفلكلور عانت كثيرا من المستوطنين الذين هم في الأصل قبائل بدوية، وبالتالي نفوذ الثقافات غير التركية، وبالأخص الثقافة الإسلامية ضد التقاليد الشامانية التي كانت متأصلة أصبحت كلها أجزاء هامة من ثقافتهم، وقصة شيم تيمور باتور (6) تمثل

<sup>1</sup> - Das Schaf und das Messer, ZDMG,47, pp.437-440

<sup>2</sup> - ZDMG, 47, 88

2-V. Radlov, Proben der Volksliteratur d. Turkischen Staemme Suedsibriens, VI, pp.114-130, G. Jarring, Materials to the Knowledge of Eastern Turki

<sup>3</sup> - H. Vambery, Cagataische Sprachstudien. Leipzig 1867.p.35

<sup>5</sup> - Radlov, op.cit. VI, pp.95-113 & 131-144

<sup>6</sup>- Ibid, 210 ff.; N.N. Pantusov , Examples of Taranchi Popullar Literature , Kazan 1909.1-13, (in Russian)

أسطورة أويغورية ذات عناصر ملحمية، ومعارك البطل مع العفريت يالمونغوش Yalmungush ذي الرؤوس السبعة مما يذكرنا موضوعه بشعر ملحمي نجده بين أتراك آسيا الداخلية، مع التأكيد على قوة البطولة الفردية عن البطل (باتور) الذي يستطيع بمفرده أن يسحق جيشا بكامله، ويظهر أيضا على الأسلوب عناصر قوية من الملحمة التقليدية بتكرار مستمر على الجمل الرئيسية (التي تكون وقفات ملائمة للارتجال عند كل مقطع)، وفي نموذج الحركة البطيئة في القصة لم يعد يوجد شعر ملحمي بل قصة نثرية، ومع ذلك في كل هذه الأساطير الملحمية توجد آثار شعر ملحمي قديم في مناجات نفسية شعرية في العبارات الرئيسية التي تتواجد في جميع القصص الملحمية.

ويبدو أن الكثير من القصص الأسطورية البسيطة مقتبسة من سلسلة القصص الهندية مثل: بهاراتاكاڤاتريميسكا Bharatakadvatrimiska وهي قصة فلاح(1) يقص عليه أحد المارة أنه سيموت بعد أن يظهر حماره بعض الحركات، مثل: اختراقه الرياح، وبعد أن يخترق الحمار الرياح يعتقد الفلاح أنه ميت حقيقة، وصارت هذه القصة جزءا من سلسلة القصص الشرقية العامة، وتوجد بشكل مماثل حتى في الأساطير الروسية.

ويبدو أن الأويغور لا يملكون القدرة المماثلة لأتراك البدو في صياغة الأغنية، حيث تتماشى مع الناس وتصف كل ناحية من حياتهم، فالأغاني الأويغورية أكثر فردية إلى حد ما من التي عند البدو، ولا تظهر فيها الحيوية والقوة التي تمتلى بها الأغاني البدوية مع استثناء قليل، وأكثر الغزليات ذات مواضيع شخصية، ومعظم الأغاني التي جمعت هي أغاني العشق، مع الاهتمام الخاص بالحب المحروم، وتزخر بالصور الجنسية والزخرفية وأحيانا بالاحلام، وتعكس تأثيرا ملموسا بالغزليات الإيرانية، كما في المثال التالي:

في أيما طريق مشيت

<sup>1</sup> - Radlov, op.cit., VI 231 ff

هناك سأمشي أنا أيضا  
 وإذا كنت زهرة متفتحة  
 سأكون أنا الورقة لها  
 وقد تبرعم الخوخ يا حبيبتي  
 على جسدك  
 وأصبحت شريرا  
 لأحضن صدرك يا حبيبتي  
 ما أجمل ما ترقصين  
 في حركات دائرية  
 بين أصدقائنا  
 تبدين جميلة  
 هل تريد أن ترحلي  
 ما الذي يدفعك على الرحيل  
 لقد تركت جسми  
 و متى ستحضرين روحي  
 أنت لاتعرفين حبي  
 والألم الذي في داخلي  
 أحرقتي نفس في لهيب الحب  
 ولايمكنك إطفائها لأنك أنت التي تحرقين  
 مياه قراخوجه  
 تجري عبر الحدائق المظلمة  
 المرأة الجميلة الشابة ذات الحاجب الأسود  
 تشعل لهيب الحب في قلبي  
 حبيبتي هل جئت لترين

## كيف تحرقيني بنيران الحب

الحريق الذي تشعلينه ثم تطفينه(1).

بالإضافة إلى هذه الأغاني الشخصية التي تأثرت بالشاعرية الإيرانية التقليدية توجد مجموعة صغيرة من الأغاني التي لا تتصف بالشخصية الفردية، ولكن ترجع إلى ماض الشعب الأويغوري، وهذه الأغاني يسميها الأويغور قوشاق أو قوشوق والتي يعرفها غرنارد Grenard بالقول إنها من المحتمل أن يكون أسلوب الفن الأويغوري أقرب إلى الملحمة التقليدية، وعلى الأقل تحتوي في شكلها على صور الأسلوب الملحمي، مثل: تكرار الجملة الرئيسية والمقطوعة الإيقاعية القوية، ومع ذلك فالشكل الوحيد لهذه الأغاني يذكرنا بالملحمة، كما نرى فيما بعد أن مضمونها عادة ليست ملحمية الصنعة.

لا يوجد القوشاق بين الأويغور مثل الأغنية الملحمية بين البدو، فقد لقي غرنارد Grenard مصاعب في تسجيل هذه الأغاني؛ بسبب قلة من يعرفها، ومن بين القلة الذين وجدهم يتذكرون بعض القوشاق كان الأقل منهم فقط يستطيع سرد أكثر من جزء من الأغنية(2)، وهذه مغايرة تماما لثقافات البدو، حيث الملحمة التقليدية لاتزال قوية بحيث يستطيع كل شخص أن يسرد على الأقل أجزاء من قصيدة ملحمية.

ومعظم القوشاق التي سجلها غرنارد تحكي ثورة يعقوب بك التي يصورها بحرب دينية، وهدفها الوحيد تمجيد الأخوة الإسلامية ضد الصينيين الكفار، ولا توجد صفة ملحمية في محتوى هذه الأغاني، كما لا توجد أوصاف البطل الذي نجده في الملاحم البدو، البطل المنتصر الذي يمثل قوة القبيلة، وبالمقارنة فالبطل هنا لا ينتصر ولكن يعاني مصير الشهيد؛ نتيجة إيمانه ومشاركته في الثورة، والملاحظة المهمة أنه لا توجد قطعة ملحمية واحدة ليعقوب بك نفسه ( على

<sup>1</sup> - Le Coq, op.cit.,pp.51-53

<sup>2</sup> - Grenard, op.cit.III, p.85

الأقل عند غرنارد عن تسجيلاته عن القوشاق) على الرغم أنه أعظم شخصية تاريخية، بطلا وطنيا أسطوريا، وقد جاء ذكره عابرا في إحدى الأغاني (شهيد كورلا) مكان وفاته(1)، وبالمقارنة لأغاني البدو والملاحم ذات الأوضاع المماثلة في الثورة ضد الغزاة الأجانب، لا تظهر الأغاني الأويغورية روح التحدي والمقاومة الوطنية والشعور القومي والتماسك الاجتماعي، بل تظهر غالبا روح الهزيمة البائسة والاستسلام، والأحداث التي وضعت في هذه الأغاني لا تشمل نواحي التاريخ الوطني الأويغوري بشكل واسع، ولكن حوادث خاصة في مناطق محدود.

ونموذج المقطوعة الكئيبة لدور بطولي هو قوشاق محمود خان، عامل يعقوب بك في ارتوش (قرية كبيرة شمال غرب كاشغر) الذي نفاه الصينيون إلى قمول:

إذا جئت إلى منزل الزهور

سترى الزهور الذابلة فقط

عندما يعود محمود خان إلى وطنه ارتوش

محمود خان يمشي الآن في قمم جبال قمول

البندقية في يده والدمعة في عينيه السوداوين

أصبح أطفال محمود خان أيتاما

ألا تملك قوة أكثر يا محمود خان

تحرك محمود خان نحو كاشغر

إذا كانت هناك عدالة ستعامل بالإنصاف

ودعوات الأيتام والمسافرين عندئذ تسمع(2).

وتوجد نصوص الأدب التارانجي أكثر من نصوص الأويغور

<sup>1</sup> - Ibid., III, p.100

<sup>2</sup> - Ibid.III, pp.100-103

بسبب اهتمام الباحثين الروس بالأدب الشعبي، ويبدو أن الأدب التارانجي اللفظي يتطابق، مع فرق واحد هو أن الأدب اللفظي الذي ظهر بعد استيطان التارانجيين في وادي إيلي هو الأدب الشعبي الحديث، ويصور المصير المحزن لجماعة هجرت بالقوة من موطنها، ثم أسكنت في منطقة غريبة، وتمتلئ هذه الأغاني بالشكاوي المريرة عن الاضطهاد الصيني والأعمال الإجبارية والنضال التارانجي المستمر لنيل حقوقهم من الصين، وهي على جانب من الأهمية؛ لاختلافها عن معظم الأدب الشعبي الأويغوري؛ لأنها لا تعالج مواضيع وأحزان شخصية خاصة، بل البؤس الجماعي الذي لحق بالتارانجي والاضطهاد الذي أصابهم كلهم.

ظالم عظيم يسمى كونغ ظالم عظيم يسمى كونغ Gong أصبح تشيانغ تشون Chiang chun في جبال إيلي

قال: يجب أن تؤخذ الضرائب من التارانجي الغني

ولكن الضرائب المفروضة فاقت جميع مقاييس الاضطهاد

ضرب وقتل التارانجيون وربطت أيديهم لأخذ الضرائب

وفقد تشيانغ تشون جميع إحساسه وطفح الوعاء بما فيه وسال

واضطر الناس على بيع فلذات أكبادهم لدفع الضرائب الباهظة

وأخذوا الجمال والخيول من الأغنياء والخبز من الفقراء (1)

هذه الجبال عالية تعترض سبيل الفقراء

وإذا مات الفقير من سيبكي عليه؟ الرجل الفقير فقط هو الذي

يبكي على الفقير.

ودموع الجماعة المستوطنة التي لم تجف بعد في معسكر ياماتو

Yamatu وفي طريقهم إلى توفوزتارا Tokuztara (2)

<sup>1</sup> -Ibid., N.N. Pantusov. The War of the Moslems against the Chinese, Introduction, Kazan 1881, pp.11-12 (in Russian)

<sup>2</sup> -Ibid, pp.3-4

وقصص التارانجي النثرية تعرض نفس الموضوع تقريبا والنموذجية منها هي قصة نوزكوم(1)، وهذه القصة ذات الصفة الملحمية القوية تحكي هزيمة ثورة إسلامية قامت ضد الصين في كاشغر، وذبح الصينيون الرجال ونفوا النساء إلى إيلي زوجات إلى القالموق المغول، وبطلة القصة امرأة شجاعة تسمى نوزكوم رفضت الزواج من كافر، وحاولت مرارا الهرب، وفي النهاية قتلها الصينيون وقدسها الشعب الأويغوري شهيدة، وتنتهي القصة بشعر أخلاقي تعكس قوة الروح الوطنية للمقاومة، ويلاحظ هذا كثيرا في الأدب اللفظي التارانجي.

إذا كانت المرأة مثلك يانوزكوم وفيه نقية لماذا تخاف النساء الصينيين المجرمين؟

وإذا كان مثل هذا سلوك المرأة  
عندئذ ستتذوق النساء أفراح الجنة  
ترحم يا الله على روح نوزكوم  
لعلها تنال درجات الشهيد العظيم

وعلى الرغم أن الأفكار الدينية والأئمة والشيوخ كان لهم دور مهم في المجتمع الأويغوري، وإن كان هناك مبالغة بذلك حسبما يظهر من كتابات الباحثين الغربيين الذين يعتبرون أنفسهم خبراء في شؤون الأويغور، حيث يعتقدون أن الثورات الكبيرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بدأت من قبل أتباع شيوخ المسلمين، مع أن وثائق الأويغور التي لم تنشر وهم شهود هذه الانقلابات تشير أنها بدأت من الفلاحين وفقراء المدن(2)، وأما اشتراك ممثلي

<sup>1</sup> - Pantusov, Obraztsy, pp.49-90

<sup>2</sup> - خلال هذه الثورات وخاصة الاضطرابات التي حدثت في عهد يعقوب بك هرب كثير من الناس إلى الأراضي الروسية، وقد سجل القياصر الموظفون والعلماء الروس كثيرا من الشهادات والحكايات الشخصية لهؤلاء

الطبقات الإسلامية الأستقرائية في تلك الانقلابات كان في وقت لاحق. وتتمثل تركة القازاق الثقافية الرئيسية في الفلكلور موسيقاهم، ويجتمع الاثنان في شعرهم الملحمي بالإضافة إلى أن هناك نوع من الأدب يعرف بـ (كتاب الأغاني) الذي يمثل في غالبه الصفة الدينية في نشر الإسلام.

وعلى عكس الأدب والفن اللفظي الأويغوري، فإن الفن الشعبي القازاقي عموماً اجتماعي يهتم بالمشاكل الاجتماعية للعشيرة أو القبيلة أو الشعب القزاق، ومن خلال أعمال العلماء الروس تم حفظ الكثير من الأساطير والأغاني والملاحم التي لاتخص الجماعات الرحالة فحسب، بل كل ما يخص الشعب القازاقي، وبعض هذه المقطوعات معروفة عند كل بدوي، وكثير من الملاحم لا تتصف بالوطنية إذ إنها انتقلت من جماعة لأخرى، وهكذا الكثير من الملاحم ذات الشهرة المشتركة بين القازاق والقيرغيز أو القازاق وأويرات.

القازاق شعب موسيقي تماماً في الأغاني والملاحم التي يغنيها المغنيون المتجولون، بصحبة آلة بدائية وترية تسمى دومبرا Dombra يمثل الجزء الأكبر من ميراثهم الشعبي.

وقد سجلت الأغاني كل ناحية من نواحي الحياة: الولادة والزواج والمعركة والفرح والحزن والموت، والكاتب القازاقي أباي كونانبايف Abai Kunanbaev في القرن التاسع عشر يصف أهمية الأغنية في حياة شعب القازاق في قصيدة يقول فيها:

الأغنية ستفتح لك باب العالم

الأغنية ستفتح لك باب الموت

استمع إليها يا أيها القازاق وانتهج حكمتها

---

المهاجرين، وجامعة قازان التي كانت قلب منطقة التتار الروسية مركزاً هاماً للدراسات التركية ومستودعاً عظيماً لمثل هذه الوثائق التي لم تدرس بعناية بعد الثورة البلشفية



## والأغنية تصاحب جميع حياتك (1)

ولانتشر الأغاني أو تغنيها الفرق المتجولة فقط، بل هي جزء من حياة الشعب اليومية، ولها دور بارز في احتفالات القازاق، وتكون مسابقات غنائية بين شخصين، وفي مثل هذه المبارزة فإن الكلمات والموسيقى تكونان تماما مرتجلين والفائز هو الذي يرتجل الأطول.

وأما الموضوعات المهمة فالأغاني المعدة للمناسبات مثل الزواج والتأبين التي تعطي فكرة محددة عن الحياة الثقافية والاجتماعية، فإن نصوصها وموسيقاها ثابتة بالمقارنة بالأغاني القازاقية الأخرى، وهكذا فإن أغنية الزفاف التقليدية يار يار Zhar Zhar تعكس بوضوح دور المرأة في المجتمع، وأكثر أغاني الزفاف درامية تقوم على الحوار بين مجموعة من الفتيات ومجموعة الشبان، فيذكرون العادات القديمة عن شراء العروس والزواج بدون رغبة أحدهما والميراث الذي فقدته الزوجة من الأسرة، ويطلب كورس الشباب المرح من الفتاة أن تسرع بالزواج، ويجب عليهم كورس الفتيات الحزين بتباك على فقدانهن الحرية.

وهناك أشكال أخرى مثل أغنية الوداع كوشتاسو Koshtasu وأغنية الأخبار الحزينة استيرتو Estirtu وأغنية الحداد زوكتاو Zhoktau، وأغاني الوداع متنوعة أكثر من الأغاني التقليدية الأخرى، وقد تكون على لسان والد أو والدة المتوفى، وتحكي الأسرة عن الأماني الأخيرة وألم الفراق والأحلام التي لم تتحقق، والنوع الآخر هي أغاني توديع الحبيب وتشمل توديع الأهل والوطن، وفي عهد التهجير الإجباري بسبب الاضطهاد الوحشي كانت هذه الأغاني واسعة الانتشار، ومثالها أغنية الوداع التي ألفها الشاعر المشهور اكين Akyn في القرن الثامن عشر بمناسبة التهجير الإجباري لجماعة من القازاق من أراضيهم الرعوية من قبل الجونغار.

تمشي القوافل من أعالي جبال قراتاو Kara Tau

<sup>1</sup> -Abdykalykov and Pankratova, op.cit., p.135

كم هو أليم أن نودع وطننا  
الدموع تجري من مآقينا السوداء  
في أي حال يجب أن نعيش... في حالات البؤس  
الدموع من مآقينا تشكل البحار والبحيرات  
يالها من حالات البؤس  
فالسعادة والرخاء تركتنا  
يتصاعد التراب من القافلة الهائمة  
أسوء من العواصف الثلجية في ديسمبر(1)

وتلعب القصص والأساطير دورا كبيرا بين القازاق مثل القبائل البدوية الأخرى، بينما تعكس قصص القازاق التأثير القوي للثقافات المجاورة وخاصة الليالي العربية، وتزخر القصص المحلية الكثير من السحر وحكايات الحيوانات، التي تشتهر بها بشكل خاص بسبب تعامل المجتمع القازاقي الرعوي بالحيوانات والبحث عن أفضل المراعي، ومثلا قصة زوبار Zhupar (2) التي تحكي قصة والدة إحدى الأسر العظيمة التي ابتعدت مع أطفالها عن بقية العشيرة وأصبحت فقيرة بسبب مجاعة القطيع.

والملمحة البطولية ذات أهمية خاصة بين البدو، وتتصل عادة بحوادث تاريخية حقيقية مثل سقوط خانبة قازاق شورا نازكوف Shora Narokov والحرب ضد القالموق اير تارغين خاصة بين البدو والمعارك مع الأوزبك كامبارا Kambara، ومؤلفو هذه الملاحم غير معروفين غالبا، ولكنها ذاعت وانتشرت مع شعراء الملاحم المتجولين زيرشي Zhyrshi (من زير Zhyr وتعني الأغنية وفي المصطلح القازاقي ملاحم)، ووزن الملمحة عادة سبع أو ثمان تفعيلات، ويختلف عدد أبيات مقطوعاتها، ولا توجد نغمة ثابتة، وينتج التكامل الموسيقي بالآلة ويقوم على تكرار النغمة وتثنية

<sup>1</sup> - Abdykalykov & Pankratova: op.cit., pp.170-171

<sup>2</sup> - Op.Cit., pp.140-141

الكلمة، وتعرف أكثر الأجزاء المسرحية إثارة هي السرعة والانفعال الشديد ( يلديريم Zheldirme سرعة الخيل ) (1).

ويبدو أن أصول معظم الملاحم قديمة، والحقيقة أن اصطلاح (قازاق) نادرا ما يحدث فيها، وأن الأبطال الذي يسمون نوغايلا (مهاجرون) الذين يعقدون المعاهدة يوجدون في معظم ملاحم القازاق وهم جزء من القبيلة الذهبية.

وملحمة اير تارغين Er Targyn البطولية(2)، التي تظهر قوة وشجاعة البطل النموذجي الذي تمكن بقوته ومهارته، وبقوة من الله أن يسحق جيوشا عظيمة وكثيرا من المخلوقات الشرسة، وخلص نفسه من معظم المواقف الحرجة، وتتمثل القصة أن بطلا هاربا من الخان التجأ إلى خان كريمين Crimean وساعد هذا الخان في هزيمة القالموق وقد وعده بتزويجه من ابنته، ولكنه نالها بعد مماتله طويلة بسبب شكه من وضعه الاجتماعي، وهذه الملحمة التي تصور مواقف بطولية تضم موضوعات غزلية مؤثرة طويلة، تظهر مدى هيام البطل بالعروس آق يونس.

وتختلف قصص الحب اختلافا كبيرا عن ملاحم البطولة، وتتناول في الغالب مواضيع رومانسية عن الحب والآمه، ومن أعظم هذه القصص شهرة مثل: روميو وجوليت، قصة كوزي كوربش وبيان سلو Kozy Korpesh & Bayan Slu التي توجد في الأدب الشعبي الأويغوري بعنوان: تاجي باشا وزهره خانم Taji Pasaha and Zora Khanim (3) وتوجد بين الأويرات بعنوان: كيوزيوك Kioziuk وتدور قصتها بين عاشقين تواعد أبواهما على تزويجهما من قبل أن يولدا، ومع ذلك مع موت والد كوزي كوربش

<sup>1</sup> - L.S. Sobolev, Pesni stepio , Moscow 1940 ,pp.12-13

<sup>2</sup> - Radlov, op.cit.III, pp.153-205

<sup>3</sup> - Radlov.op. Ciot. VI, pp.236 ff; A.S. Orlov, The Kazakh Heroic Epos. Moscow- Leningrad 1945, p.5 (in Russian)

ينقض والد بايان سلو وعده ويرفض تزويج ابنته من اليتيم، ولم يتمكن الحبيبان من الزواج، وعاشا في الاضطهاد والشقاء، وماتا ونمت على قبرهما شجرتين من الورد معا مثل الورد التي نمت على قبري باربار الن .Barbar Alen.

وفي القرن التاسع عشر عندما كان القازاق يحاربون من أجل استقلالهم في سلسلة من الثورات ضد الروس كانت أغانيهم الدعاء لإثارة الشعور القومي، وأصبح كثير من الشعراء المشهورين زعماء سياسيين، ومن هذه الفترة نجد سلسلة كاملة من الأغاني تصور نضالهم بجميع أشكالها.

ومع احتكاكهم بالروس وخاصة بالمنفيين منهم القادمين إلى سهوب القازاق، تطورت ثقافتهم بصرف النظر عن السياسة الروسية التي عملت على طمس وطنيتهم وترويسهم، وشهدت هذه الفترة نموا هائلا في الأدب المكتوب ليس بالمواضيع القازاقية فحسب، بل في مواضيع تعكس تأثير الأدب الروسي، وبالتالي التأثير الغربي عموما، ومع النظام السوفياتي وبرامجه على تطوير ثقافة الأقليات القومية، طور القازاق على الجانب الآخر من الحدود السوفياتية أدبا جديدا مزدهرا لا يقوم على الأشكال القازاقية التقليدية من الشعر اللفظي، بل على أشكال الأدب الغربي، مثل: الرواية والقصة القصيرة والمسرحية، مما ساعد على الارتفاع السريع في نسبة المتعلمين وتعرفهم على الأدب الحديث، وقد عالجت الأفكار الجديدة حوادث مستجدة، مثل: الحروب الأهلية والخطة الخمسية وبناء المجتمع الاشتراكي والحرب ضد ألمانيا النازية.

وبغض النظر عن وجود مجموعة نصوص لدى قازاق سنكيانغ، لكن الثورات الاجتماعية والوطنية بين القازاق في الجانب الروسي كانت ذات أثر كبير على الفن اللفظي عند قازاق سنكيانغ، وخاصة أن الحدود الروسية- الصينية لم تكن تمثل حاجزا فاصلا يعيق حركات القبائل بين الجانبين.

ميراث القيرغيز الثقافي الرئيس مثل القازاق يتمثل في الفن اللفظي وذوقهم الرفيع في الموسيقى، ولكن شعر الملحمة كان

متطورا أكثر، وكثير من القصص الوطنية والأساطير والروايات البطولية دمجها القيرغيز في ملحمة وطنية طويلة، وقد سجلت حديثا من طرف علماء البشريات والأدب الشعبي الروسي، والملحمة الوطنية مناس Manas(1)، وهي تعالج بشكل رئيسي كفاح القيرغيز ضد القالموق في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقد تم تصويرها كأنها معركة دينية إسلامية للمؤمنين ضد الكفار، وتعطي صورة واضحة عن حياة وعادات القيرغيز مع وصف المعارك وحياة الأسرة واحتفالات الزواج والحداد والولائم، وهي على حد قول رادلوف Radlov في القرن التاسع عشر وعلماء الروس المعاصرين مازالت حية بين الشعب القيرغيزي، وإن كل فرد من القيرغيز يستطيع أن يسرد أجزاء منها.

ومنذ الثورة الروسية طور القيرغيز السوفيات نوعا جديدا من الأدب يتناول الأشكال الغربية من الرواية والمسرحية، بالإضافة إلى استعمالهم الأشكال الشعرية والملحمية التقليدية القديمة.

<sup>1</sup> - وأحدث وأكمل ترجمة روسية لها أعدها:

## الملحق الثالث

### الحدود العالمية... ملتقى بامير

في سنوات السباق الأنجلو - الروسي كما جاء في الفصل الثاني كان موضوع تلاقي التوسع البريطاني والروسي مشكلة مثيرة، ولكن في عام 1895م وضعت خطة على تحسين العلاقات بين روسيا وبريطانيا، وتشكلت بعثة حدود بامير لتخطيط الحدود المشتركة المعترفة، وتكونت بعثة روسية بقيادة الجنرال شفيكوفسكي Shveikovskii الذي قام بمسح الناحية الشمالية، وبعثة بريطانية بقيادة الجنرال جيرارد Gerard الذي قام بمسح الناحية الجنوبية، ثم التقت البعثتان عند بحيرة فيكتوريا: (ومن هذه النقطة إلى الشرق تم تعيين الخط الفاصل بين المصالح البريطانية والروسية في مرتفعات آسيا). وهذا مقتبس من دائرة المعارف البريطانية، الطبعة الحادية عشر 1911م، بقلم سير توماس هـ. هولدتش Sir Thomas H. Holdich المعروف باسم الكونيل هولدتش العضو البارز في بعثة بامير البريطانية عام 1895م.

والمصادر التالية مهمة لوصف الحدود القائمة:

تقرير محاضر هيئة حدود بامير كلكتا 1897م، مع فصول بقلم الجنرال جيرارد والكونيل هولدتش واللفت كونيل وهاب وآخرين.

**Report of proceedings of the Pamir Boundary commission, Calcutta 1897 with Chapters by Maj.Gen. Gerard Col.Holdich, Lt. Col.Wahab and others.**

مناطق الحدود الهندية بقلم توماس هـ. هولدتش، لندن 1901م.

**The Indian Borderland by T.H. Holdich,  
London 1901**

مادة بامير بقلم ت. هـ. هـ. (السير هـ. هولدتش) في دائرة المعارف البريطانية، الطبعة 11. كمبردج- نيويورك 1911م.

العلاقات الأنجلو-الروسية الخاصة بأفغانستان 1837-1907م، بقلم وليم هابرتون، اوربانا، ايللينوس 1937م.

**Anglo-Russian Relations Concerning  
Afghanistan 1837—1907 By William Habberton,  
Urbana, Illinois 1937**

البامير ومنبع اوكسوس بقلم غ.ن. كورزون، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية. المجلد الثامن، لندن 1896م.

**The Pamirs and the Sources of the Oxus, By  
G.N. Curzon, Journal of Royal Geographical  
Society, Vol. VIII, London 1891**

ونتج عن المسح الأنجلو-الروسي اتفاق بين الحكومتين بريطاني العظمى وروسيا القيصرية بشأن مناطق نفوذ الدولتين في منطقة بامير عام 1895م، والفقرات الرئيسية من كتاب هابرتون (الملحق الثالث الصفحات 91-92) كالآتي:

عقد اتفاق بين حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وحكومة صاحب الجلالة إمبراطور روسيا، على عدم ممارسة التأثير السياسي أو التحكم - الأول إلى شمال الحدود المعين والآخر إلى جنوب الحدود المخطط.

وافقت حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا بأن الأراضي الواقعة ضمن مجال النفوذ البريطاني بين هندكوش والخط الواصل بين شرق بحيرة فيكتوريا إلى الحدود الصينية، ستشكل جزءاً من مملكة بامير أفغانستان، ولن تلحق ببريطانيا العظمى، ولن يكون بها مراكز عسكرية أو قواعد.

وفي كتاب مناطق الحدود الهندية يصف هولدتش **Holdich** وإن كان بصفة غير رسمية إلا أنه بشكل موثوق تأثير ذلك الاتفاق.

أوجد حاجزا بيننا وبين روسيا، ولم يكن حاجزا إلزاميا - مادام هذا ذراعا يمتد لأفغانستان، يتصل بالصين مع أنامل لا تتجاوز عرضها عن ثمانية أميال، ويمكن عبورها بتحريك بسيط، ولم تشارك أفغانستان أو الصين فيها على الرغم من أن مصالحهما قد تأثرت من هذا المسح الهام وتعيين الحدود، مع الاعتبار أن أفغانستان قبلت ضميا أكثر من صراحتها بالحصول على دهليز يصلها بالصين.

وأشار هولدتش في مقاله في دائرة المعارف البريطانية أن جميع رؤوس بامير الصغيرة مع وادي واخان أصبحت بالتالي أراضي أفغانية، ولكن لم تقام عليها مراكز عسكرية فيها حتى الآن، ومن ناحية أخرى مارست أفغانستان سيادتها على هذه الأراضي، وهكذا السير اورال شتاين **Sir Aurel Stien** في كتابه آثار صحراء كاثاي **Ruins of Desert Cathay** (مجلدان، لندن 1912م) في صفحات 63-85 من المجلد الثاني يصف كيف رافقته موكبة الحرس عن الأقليم في عام 1906م، وقد جاء من طرف خفر الحدود الأفغانية خصيصا لهذا الغرض، وذكر أن السلطات الأفغانية كانت تجمع الضرائب السنوية من القيرغيز في بامير.

ويمكن تلخيص أثر معاهدة عام 1895م عندما نقول أنه اتفاق أنجلو- روسي أصلا، وأن من أعظم نتائجها وجود حدود دقيقة لم تتوسع روسيا خلفها نحو الهند، واكتملت هذه النتيجة بإيجاد قطاع جديد من الحدود الأفغانية-الروسية برسم خط من الأراضي الأفغانية المعترفة بها سابقا إلى نقطة اعترفت بريطانيا وروسيا أنها حدود صينية.

ولم يخلق هذا العمل من تعيين الحدود حاجزا بين بريطانيا وروسيا، ولكنها جعلت خطأ فاصلا فقط بين الأراضي الأفغانية والروسية، وتم إيجاد الحاجز نتيجة اتفاق آخر مع بريطانيا؛ للاعتراف بأن الأراضي الأفغانية ضمن مجال النفوذ البريطاني بين هندكوش الخط السائر من الطرف الشرقي لبحيرة فيكتوريا إلى



## الحدود الصينية.

وحافظ الروس القياصرة والشيوعيون بثبات على حدود 1895م، مادامت تحقق مصالحهم والمصالح البريطانية، كما حافظ البريطانيون عليها حتى نهاية حكمهم في الهند، ولم تكن لهم اتصال مع الروس عبر هذا الحاجز، وأظهر الأفغان رضاهم على هذا الوضع، والمسألة الوحيدة التي مازالت مفتوحة هي مشكلة الحدود الصينية في منطقة بامير.

ونتيجة تسوية عام 1895م والنشاط النسبي لهذا الحاجز الأفغاني بين الأراضي البريطانية والروسية يمكن تخطيطها كالاتي:

مع أن تخطيط هذا الحاجز كان من عهد الاتفاق الأنجلو - الروسي في عام 1895م، لكن استقرار حدود بامير المعقد لم يعتمد فقط على هذا الاتفاق ورضى الأفغان به، حيث إن كل دولة لها حدود مع الصين تعتمد على الرضى الروسي-الصيني، والأفغاني-الصيني، والأنجلو- الصيني، فمثلا إذا توسع الروس أو البريطانيون إلى الأراضي الصينية يعني انتهاء الحاجز الأفغاني، فالشريط الأرض الأفغاني يفقد دوره الحاجز، وتكون الحدود الروسية البريطانية على احتكاك مباشر.

وفي هذا السياق من المفيد التذكير بأن التركة البريطانية

وبامير كانت من نصيب وريثين هما باكستان والاتحاد الهندي، ويتنافس هذان الوريثان على كشمير بالإضافة إلى محميات قبلية صغيرة مثل جلعيت وهونزا وناغار في أعالي هندوكوش، وهكذا حدود بامير أوجد ثغرة جديدة في منطقة الحدود بين الاتحاد الهندي وباكستان والصين.

وفي أيام التسوية الأنجلو- الروسية في عام 1895م كانت الصين دولة ضعيفة فتجنبت الالتزام، وكانت السياسية الصينية حينذاك وبعدها تتجنب بقدر الإمكان الإصرار على الحقوق الصينية مع القوى العظمى، وفي نفس الوقت تحاول الاحتفاظ ببعض الحقوق التقليدية في السيادة والتحكم في غرب وجنوب سنكيانغ، ومثال ذلك حقوق السيادة بصرف النظر عن الحكم، واستمرت في جمع الجزية من هونزا، بينما الحقيقة أن قوات كشمير بقيادة الضباط البريطانيين احتلتها، واستمر أمير هونزا أن يرسل الجزية مع الهدايا تفوق قيمتها عن الجزية نفسها.

وقد سمح البريطانيون من جانبهم استمرار هذه العادة القديمة التي استمرت إلى سنوات 1922-1924م، على لسان س.ب. اسكرين C.P>Skrine الذي كان القنصل البريطاني في سنكيانغ، في كتابه آسيا الوسطى الصينية<sup>(1)</sup>، وفي نفس الوقت كان أمير هونزا لا يرعى من جانبه فقط الحقوق الرعوية لقبائل هونزا في البامير، بل بحق جمع أجور الرعاة الآخرين الذين يرعون مواشيهم في بعض تلك الأراضي، وقد انتهكت هذه الحقوق التقليدية التي عرفت بالمرتفعات الرعوية في ساري كول من السلطات الصينية في سنكيانغ في عام 1936م، عندما تم القبض على رجلين من رجال أمير هونزا في ساري كول مع ثلاثمائة رأس غنم<sup>(2)</sup>، وبناء على ما ذكر فالحدود الباميرية بين

<sup>1</sup> - C.P. Skrine, Chinese Central Asia, London 1926, p.21

<sup>2</sup> - K.P.S. Menon, Delhi-Chungking, Bombay, London 1947 pp.28-31

الإمبرطورية القديمة في الهند والأراضي الصينية في سنكيانغ يجب أن تسمى (حدود غير مستقرة).

فالمناطق التي كانت ضمن الأراضي البريطانية وقعت منها جيلجيت وهونزا وناغار التي كانت ضمن كشمير تحت حكم باكستان، بينما أصبحت كشمير منطقة نزاع بين باكستان والاتحاد الهندي، وفي هذا الجو غير المستقر صارت الحدود المشتركة مع الصين وخاصة مع روسيا أكثر إثارة، وذات حساسية كبيرة، وطرق القوافل ضيقة جداً، ولا تسمح بمرور إلا عربات صغيرة جداً، كما أن المنطقة قاحلة بحيث لا يمكن حركة مجموعات كبيرة من الجند، أو إنشاء قواعد عسكرية، ولكن مع الوضع القديم للخرائط البريطانية التي تشير على عدم الاحتكاك بين الحدود الهندية البريطانية والأراضي الروسية، ولكن من خرائط الصحف تظهر حدود مشتركة بين الأراضي التي تدعي ملكيتها باكستان (أو الاتحاد الهندي) والسوفيات في البامير.

ويمكن تتبع تاريخ الاضطرابات في المنطقة جزئياً من حيث الحدود البريطانية الهندية- سنكيانغ، وبين الحدود الروسية- الصينية، أو الحدود الأفغانية- الصينية، وخلال فترة وجيزة لم يوجد سجل رسمي عن قبول الصين بالحدود الروسية - الصينية، والأفغانية- الصينية، حتى بعد التسوية الأنجلو- الروسية في عام 1895م كما لم يسجل أي نزاع.

وفي عام 1895م ظهر موقف بريطاني يقول أن ساري كول وتاغ دومباش Taghdumbash من بامير، وإن كانت تخص أحداً في العالم فإنهما تخصان الصين، وفي تقرير هيئة بامير في الفصل الرابع "تقرير عن المسح" بقلم اللفت كونيل ر.ه. وهاب Lt.Col. R.H. Wahab في صفحة 49 تظهر الفقرة التالية:

بالإضافة إلى الرغبة في تحسين معرفتنا بالمنطقة، ومن المهم أولاً أن نؤكد أن المنطقة التي تمتد فيها الحدود الصينية

معرفة بها فعلا، وتحقق الحدود بالاندفاع نحو الشرق حتى نصل إلى العلامات التي تركها الكولونيل هولدتش والميجر وهاب مع مساحين المعسكر في الرابع من سبامبر 1895م، وعبروا ممر بايك Payik في الخامس منه ووصلوا نهر تاغ دومباش Taghdumbash الفرع الرئيس لنهر ياركند في السادس منه، فوجدوا قاعدة عسكرية صينية تتكون من جنود أربع، وفي السابع اتجه الكولونيل هولدتش مع السيد ماكارتي Macartiny نحو الشرق عبر الوادي إلى تاشقورغان، بينما توجه الميجر وهاب غربا إلى تاغ دومباش بامير، ولم يلاحظ علامات الاحتلال الصيني في هذا الاتجاه مع أن خيام قبائل القيرغيز كانت موجودة على مسافة قريبة من الوادي، الذي كان معترف بتبعيته الصينية.

ويبدو منطقيا من خلال قراءة هذا النص الاستعداد البريطاني في ذلك الوقت بقبول الادعاء الصيني لكامل تاغ دومباش بامير، ومن طرف آخر استعد البريطانيون في ذلك الوقت أيضا الاعتراف بسيطرة الروس على القيرغيز في تاغ دومباش بامير غرب المعسكر الصيني الصغير، الذي ذكره الميجر وهاب، والنص يدعم هذا الرأي كما يظهر في الفصل الرابع من تقرير الكولونيل هولدتش " الوصف الجغرافي العام لبامير في صفحة 39، حيث يقرر هولدتش أن الشعب القبلي: هو تمام القيرغيز، واعتقد من الأمر المسلم أن المنطقة ستكون روسية كلية، وما قابلناهم من مجموع السكان غير الروس من القيرغيز لا يتجاوز بضعة مئات، ومن المشكوك اتجاه هذه الجماعة نحو قبول السيادة الصينية مع أنهم يعيشون في الأراضي الصينية، ولا يباليون بالضرائب المباشرة، وجلود بعض الحيوانات المفترسة التي يقتلها رجالهم الصيادون تشكل الجزية الرئيسة التي تطلبها السلطات الصينية في تاشقورغان، ولكن جودة الحياة والأملاك تجذبهم بشكل كبير إلى الحظيرة الروسية، وخاصة لا توجد فوارق بشرية بين قيرغيز اليجور أو قيرغيز الاي بامير وقيرغيز تاغ دومباش، ويبدو أن هناك بعض الأدوار التاريخية عن علاقة القيرغيز بالمسيحية كما

يبدو من بقايا مجتمعات مسيحية نسطورية من العصور الوسطى في آسيا.

والفقرة الخامسة من معاهدة بامير التي ستذكر هنا يجب مقارنتها بالنصوص السابقة: في هذه الفقرة تعهدت بريطانيا أن الأراضي الواقعة بين مجال النفوذ البريطاني وهندوكوش والخط الفاصل من الطرف الشرقي لبحيرة فيكتوريا حتى الحدود الصينية تشكل جزءا من أراضي أمير أفغانستان.

ولاتقرر هذه الكلمات ذلك بصراحة، ولكن يجيز الإنتاج في النظرة البريطانية أن جنوب الحدود الروسية وشمال الحدود البريطانية أراض صينية إذا لم تكن أفغانية، والاستنتاج مدعم بخريطة الهند ما بين صفحتي 376-377 من المجلد الرابع عشر من دائرة المعارف البريطانية الطبعة الحادية عشرة 1911م، حيث الحدود المرسومة بوضوح تأكد أن كل من تاغ دومباش بمير منطقة صينية، حتى ممر كيليك Killik ومع ذلك بالمقارنة لهذه الخريطة نجد نص مقال السير توماس هولدتش في المجلد العشرين من الطبعة نفسها من دائرة المعارف البريطانية التي يسمي فيها أماكن بامير الروسية المعترفة بها ولايذكر تاغ دومباش بامير في تعدادها، ومع هذا الإهمال لا يحددها للصين أو يدعيها لبريطانيا، علاوة على ذلك فإن هولدتش مسؤول عن تناقض كلماته الالفت، على الرغم أنه قال في كتابه (مناطق الحدود الهندية Indian Borderland): إن تعيين الحدود الأنجلو-الروسية أوجد حاجزا بيننا وبين الروس، وكتب أيضا نصوصا مماثلة تقريبا في كتابه المذكور، وفي قصة الحوادث التي ساهمت في فصله الثاني، وكتب تقريرا رسميا عن حدود بامير ذكر: (الاتصال الثلاثي للإمبراطوريات الثلاثة العظمى بريطانيا وروسيا والصين، بدون أن يذكر أفغانستان، وإذا كان الغرض من إيجاد الحاجز الأفغاني هو منع التقاء الحدود البريطانية والروسية، عنئذ كيف يكون التقاء ثلاثيا لبريطانيا

وروسيا والصين؟ وقد انتقد هابرتون Habberton في الفصل الخامس من كتابه العلاقات الأنجلو الروسية بنجاح في تناقض كلمات هولدتش.

ومع عدم توفر مصدر رسمي عن هذا الموضوع يبدو أنه من الممكن وضع تفسير منطقي له من خلال هيئة حدود بامير، حققت بريطانيا هدفا رئيسيا: ضمنت تأكيدا روسيا بعدم التوسع خلف الحدود، وزال الاحتكاك الأنجلو الروسي، وظهر التأكيد على الحاجز بين الأراضي البريطانية والروسية أكثر من الاهتمام من إتمام الحدود بين روسيا وبريطانيا، وطبقا لهذا أكدت الخرائط البريطانية التقاء الأراضي الأفغانية والصينية التي تفصل بين بريطانيا وروسيا.

ومن طرف آخر لم توجد رغبة في تحديد رسمي للحدود البريطانية والصينية في هذه المنطقة؛ لعدم الاحتياج إلى تحديد كتابي، خاصة أن الصين لها مناطقها الخاصة المعترفة بها ضميا.

وهذه الفرضية مدعومة بواقعية الخرائط البريطانية التي استمرت تخطط رسم التقاء الأراضي الأفغانية والصينية حتى الثورة الروسية، وإلى وقت متأخر من عام 1920م، وفي الواقع فإن الخريطة الملحقة في كتاب (عبر صحاري وواحات آسيا الوسطى *Through Deser and Oases of Central Asia* by Ella Sykes and Sir Percy Sykes) وكان السير برسي سيكس القنصل البريطاني العام في كاشغر في عام 1915م، ظهر الحاجز كأنه حاجز أفغاني صيني، ولكن سي. ب. سكارين C.P. Skrine الذي كان القنصل البريطاني في كاشغر عام 1926م، فالخريطة الملحقة بكتابه (آسيا الوسطى الصينية *Chinese Central Asia*) لم تظهر الحدود الأفغانية الصينية، بل تركت للاستنتاج أن الأراضي البريطانية ممتدة حول نهاية الحاجز الأفغاني ومتصلة بالحدود الروسية.

وبالمماثلة مع توضيح خاص جددت الخريظ التي ألحقت في

كتاب (ما بين الاوكسوس والاندوس Between the Oxus and the Indus المطبوع في لندن 1935م) الذي كتبه الكولونيل ر.سي. أف شومبرغ Col.R.C.F.Schomberg الذي جال في سنكيانغ وبامير بشكل واسع وكثيف، وجعل بدون أخطاء الأراضي البريطانية ممتدة حول نهاية الحاجز الأفغاني، وظهر الاتصال الثلاثي لبريطانيا وأفغانستان وروسيا بدلا من بريطانيا وروسيا والصين.

مع مواصلة الفرضية أكثر لعل من المحتمل أن هذا التغيير لا يعكس فقط التحول من الصداقة بين بريطانيا والنظام الروسي القيصري القديم إلى العداة والشكوك بين بريطانيا والنظام السوفياتي الجديد، ولكن يظهر تزايد الاهتمام البريطاني بالحكم الصيني المضطرب والمتدهور في سنكيانغ، ولا يبدو أن بريطانيا مع تغيير الاستعمال في الخرائط تستعد دبلوماسيا لمواجهة التوسع السوفياتي في سنكيانغ، أو قدوم نظام يكون أكثر ميلا مع النظام السوفيات يتعارض مع مصالحها، ولعل من الأفضل لبريطانيا أن تكون لها حدود قوية بالاتصال المباشر بالأراضي الروسية، بدلا من أن تحاول دعم نظام ضعيف أو نظام صيني عدائي يفصل بين الأراضي البريطانية والروسية.

والبحث الآن في الموضوع غير قائم؛ لأن اتساع الحكم البريطاني في الإمبراطورية الهندية قد زال الآن بزوال الحكم البريطاني منها، ولكنها تركت ميراثا متنازعا عليه، بين كل من باكستان والهند؛ لرسم الحدود الجديدة بينهما، والمطالب التي ستحاول الدولتان عمله عندما تكون مسألة تحديد حدودهما رسميا مع الصين.

وعن النزاع بين الهند وباكستان حول كشمير ينظر كتاب: أليس ثورتر: مشكلة كشمير، في مجلة الشرق الأوسط، واشنطن، دي.سي. المجلد الثالث، يناير- أبريل 1949م.

Alice Thorner: The Kashmir Conflict,

## الملحق الرابع

### سنكيانغ... وأول قرض أجنبي

وكان موضوع أول قرض أجنبي إلى الصين تناوله مجموعة من الكتاب حتى عام 1914م، وقبل هذا التاريخ كتب فالنتاين جيرول Valentine CheroL (مدير القسم الأجنبي في جريدة



تاييمز اللندنية) تقريراً واضحاً تماماً في دائرة المعارف البريطانية الحادية عشرة، كمبردج 1911م، المجلد السادس، الصفحة 200: أن القرض الصيني الأول كان لتمويل الغزو العسكري لشمال الغرب بقيادة تسوتسون تانغ Tso Tsung-tang، ويبدو أن تأكيد جيروول كان بناءً على تقريره الخاص في ملحق المجلد الثالث صفحة 31 للطبعة العاشرة من الدائرة نفسها لندن في عام 1902م، ومع ذلك فإن أس.أر. واغل. S.R.Wagel في كتابه الرائد: المالية في الصين Finance in China المطبوع في شنغهاي 1914م ذكر: أن التقرير السخيف بأن القرض الصيني الأجنبي الأول كان قد بدء التفاوض عليه عام 1865م عندما اقترضت مبالغ من روسيا؛ لتجهيز قوة عسكرية إلى إيلي، وقد تناول رأي واغل بعد سنوات تشياشييه Chia Shih-yi في كتابه المفصل: التاريخ المالي للجمهورية Financial; History of the Republic المطبوع بالصينية في شنغهاي عام 1916م في صفحة 1070 حيث قال: يلاحظ أن القرض الذي بدء التفاوض عليه في عام 1865م إنما كان لدفع تعويض روسيا بموجب اتفاق معاهدة إيلي، وكان استنتاج تشيا Chia مقبولاً لدى د.ك.ليو D.K.Lieu في كتابه صفحة 13: الاستثمارات الأجنبية في الصين Foreign Investments in China المطبوع في شنغهاي 1929م، وكذلك عند أ. غ. كونز A.G.Coons في كتابه القروض الأجنبية العامة للصين Foreign Poublic Debit of China المطبوع في فيلادلفيا 1930م، وأيضاً عند أي. سي.اف. ريمر I.C.F.Remer في كتابه الاستثمارات الأجنبية في الصين Foreign Investments in China المطبوع في نيويورك عام 1933م، الذي نهج ببساطة ممنهج ليو Lieu.

وهكذا كان رأي واغل وتشيا مقبولاً، والحقيقة الأولى التي ينبغي ملاحظتها أنه لم توجد معاهدة عام 1865م بين الصين وروسيا، لا بالصينية ولا الروسية، أو في المجموعات الإنجليزية

في هذا الموضوع، ولا في السجلات الأولية الرسمية للإمبراطورية المانشورية، وقد كانت معاهدة سانت بتروسبورغ في عام 1881م التي تمت بين الصين وروسيا، وأعدت بموجبها روسيا منطقة إيلي إلى الصين، وعلى هذا دفعت الصين تعويضا قدره 1 431 664 جنيه إلى روسيا، وهذا المبلغ المضبوط الذي أكدته تشيا وليو أن الصين اقترضته في عام 1865م، ولكن يبدو أن هؤلاء وغيرهما من الكتاب نسبوا ما حدث في عام 1881م، إلى عام 1865م، ومن الأدلة الرئيسة الوجودية يمكن الافتراض أن قرض الصين الأول كان فيما بين 1867-1868م، كان من التجار الأجانب في شنغهاي (واي شانغ Wai Shang ) لتمويل بعثة تسوتسونغ تانغ TsoTsung-tang العسكرية لشمال غرب الصين.

ويوجد الدليل على هذا في السجلات الرسمية لعهد تشينغ Ching ويحتوي شيه لو Shih Lu على تفويض بتاريخ 30 يناير 1868م، يخول تسوتسونغ تانغ على اقتراض مليون تيله من التجار الأجانب (واي شانغ) بضمانة الرسوم الجمركية البحرية، كما يخوله في نفس الوقت الحصول على مليون تيله من المدفوعات الجمركية.

والنص في هذا الموضوع كالاتي:

كان تسوتسونغ تانغ قد قدم طلبا في السابق لأخذ قرض من التجار الأجانب، ولكن مكتب الشؤون الخارجية عارضه؛ لأن الفوائد المطلوبة كانت عالية جدا، واقترح المكتب أن مبلغ تسو المطلوب يمكن الحصول عليه من مصدرين:

1- نصفه من التعرفة الجمركية.

2- النصف الآخر قروض من التجار الأجانب، الذين يمكن مفاوضتهم من طرف الجمارك المحلية المختلفة.

وكانت هذه الخطة محل الرضى والاهتمام، وكلف تسنغ كوفان Tseng kuo-fan لإيجاد مليون تيله من الجمارك وتحويله حالا إلى

تسوتسونغ تانغ للأعراض العسكرية.

وأما مليون تيله الآخر تقوم المكاتب الجمركية المختلفة في البلاد بإصدار سحبوات إلى هو كوانغ- يونغ Hu Kuang -yung وبنغ باو شيه Ying Pao=shih على التفاوض مع التجار الأجانب، وأن المليونين تيله ستدفع من أموال تساهم بها مختلف المقاطعات لغرض قمع الثورة.

السجلات الحقيقية لعائلة تشنغ Taa Ching Shih lu 3 يناير 1868م.

وفي كتاب تسوتسونغ تانغ يوجد رأي مخالف نوعا لباليس Bales عن الوساطة البريطانية، وبعض المواد الجديدة المعتدة على نين بو Nien Pu في المجلد الثالث ( لا يوجد الكتاب في مكتبة الكونغرس) W.L.Bales: Tso Tsung-tang ,Shanghai 1937.

لذا قد يكون من الأفضل سرد رأيه هنا:

قدم الوزير البريطاني في بكين السير توماس وايد ir Thomas Wade إلى تسونغ لي يامين Tsung li Yamen اقتراحا، بأن يقوم يعقوب بك بالاستسلام إذا رضيت الصين ببقاء دولته تحت سيطرتها، ولكن الحكومة قابلت هذا الاقتراح ببرودة، كما أن السير توماس لم يؤكد على ذلك كثيرا، ونقل الخبر إلى تسو، وفي رسالة له إلى تسنغ بوان فو Tseng Yuan-fu قال تسو:

بالأمس تسلمت رسالة من تسونغ لي يامين Tsung li yamen يقول: إن السير توماس وايد كلف بترتيب استسلام يعقوب بك، وإذا كانت بريطانيا قدمت هذا الاقتراح فلا بد أن هناك بعض الأسباب، فدعونا نفحص الظروف، عندما رغبت الاقتراض ببعض الأموال من شنغهاي فالحكومة البريطانية لم تقرضني شيئا (الهامش 6: ملاحظة تسو هذه توضح الاحتياج إلى استثمار أكثر للقروض الأجنبية في الصين في هذه الفترة)، وظهرت جريدة شنغهاي تقول: إن غزو

سنكيانغ فاشلة بجميع الوسائل، ونشرت الجريدة تقول: إن الجيش سيهزم، وسيعود من ممر شياو هذه الأشياء تلقي بعض الضوء على الاقتراح البريطاني<sup>(1)</sup>.

وقال أحد المحللين أن الحكومة البريطانية درست الموضوع مع الوزير الصيني في لندن كو سونغ تاو Kuo Sung-tao وشرحت له بأن من الأفضل على الصين إقامة دولة مسلمة في وسط آسيا.

واستخلص أن مملكة كاشغريا ستكون مثالا لهذا الغرض، ويبدو أن كوسونغ تاو استحسنت الفكرة، ولكن عندما عرض الأمر على تسو استشاط غضبا، وأخبر تسونغ لي يامين Tsung Li yamen أن موضوع يعقوب بك ما هو إلا مسألة داخلية بحتة، وأن إنجلترا ولا غيرها لها حق التدخل فيه، وإذا أراد يعقوب بك الاستسلام فعليه أن يأتي إلى سوجو Suchow حيث سيعامل على أنه أحد الثائرين على السلطة الصينية، وأن هذه المسألة خارجة تماما عن تسونغ لي يامين، وأن الموضوع يخصه شخصا فقط، وإذا أرادت إنجلترا إنشاء دولة إسلامية في آسيا الوسطى، فعليها أن تمدده بالأراضي الشاسعة في شمال الهند<sup>(2)</sup>.

## الملحق الخامس

### مناطق سنكيانغ

يقع الشكل الطبيعي لسنكيانغ في ستة أقسام، بدءا من

<sup>1</sup> - Nien Pu vol.III, p.17

<sup>2</sup> - Nien Pu, Vol.III, pp.18-27 & Bales pp.360-361

الشمال إلى الجنوب، وقد وصفه الدكتور اس تينغ S.Ting من أكاديمية سينيكا Sinica بالآتي:

1- المرتفعات الشمالية: وتشكل الحافة الشمالية لجونغاريا، ويبلغ ارتفاع معظم هذه المناطق 5000 قدم، كما يبلغ ارتفاع بعض قممها 13000 قدم في سلسلة جبال التاي العظيمة، التي تكوّن معظم الحدود مع جمهورية منغوليا الشعبية، وهناك منطقتان هما: هضبة بورغون والأخرى وادي قرا ايرتيش المغمور بينها وبين التاي، وتصب مياه ايرتيش في اوب الذي يقطع سيبيريا إلى المحيط المتجمد الشمالي، ولا يوجد نهر غيره من سنكيانغ يصل المحيط، وجميع الأنهار تتلاشى في الداخل في الصحراء أو في البحيرات المالحة.

2- هضبة جونغاريا: وتقع على ارتفاع يتراوح من 600 إلى 1500 قدم، وتضم منطقتين فرعيتين هما: هضبة مناس وسهل جينغو Chingho، ويطل عليهما من الجنوب قمم جبال تيان شان الثلجية، وعلى أي حال لا يمكن رؤيتها غالبا؛ بسبب الضباب الذي يغطي الأراضي المنخفضة، ويجري نهر مناس بشكل متقطع، كما يخرج من الجبال ويغذي مناطق شاسعة من المستنقعات، وفي سهل جينغو تلتقي الأنهار الثلاثة: جنغ وكور وبورتالا؛ لتكوّن بحيرة أبي نور المنعزلة على ارتفاع 700 قدم، وكانت شواطئها القديمة على ارتفاع 300 قدم مما هي الآن، ويوجد في السهل

حولها المستنقعات والكثبان الرملية.

3- سلسلة جبال تيان شان: ذاتها تشكل منطقة مستقلة وتشغل ربع مساحة سنكيانغ، وتمتد قممها المتوجة بالثلج لمئات الأميال، وتبلغ أعلى قمة فيها- وهي خان تنغري (ملك السماء)- أكثر من 23000 قدم، وتحتها يرتفع جبل موزرات الثلجي العظيم، التي تطل عليه صخور رائعة من الرخام، وتوجد على سفوح سلسلة الجنوبية الرئيسية غابات عميقة خضراء ومروج غناء، بينما السفوح الشمالية جافة وقاحلة، وتخترق شعاب الجبال الطرق الرئيسية من جونغاريا إلى شمال حوض تاريم في الجنوب، ويقع في الطرف الجنوب الغربي وادي إيلى أو سهل غولجه الذي يرتفع 2800 قدم، وتعدّ هذه المنطقة من أغنى مناطق سنكيانغ؛ لسقوط الأمطار عشر بوصات في السنة، ومن المناطق الفرعية منخفض تورفان، الذي يقع بين ظلال قمم الجبال التي ترتفع تقريبا 2000 قدم، والمنخفض ينخفض فجأة إلى ما يقرب من 1000 قدم تحت سطح البحر، وهنا حوض باركول وسهل اوج تورفان، ومع أن حوض باي ضمه بعض الجغرافيين إلى حوض تاريم إلا أن الدكتور تنغ Ting ضمه إلى تيان شان؛ بسبب تكوينه الجيولوجي.

4- حوض تاريم: يعتمد على نظام المناطق المتركرة، وتكون حافة الحوض تيان شان الشمالي وكون لونغفي الجنوب و بامير والآي في الغرب والشمال الغربي، وعلى أطراف هذه الحافة يوجد حزام ضيق

من المراوح الصخرية، يقترب من مركز الصحراء الشايح ذوي الكثبان الرملية المتحركة تكلامكان، ويكون سفح الهضبة الداخلية من 4000 قدم في الغرب إلى ما يقرب من 2500 قدم في الشرق، ويجري خلال هذا الحوض أنهار خوتن وياركند وأقسو وكونجي التي تشكل نهر تاريم، وهناك أنهار صغيرة مثل كرية ونيا، تتلاشى في الصحراء قبل الوصول إلى تاريم، بينما نهر جرجن يصل إلى طرفه الشرقي، ومياه تاريم لا تصل دائما إلى مصبها الأخير في البحيرة الصحراوية لوب نور، ولكن تنتهي في مناطق شائكة غامضة، وقد قامت واحات تاريم على الأنهار في النقاط التي تغادرها إلى الأراضي الصخرية الضيقة وتلتقي بالصحراء الشاسعة.

5- مرتفعات بي شان: تقع على الطرف الشمالي لحوض تاريم منطقة صحراوية جبلية، تشكل الطرف الشمالي لممر كانسو، الذي يصل شمال غرب الصين بسنكيانغ.

والسلاسل الشمالية لهذه الجبال يسميها المغول ميغن أولا Mechin Ola جبال القروود، وفي تصنيف الدكتور تينغ Ting تسمى بالصينية هسينغ هسينغ هسيا Hsing Hsing Hsia أي: وادي القروود، وهناك أسطورة قديمة بهذه المنطقة عن رجل قرد يمسك بالبشر، وتتصل بهذه المرتفعات هضبة لوب التي تعرف بالصينية بحطام

التنين الأبيض، وترتفع شرق منخفض لوب، وتعمل منطقة فاصلة بين أنهار تاريم وسولو وقوروغ تاغ - الجبال القاحلة، وتبلغ أعالي مسطحات هذه المرتفعات 5000 قدم على مستوى هضبة قديمة مترابطة بجبال قوروغ تاغ، وهو تكوين قديم لصخور متحولة، وفي تصنيف الدكتور تينغ Ting هو ضمن مجموعة بي شان و ليس من تيان شان، والمنطقة الفرعية حوض قرا شهر المنطقة المحيطة بحيرة بغراش كول على ارتفاع 3300 قدم، بصحراء ينتهي في شرقها وكثبان رملية في جنوبها ومستنقعات في شمالها وغربها.

6- مرتفعات كون لون: تشكل السور الجنوبي لسنكيانغ، عندما يشاهد من الصحراء تجدها تكون الحائط الجبلي ومن قمته تبدأ هضبة التبت الشمالية على ارتفاع يزيد عن 20000 قدم.

## الملحق السادس

### تربة سنكيانغ



فقد تكونت تربة سنكيانغ نتيجة عوامل الطقس الميكانيكية، وظهرت غا عن قلة الأمطار وجفاف الهواء والاختلاف العالي بين درجات الحرارة بين الليل والنهار، والتربة القلوية، تكونت من جريان الماء في الرمال على طول حواف التلال حيث الأملاح الذائبة على الأراضي المنبسطة تحت الكثبان.

وتجد تربة الغابات البنية وتربة مروج الحشائش العالية على المنحدرات العليا لجبال تيان شلن، وأما في المنحدرات السفلى الشمالية لتيان شان توجد التربة الكستنائية على المنحدرات البسيطة على حواف السلسلة، وبعد ذلك في السهول والمنخفضات توجد التربة القلوية والتربة الصحراوية، وكثبان الرمال، وأما في الجهة الجنوبية وهي الناحية الجافة من هذه الجبال، فالتوزيع الرأسي أكثر شذوذاً، وفي المرتفعات العالية تقل تربة الغابات ذات اللون البني وتربة الحشائش من الطرف الشمالي.

وأما حواف التلال مغطاة بصخور صماء على طول السفوح، وبين خلالها توجد التربة ذات اللون الكستنائي الخفيف، والتربة القلوية في المنخفضات بين التلال، وفي المناطق التي تقع بين الصحاري الزاحفة والأراضي الصلبة، فالتربة العالية طينية والتربة المنخفضة قلوية، وتمتد على مسافة بعيدة من الجبال إلى التربة الصحراوية وكثبان الرمال.

وماعدا غابات سفوح جبال كون لون المطل على حوض تاريم الممتد جنوباً في مواجهة جبال تيان شان، لا توجد غابات أخرى في أعالي كون لون، والتربة الموجودة غالباً غير متطورة، ولا توجد معلومات عن تربة التاي أو شمال حافة جونغاريا.

تختلف التربة الكستنائية من سفوح الجبال المنخفضة على جنوب حافة جونغاريا، ومن سهل غولجه التربة من السواد إلى البني الفاتح، والغطاء الطبيعي النموذجي هو العشب القصير، والتربة

الكستانية الخفيفة صالحة للرعي فقط، وأما الطبقات السميقة فهي صالحة للزراعة الجافة، كما وجدت التربة القلوية في الأراضي المنخفضة ذات الاستنزاف السيء حيث التربة الغرينية أصبحت قلوية، وإنتاجها قليل، كما لوحظ ذلك خاصة بين قرى شهر وبوكور وفي قرأشهر وينكي حصار وياركند، وعلى جانبي نهر خوتن وتاريم التربة الصحراوية على الرغم أنها ضعيفة عضويا، ولكن يمكن الاستفادة منها بالزراعة إذا وجدت وسائل الري في واحات قمول وبي تشانغ Pi Chang وتورفان وتوقسون.

## الملحق السابع

### الزيت في سنكيانغ

المعروف منذ وقت طويل وجود منابع الزيت في سنكيانغ، والزيت المتسرب مع زيت الخضار كان يستعمل للإضاءة، كما أن الزيت الخام يستعمل في تشحيم العجلات.

وقد عرفت رواسبها على طول جبال تياشان شمالا وحنوبا، كما اكتشف حديثا في أقصى جنوب سنكيانغ على طرف هضبة التبت، ويوجد الزيت في شرق سنكيانغ في غرب مدخل كانسو، وفي أقصى الشرق، حيث يستعمل في نطاق حدود شمال مقاطعة شنسي Shensi قرب عاصمة الشيوعيين في ينان Yenani أيام حروبهم، ولا بد أنه قد عرفت العلاقة الجيولوجية بين هذه الرواسب في الصين وبين حقول الزيت في منطقة قزوين في الأراضي السوفياتية أو في إيران والشرق الأوسط.

وفي عام 1948م وزعت الهيئة الصينية للمصادر الوطنية منشورا يؤكد اكتشاف الزيت على حدود سنكيانغ - جينغهاي Chinghai تقريبا على الطريق المعبد بين هاتين المقاطعتين، وأخذ السيد سي. هـ. وو C.H.Wu سكرتير عام الهيئة أن الحقل في تيمورليك قرب الحدود من حوض تساي دام Tsaidam أي الأجزاء السفلى من هضبة التبت ما بين خط 80 و 92 طولاً و 36 و 40 عرضاً، وقد اكتشف قسم التنقيب بفرع وكالة الهيئة الوطنية للمصادر لشركة بترول يوم الصينية في كانسو- جينغهاي ذلك، وبناء على قول الدكتور وو Wu: إن الدراسات السطحية أكدت وجود أكثر من عشرين منطقة زيت تحت الرمال، وأن أسمك المنطقة على عمق ثلاثة أمتار، وجميع المناطق تقع الفراش الأحمر من العصر الثالث.

ومن بين الحقول المعروفة سابقا يوجد أحدها قرب اورومجي، وكان يستغل عندما يتعذر الحصول على الزيت من روسيا، ويعرف أن هذا الحقل هو من العصر الجوراسي.

وهناك حقل صغير باسم جوشانتز Jushantze يقع على بعد

عشرين كيلومتر في الجنوب الشرقي من ووسو Wusu على منتصف الطريق من اورومجي وغولجه، وهي آبار ضحلة تنتج زيت البارفين المركز تحت الضغط الطبيعي، ولا توجد معلومات حديثة عن هذا الإنتاج.

وعندما انسحبت روسيا من سنكيانغ عام 1942م، ردمت 25 بئرا مما أعادتها إلى سلطات المقاطعة، التي كانت تنتج من 49-52 زيت الجاذبية على بعد 4800 قدم، ومن المحتمل أن هذه الآبار كانت في منطقة جوشانتز Jushantze مع التأكيد بعودة الروس إليها في وقت آخر؛ لاستغلالها، ولكن معظم الآلات ذهبت مع انسحابهم.

#### Sources:

**Information from Chinese National Resources Comission, Supplied by United States Department of Commerce, see also: Huang Chi-c`ing, Report on Geological Investigation of Some Oli-Fields in Sinkiang by T.K. Huang and others, Nanking, National Geological Survey of China 1947, No.21 of Series A of Memoirs of Geological Survey of China, Text in English**

## الملحق الثامن

بعض أسماء الأماكن في سنكيانغ ومرادفاتها  
(الأسماء الأويغورية ومرادفاتها الصينية)

الاسم الصيني	الاسم الأويغوري
wen-su	اقسو
Pai-ch`eng	باي
Pei-ta-sha	باتيك بوغدا
Pa-li-k`un , Chen-his	باركول
Ch`ieh-mo	جرجن
Cho-chiang	جارقليق
T`e-le	جيرا
T`a-ch`eng	جوكوجاك - تاريغتاي
P`i-shan	كوما بازار
Shu-le	كاشغر
Yu-t`ien	كريا
Mo-yu	قراقاش
Yen-ci ,Yenki	قراشهر
Yeh-ch`ing	قارغيليق
Ho-tien	خوتن

Hami	قمول
Kuche	كوجار
Ch`i-t`ai hsien , Khitai	كوجنغتز
Ining	غولجه
Sui-lai	مناس
Ch`eng -bua-ssu	شاراسوم
A-Ch`eng	التاي
Tien Shan	تنغري تاغ
T`u-lu-fan	تورفان
So-che	ياركند
Ti-hua	اورومجي
	كورلا
	لوب نور
	مركت
	مارالباشي
	اوج تورفان
	ينكي حصار
	لوكجون
	تاريم

انتهى وبالله التوفيق